أبطال الأرجو

أبولونيوس روديوس

ترجمة أمين سلامة

أبطال الأرجو

تأليف
أبولونيوس روديوس

ترجمة
أمين سلامة

هنـــداوي

أبطال الأرجو

أبولونيوس روديوس

Aptonaytal

Apollonius Rhodius

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣١٤٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر أصل هذا الكتاب باللغة اليونانية في تاريخ غير معروف.
صدرت هذه الترجمة عام ١٩٦٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ أمين سلامة.

المحتويات

الإهداء	٧
تقديم	٩
جاسون وبيلياس	١٥
قصة الجِزَّة الذهبية	١٩
بحارة الأرجو في جزيرة ليمنوس	٢٣
بحارة الأرجو في بلاد الدوليونيس	٢٩
هرقل يتخلف	٣٣
بولوديوكيس وملك البيبروكيين	٣٧
فينيوس والطيور الملعونة	٤١
أثينا تنقذ الأبطال من الموت	٤٥
مغامرات أخرى	٤٩
جاسون في قصر أييتيس	٥٥
ميديا وأييتيس	٥٩
نصيحة أرجوس	٦٣
ميديا تَعِد ...	٦٩
جاسون وميديا	٧٣
جاسون ينفذ أوامر أييتيس	٧٩
ميديا تأخذ الجِزَّة الذهبية	٨٥
مطاردة بحارة الأرجو	٩١
بحارة الأرجو في طريقهم إلى الوطن	٩٧

الكولخيون يواصلون المطاردة ١٠٣
آخر مغامرات بحارة الأرجو ١٠٧
نهاية جاسون ١١٣
ملحق خاص ١١٩

الإهداء

إلى أبطالنا الشهداء في معركة بورسعيد الخالدة ...
إلى أبطالنا المجاهدين في معركة التحرير فوق أرض اليمن ...
إلى الأبطال المغاوير في كل بر وبحر، وفي كل بلد وقُطر، وفي كل زمان ومكان.
إلى الأبطال الصناديد من غُزاة الفضاء في عصرنا الحديث ...
إلى أبطال السد العالي؛ بناة العزة والمجد والكرامة لشعب بلدنا العريق.
إلى بطل الأبطال، العربي الفريد، قاهر الاستعمار؛ رئيسنا جمال عبد الناصر.
أقدم بفخرٍ جماعةً رائعةً من أبطال الأولين، أبطال الإغريق، أبطال الأرجو ...

أمين سلامة

تقديم

يسعدني أن أقدم للقارئ العربي هذه القصةَ الخالدة، وهي من تراث الأغارقة الأمجاد ...

كتب هذه القصة أبولونيوس روديوس Apollonius Rhodius الملقب «بالرودسي»، وكان عالمًا «إغريقيًّا» وشاعرًا لقصائد البطولة من العصر السكندري. وُلد في الإسكندرية حوالي سنة ٢٦٠ق.م.، وكان تلميذًا لكاليماخوس Callimachus، نظَم ملحمةً طويلةً من شعر الأبطال باسم «أرجوناوتيكا Argonautica» في أربعة كتب، انتقل فيها من ذوق أستاذه لشعر العلماء والشعر الصناعي؛ قاصدًا بساطة هوميروس فِطَحْل شعراء الإغريق، فرفض حزب كاليماخوس هذه الملحمة؛ ولذلك اكتأب أبولونيوس وانسحب إلى رودس؛ حيث أكسبته أعماله كعالم في البلاغة وأشعارُه الحديثةُ التنقيحِ شهرةً بالغةً؛ لدرجة أن القوم هناك سمحوا له بأن يكون من مواطني رودس؛ ومن هنا جاء لقبه. ولما عاد إلى الإسكندرية بعد ذلك، ألقى قصيدته الملحمية مرةً أخرى فنالت الاستحسان العام؛ ولذلك عيَّنه بطليموس أبيفانيس Ptolemaeus Epiphanes في سنة ١٩٦ق.م.؛ خلفًا لإيراتوسثينيس Eratosthenes في أمانة مكتبة الإسكندرية. ومن المحتمل أن يكون قد مات وهو يشغل ذلك المنصب.

وملحمته البطولية، التي بقيت حتى الآن، ذاتُ بساطة معينة، ولو أنها أقل بكثير من طبيعة وجمال ملحمتي هوميروس.

وقد جعلها اعتدالها المتجانس عسيرةً تمامًا ولو أنها صِيغت بعناية فائقة؛ ولا سيما من حيث نظْمُها، فقدَّرها الرومان أعظم تقدير وحاكَوْها أكثر من مرة؛ فمثلًا حاكاها فارو الأتاكسي Varro of Atax وفاليريوس فلاكوس Valerius Flaccus. ومما يبرهن على تقدير قُدامى رجال العلم لها قيامُهم بوضع مجموعة قيِّمة من المذكرات والملخصات عنها.

حكى أبولونيوس في قصيدته الشعرية الطويلة قصة بحَّارة سفينة الأرجو، تمامًا كما حكى هوميروس في إلياذته قصة حصار مدينة طروادة Troy الذي دام عشر سنوات؛ على حين تضمنت أوديسته قصة أوديسيوس والمغامراتِ الفريدة التي تعرَّض لها، حتى تمكن أخيرًا من العودة سالمًا إلى أحضان زوجته بينيلوبي Penelope، التي كانت مثال الشرف والإخلاص، بعد غيبة دامت عشرين سنةً.

صُنعت سفينة الأبطال بيد «أرجوس Argos»؛ ومن هنا سُميت بسفينة «الأرجو Argo».

أما بحَّارتها فكانوا أولئك الأبطال الذين أبحروا مع جاسون Jason، بن أيسون Aeson ملك أيولكوس Iolcos في تساليا Thessalia وحفيد كريثيوس Cretheus بن أيولوس Aeolus من تساليا وإيناريتي Enarete؛ وذلك قبل الحرب الطروادية بجيل واحد، إلى «أيا Aea» التي عُرفت في أزمنة لاحقة باسم كولخيس Colchis، والتي تقع على الطرف الأقصى من البحر الأسود. وكان غرض هذه الحملة إحضار الجِزَّة الذهبية للكبش الذي هرب عليه فريكسوس Phrixus بن أثاماس Athamas، من والده وزوجة أبيه إينو Ino إلى الساحر أييتيس Aeetes ملك «أيا»، الذي أكرم وِفادته وزوَّجه ابنته خالكيوبي Chalciope، فنحر الكبش ضحيةً وعلَّق جِزَّتَه في حرج آريس Ares؛ حيث ظل يحرُسها تنِّينٌ دائم السهر لا ينام إطلاقًا.

كُلف جاسون إحضار هذه الجِزَّة ثانيةً بوساطة عمه بيلياس Pelias بن بوسايدون Poseidon وتورو Tyro الذي اغتصب مُلك أيولكوس بتساليا من أخيه غير الشقيق أيسون. وكان أيسون قد احتاط من قبل، فلكي يَقيَ ابنه من مكايد بيلياس أخذه إلى القنطور خيرون Chiron على جبل بيليون Pelion، فربَّاه هذا حتى بلغ العشرين من عمره.

وعندئذٍ عاد جاسون إلى وطنه وقدمُه اليسرى حافية؛ إذ فقد فردة حذائه وهو يخوض سيلًا جبليًّا، فقدَّم نفسه إلى بيلياس مطالبًا بمملكة أبيه.

بيدَ أن بيلياس الداهية كان قد حذره وحيٌ من رجل يلبس فردة حذاءٍ واحدةً، فلما أتاه جاسون على تلك الحال، وعده خيرًا، ودعم وعده بقَسَمٍ بأن يعطيه ما طلب إذا ذهب بدلًا منه لإحضار الجِزَّة الذهبية. كان الوحي قد فرض هذا العمل على بيلياس، ولكنه كان هَرِمًا لا يستطيع القيام به.

وهناك رواية أخرى لهذه القصة تقول: إن جاسون بعد أن أتم تعليمه لدى خيرون، فضَّل أن يعيش في الريف، وإنه جاء بفردة حذاء واحدة ليُحضر ذبيحة كان بيلياس يقدمها

لبوسايدون على شاطئ البحر، وإن بيلياس سأله ماذا يفعل لو كان ملكًا، وإنه حذَّر من أن وفاته ستكون على يد أحد رعاياه. وعندما ردَّ عليه جاسون بأنه يجعله يُحضر الجِزَّة الذهبية، كلَّفه هذه المهمة.

لقد وضعت الربة هيرا Hera هذا الرد على لسان جاسون؛ لأنها كانت تَحْبوه عطفها، وأرادت أن تعاقب بيلياس على قتله سيديرو Sidero في معبدها.

يُقال: إن السفينة ذات الخمسين مجدافًا التي قام فيها جاسون وزملاؤه بهذه الرحلة؛ سُميت باسم بانيها أرجوس بن فريكسوس، وبعد عودته إلى أورخومينوس Orchomenus وطنِ آبائه، بُنيت تلك السفينة من أخشاب الصنوبر المأخوذة من أشجار بيليون، بإشراف الربة أثينا Athena، التي كانت، مثل هيرا، حامية جاسون، ووضعت في حيزوم السفينة قطعة من البلوطة الناطقة لدودونا Dodona.

وكان الأبطال الذين لبُّوا نداء جاسون خمسين عددًا، بعدد المجاديف، وكانوا أصلًا في الرواية التي أشاعتها الأسرة المينيانية Minyan، المينيان في أيولكوس وأورخومينوس وبيلوس Pylos والأمكنة الأخرى.

وكان من بينهم أكاستوس Acastus بن بيلياس، وهو صديق حميم لجاسون، وأدميتوس Admetus وإرجينوس Erginus ويوفيموس Euphemus وبيريكلومينوس Periclymenus وتيفوس Tiphus.

ولكن تبعًا لما أشاعته هذه القصة، انضم إلى هذه الرحلة جميع الأبطال الأغارقة الموجودين وقت ذاك؛ مثل هرقل Hercules وكاستور Castor وبولوديوكيس Polydeuces وإيداس Idas ولونكيوس Lynceus، وكالايس Calais وزيتيس Zetes ولده بورياس Boreas، وبيليوس، وتوديوس Tydeus وميلياجر Meleager، وأمفيراوس Amphiraus، وأورفيوس Orpheus وموبسوس Mopsus وإدمون Idmon عرَّافي الرحلة وحتى الصيادة أتالانتي Atalante.

تولى جاسون القيادة، وتولى تيفوس الدفة، وأقلعوا من باجاساي Pagasae ميناء أيولكوس، فوصل بحَّارة الأرجو إلى جزيرة لمنوس Lemnos التي لا يسكن فيها غير النساء. وبعد أن مكثوا هناك مدةً طويلةً، ساروا بمحاذاة ساموتراقية Samothrace وخلال الهلسبونت Hellespont إلى جزيرة كوزيكوس Cysicus؛ حيث رحَّب بهم كوزيكوس ملك الدوليونيين Doliones.

غير أنهم عندما حاولوا استئناف الرحلة تغلَّبت عليهم عاصفةٌ ليلًا، وإذ اعتقد أصدقاؤهم القدامى أنهم قراصنة هاجموهم، ومن سوء حظهم أنهم قتلوا ملكهم الشاب، فتركوا هرقل على ساحل موسيا Musia؛ ليبحث عن هولاس Hylas الذي خطِفته الحوريات.

وعلى ساحل بيثونيا Pithynia هزم بولوديوكيس أموكوس Amycus ملك البيبروكيين Bebrycians في مباراة للملاكمة.

وفي سالموديسوس Salmydessus بتراقيا Thrace أخبرهم فينيوس Phineus؛ العرَّاف الأعمي، الذي خلَّصه كالاييس وزيتيس من الهاربييس Harpies اللواتي كُنَّ يعذِّبْنه، أخبرهم بما يفعلونه في بقية الرحلة، ولا سيما كيف يُبحرون بين السومبليجاديس Symplegades؛ الصخرتين الطافيتين اللتين تصطفقان معًا عند مدخل البحر الأسود.

وتبعًا لنصيحته أرسل جاسون يمامة أمامه، ولما قطع ريش ذيلها فقط بوساطة الصخرتين المصطدمتين، تجاسروا على التجديف بالأرجو بين الصخرتين. وبمساعدة هيرا — أو تبعًا لرواية أخرى بمساعدة أثينا — فعلوا ما لم يفعله إنسان قط قبلهم، فاجتازوا هذا المأزِق دون خسارةٍ سوى فِقدان دفَّة السفينة.

وإذ عرجوا على شاطئ بونتوس Pontus، لقوا ترحيبًا وديًّا من لوكوس Lycus ملك الماريانديني Maryandini، ولو أن العرَّاف إدمون حين قتله خنزير بريٌّ كان يصطاد هناك تيفوس من مرض أصابه، فحلَّ أنكايوس Ancaius محله.

وبعد أرض الأمازونيات Amazones، وصلوا إلى جزيرة أريتياس Aretias؛ حيث أفزعوا الطيور الستومفالية Stymphalian وأخذوا ابن فريكسوس على ظهر سفينتهم — بعد أن تحطمت سفينته في الطريق — إلى بلاد الإغريق، وأخيرًا وصلوا إلى مصب نهر فاسيس Phasis بأرض الكولخيين Colchians.

وعندما طلب جاسون الجِزَّة الذهبية، وعده أييتيس بتسليمها إليه؛ على شرط أن يقبض جاسون على ثورين ذوَي أظلاف نُحاسية ينفُثان النار، ويضع النِّيرَ على عنقَيهما، ويربطهما إلى محراث نحاسي، ويحرث بهما حقل آريس، ويبذُر في خطوط الحرث أنياب التنين، ويتغلب على الرجال المسلحين الذين ينبِتون من تلك الأنياب، فيئس البطل من ذلك وقطع كل أمل في النجاح.

وعندئذٍ أشعلت أفروديتي Aphrodite ربة الحب والجمال صدرَ ميديا Media ابنة الملك بحب جارف نحو ذلك الغريب، فأعطته ميديا مرهمًا يحميه من أنفاس الثورين النارية، كما يمُدُّه بقوة لربطهما إلى المحراث، ونصحته بأن يلقي حجرًا بين العمالقة المولودين من الأرض، الذين يأخذون عندئذٍ في قتل بعضهم البعض.

غير أن أييتيس رفض تسليم الجِزَّة بعد إنجاز كل ما طلبه.

بعد ذلك خدَّر جاسون التنين الذي يحرس الجِزَّة وجعله ينام؛ بمساعدة ميديا، التي وعدها بأن يتزوجها ويأخذها معه إلى وطنه، وأخذ الجِزَّة وهرب مع ميديا ورفقائه.

فأرسل أييتيس ابنه أبسورتوس Absyrtus لمطاردتهم، فقتله جاسون بالحيلة.

وتقول رواية أخرى: إن ميديا أخذت أخاها الصغير أبسورتوس معها، ومزَّقت جسمه إرْبًا إرْبًا، وألقت أعضاءه في البحر عضوًا عضوًا، حتى إذا همَّ والدها بمطاردتها، عاقته تلك الأعضاءُ وهو يلتقطها من على سطح الماء؛ ليحافظ عليها في مكان أمين.

تختلف الأساطير في عودة بحارة الأرجو اختلافًا كبيرًا:

فتقول أسطورة من أقدم الأساطير: إنهم أبحروا من نهر فاسيس إلى نهر أوقيانوس Oceanus، ثم من هذا إلى ليبيا حيث أخذوا يجرُّون السفينة مدة اثني عشر يومًا فوق اليابسة إلى بحيرة تريتونيس Tritonis، إلى أن عادوا إلى وطنهم عن طريق البحر المتوسط.

وتتفق بعض الروايات الأخرى في هذا من حيث المادة الأصلية؛ على حين يخلط البعض الآخر الروايةَ القديمة بمغامرات أوديسيوس Odysseus، فيقول: أبحر الأبطال في نهر الدنواب، ومنه إلى البحر الأدرياتيكي، وكانوا قاب قوسين أو أدنى من جزيرة كوركورا Corcora (كورفو Corpho)، فإذا عاصفة تهبُّ فتنبأت قطعةُ بلُّوط دودونا بهلاكهم إلا إذا طهَّرتهم كيركي Circe من مقتل أبسورتوس.

فأبحروا في نهر إريدانوس Eridanus ومنه إلى نهر الرون، ومن هذا إلى البحر التورهيني Tyrrhenian حتى وصلوا إلى جزيرة كيركي التي طهَّرتهم.

ثم ساروا بمحاذاة جزيرة السيرينيات Sirens، اللواتي حمَتْهم أناشيد أورفيوس Orpheus من سحرهن. ومروا جميعًا بسلام بمساعدة الآلهة من بين سكولا Scylla وخاروبديس Charybdes ما عدا بوتيس Butes، ووصلوا إلى جزيرة الفياكيين Phaeacians؛ حيث تزوج جاسون ميديا ليتجنبوا حكم مضيفهم ألكينوس Alcinus، الذي أصدر حكمه، بصفته قاضيًا عرفيًّا، بتسليم الفتاة ميديا إلى مطارديها.

ولما صاروا على مرأى من البيلوبونيز Peloponnesos جرفَتْهم عاصفة إلى السورتيس الليبي؛ حيث حملوا سفينتهم، وقد أنقذتهم عناية إلهية، إلى بحيرة تريتونيس؛ ومن هنا أرشدهم تريتون Triton حتى بلغوا البحر المتوسط، وعادوا إلى أيولكوس عن طريق كريت Crete.

في أثناء غياب أولئك الأبطال، قتل بيلياس أيسون وابنه بروماخوس Promachus، وانتحرت والدة جاسون، فأخذت ميديا تعمل للأخذ بثأرهم، فذبحت تيسًا عجوزًا أمام عيون بيلياس، وقطعته إرْبًا إرْبًا ثم وضعته في مِرْجَل سحري يغلي، وبعد ذلك أرجعته حيًّا وأعادت إليه شبابه، ووعدت بأن تعيد إلى بيلياس شبابه بنفس الطريقة، وبذا أغرَتْهن على قتل أبيهن ثم تركتهن في الانتظار. وإذ طردهما أكاستوس Acastus ابن الملك المقتول، لجآ (أي: جاسون وميديا) إلى كريون Creon ملك كورنثة Corinthus، غير أن جاسون، بعد حياة زوجية سعيدة لمدة عشر سنوات، أراد الزواج بكريوسا Creusa أو جلاوكي Glauce بنة كريوس، عند ذلك قتلت ميديا العروس ووالدها؛ بأن أرسلت إلى الفتاة الساذجة ثوبًا مسمَّمًا وتاجًا كهدية عُرسٍ، وقتلت ولديها ميرميروس Mermerus وفيريس Pheres أمام ناظري زوجها الخائن، ثم هربت في عربة تجرُّها الأفعوانات أرسلها إليها جدها هيليوس Helius، وذهبت إلى أيجيوس Aegius ملك أثينا Athens.

ويُقال: إن جاسون لقي مصرعه تحت سفينة الأرجو التي وضعها في البرزخ وكرَّسها، وذات يوم استلقى تحتها ليرتاح فوقع كوثلها فوقه فقتله.

أسطورة بحارة الأرجو إذن قديمة جدًّا، فحتى هوميروس يتحدث عنها على أنها أسطورة معروفة في العالم كله، ونجدها بالتفصيل، أولًا في أشعار بندار Pindar، ثم حاول الشاعر السكندري أبولونيوس الرودسي أن يوفِّق بين مختلِف الروايات .. والقصة التي نوردها في هذا الكتاب استندنا في تعريبها إلى خلاصة ما وصل إليه أبولونيوس الرودسي بالذات في ملحمته الضخمة، التي تقع في أربعة مجلدات باسم «الأرجوناوتيكا»، التي تحكي قصة الغرام العنيف الذي تأججت نيرانه بين قلبي البطل المقدام جاسون وبين الفتاة الجميلة ميديا، عدا الأحداث الأخرى التي آثرتُ أن أُجْمِلها في هذا التقديم. ولعلني أكون قد وُفقت في تمهيد الأذهان لقراءة تفاصيل هذه المغامرة الغريبة التي كانت ذات يوم من أمتع ما سجَّله خيالُ الإغريق القدماء، والتي ما زالت حتى يومنا هذا من أفضل قصص ذلك التراث العريق الأصيل، بل ومن أروعها إطلاقًا.

أمين سلامة

جاسون وبيلياس

شيَّد كريثيوس مملكة أيولكوس على خليج في تساليا، وأقام لها مدنية عظيمة، وتركها لابنه أيسون، بيد أن شقيق أيسون الأصغر المسمى بيلياس اغتصب العرش من أخيه، فلما مات أيسون وترك ابنه جاسون، خشي بيلياس أن يشبَّ جاسون ويعلم بأمره فيطالب بعرش أبيه، فعجَّل بإرساله إلى القنطور خيرون الذي اختص بتنشئة أبناء العظماء والوصول بهم إلى ذروة المجد والسؤدد، وقد سبق له أن قام بتربية عدد غفير من الأبطال، فأخذ يُدرب جاسون ليكون في مقدمة الأبطال الذين يلهَجُ بذكرهم الركبان، ونشَّأه تنشئةً سامية.

عندما بلغ بيلياس من الكِبر عتيًّا، بلبلت أفكاره نبوءة أَقَضَّتْ مضجعه ونفت النوم عن عينيه؛ فقد حذرته هذه النبوءة من فتًى يرتدي فردة حذاء واحدةً في إحدى قدميه، وعبثًا حاول بيلياس أن يصل إلى كنه هذه النبوءة أو يميط اللثام عنها. وقد عجز المفسرون عن تفسير ما تقصد إليه ألفاظُ تلك النبوءة.

في ذلك الحين كان جاسون قد بلغ من العمر عشرين ربيعًا، فترك مدربه خيرون وأقلع سرًّا إلى وطنه أيولكوس؛ ليثبت حقوق أسرته في عرش البلاد الذي اغتصبه عمه بيلياس.

حذا جاسون حَذو قدماء الأبطال الذين خلَّد التاريخ أسماءهم، وتسلح برمحين؛ أحدهما للقذف والآخر للطعن، ووضع فوق حُلَّته التي يرتديها في الأسفار جلد نمر أرقط، كان قد اصطاده في إحدى الرحلات، وترك شعره الطويل مرسَلًا فوق عضديه.

وصل جاسون إبان رحلته إلى نهر عريض حيث قابل عجوزًا شمطاء شاب وليدُها، راحت تتوسل إليه أن يساعدها على اجتياز النهر.

لم تكن تلك العجوز الدردبيس سوى الربَّة هيرا ملكة الآلهة وألدِّ أعداء الملك بيلياس، ولم يلاحظ جاسون شخصية الربة وهي متنكرة في ثيابها الرثة والهيئة التي اتخذتها، فحملها برفق والشفقةُ تملأ قلبه، وأخذ يخوض النهر وهي بين ذراعيه ... وفي منتصف

النهر ساخت إحدى قدميه في الطين فالتصقت فردةُ الحذاء به، فلما رفع قدمه خرجت بلا حذاء، فلم يُعِرْ ذلك اهتمامًا، واستمر بحمله يعبُر النهر حتى بلغ الضفة الأخرى، فودع العجوز ثم اتجه إلى سوق أيولكوس في اللحظة التي كان فيها عمه بيلياس يقدم ذبيحةً للرب بوسايدون إله البحر، وكان يحيط بالملك جمعٌ غفير من شعبه.

لما رأى القوم جاسون، بهرهم جماله وطولُه الفارع، وظنُّوه أبولو Apollo أو آريس Ares قد ظهر فجأةً في وسطهم، غير أن الملك بيلياس لم تقع عينه على جماله أو قوامه أو طوله، بل وقعت على قدميه، وقد أفزعه وهو يقدم الذبيحة أن ذلك الغريب يلبس فردةَ حذاء واحدةً في إحدى قدميه؛ على حين قدمُه الأخرى حافية من غير حذاء، فسرى الحزنُ بين أحنائه، واستولى الجزع على فؤاده، بيد أنه تمالك نفسه ولم يبدِ ما يدل على ذعره، فلما انتهت الطقوس الدينية تقدَّم من الشاب اليافع وسأله في رقة عن اسمه وعن وطنه.

كانت إجابة جاسون كافيةً لأن تهدَّ كيان بيلياس وتحطِّم جنانه؛ فقد أجابه في جرأة وجسارة نادرتين، ولكن في نبرة تنمُّ عن الذوق والأدب ودماثة الخلق، قائلًا: «أنا جاسون بن الملك أيسون، وقد ربَّاني خيرون فأحسن تربيتي، وقد جئت الآن لزيارة بيت أبي.»

أصغى بيلياس الماكر إلى ابن أخيه في اهتمام وبشاشة زائدين؛ وقد أخفى ما يَعتوِر نفسه من ذعر وجزع يكادان يعتصران فؤاده فيُزهقان روحه من جسده .. فأمر أتباعه

بأن يرافقوا الضيف العزيز إلى قصره، فصار جاسون يتطلع إلى ساحات القصر وغُرَفه التي رُبِّيَ بين جدرانها في طفولته المبكرة.

رحَّب بيلياس بابن أخيه أحسن ترحيب، فأقام له الحفلات وأولم له الولائم الفاخرةَ خمسة أيام كاملة، ودعا إليها الأصدقاء والعظماء والوجهاء، وفي اليوم السادس، تركوا الفساطيط التي أُقيمت لاستضافة المدعوِّين، وتوجهوا إلى الملك بيلياس فمَثَلوا بين يديه.

تقدَّم جاسون في أدب جَمٍّ ورقة بالغة وقال لعمه:

«أيها الملك، أنت تعلم تمام العلم أنني ابن ملك البلاد الشرعي، ووريث عرشه، وأن كل ما تمتلكه الآن هو لي .. غير أنني سأترك لك جميع قطعان الماشية والأغنام، وجميع الحقول التي استحوذت عليها من والدي .. ولن أسألك شيئًا سوى الصولجان والعرش اللذين كانا يومًا ما لأبي.»

أعمل بيلياس فكرَه بسرعة قبل أن يجيب، فكان رده عاطفيًّا ولكن عن مكر ودهاء وبُعد نظر؛ إذ قال: «لك ما تريد يا ابن أخي، فإنني على أتم استعداد لتنفيذ طلباتك، وفي مقابل ذلك يجب أن تحقق لي رجاءً واحدًا، وتؤدي خدمة بدلًا مني، فأنت لا تزال في شرْخ الشباب وعظيم القوة والفتوة، ولا يمكن لشيخ مثلي فَتَّتْ في عضده السنون أن يقوم بها .. لقد مضى زمان طويل وطيف فريكسوس Phrixus يحوم حولي ويطاردني في أحلامي، حتى امتنع عليَّ النوم ولازمني السُّهاد، إنه يطلب مني، ويُلْحِف في الطلب، أن أجلب السلام لروحه والهدوء لنفسه؛ بالرحيل إلى كولخيس والتوجه إلى الملك أييتيس Aeetes فأستعيد منه جِزَّة الكبش الذهبي، وأنت تعلم أنْ ليس في استطاعتي القيامُ بمثل تلك الرحلة التي تتطلب عزم الشباب وفتوته، وسيعود إليك مجد تحقيقك هذا الرجاء، وعندما تعود بسلام حاملًا هذه الهدية الرائعة، فسأعطيك المملكة والصولجان، فهما حق شرعي لك دون غيرك.»

قصة الجِزَّة الذهبية

بدء رحلة بحارة الأرجو

كانت إينو Ino مَحظيَّةَ أثاماس والد فريكسوس وعشيقتَه، وكانت خارقة الأنوثة بارعة الجمال، في عينيها لمعة آسرة، وفي طلعتها جاذبية عاتية تلين لها أصلدُ القلوب، وكانت ذات أنف أقنى وجِيدٍ أتلع وقَدٍّ ممشوق وجسم بَضٍّ ريَّان، إلا أنها كانت شديدة القسوة جافَّة الطباع، لا تقيم للإنسانية وزنًا، ولا تعرف للرحمة معنًى .. فكانت تعامل فريكسوس ابن زوجها معاملةً قاسية، وتذيقه ألوان العذاب، ولا يجرؤ أحد على أن يخبر زوجها — أو بمعنًى أصحَّ أسيرَ هواها المتيم في غرامها — بما يعانيه ولدُه على يد تلك الحية الرَّقطاء الداهية.

لم تُطِق نيفيلي Nephele والدةُ فريكسوس أن ترى فلذة كبدها يُسام العذاب هو وأخته هيلي Helle؛ فقامت، بمساعدة ابنتها هذه، بخطف الطفل من منزل أبيه، ووضعت طفليها على ظهر كبش مجنَّح؛ صوفه من خيوط العسجد النضار، كانت تلقته هديةً من الإله هيرميس Hermes .. فحملهما الكبش وحلَّق بهما في الجو طائرًا فوق الأراضي والبحار، وظل يجوب أجواز الفضاء في سرعة بالغة، فأُصيبت الفتاة بدُوار شديد، وقفزت من على ظهر المطيَّة الذهبية لتلقى مصرعها في البحر، الذي أصبح منذ تلك اللحظة يُسمى هيللي أو هيلليسبونت Hellespont؛ نسبةً إلى تلك الفتاة.

أما فريكسوس فقد وصل سالمًا إلى بلاد كولخيس على شاطئ البحر الأسود، حيث استقبله الملك أييتيس أعظم استقبال، وأكرم وفادته، وزوجه إحدى بناته، وهي فتاة مدلَّلة اجتمعت فيها الحكمة المُثلى والأنوثة الكاملة؛ كأنها الزهرة اليانعة تسكُب البهجة

والفتنة والسحر على كل ما يقع عليه ناظراها، واعترافًا بجميل الكبش كرَّسه فريكسوس لزوس Zeus أبي الآلهة، الذي أطال في طيرانه، وقدَّم الجِزَّة للملك أييتيس الذي كرَّسها بدوره للرب آريس، وسمرها في شجرة في كهف مقدس لهذا الرب، وجعلها في حراسة أفعوان ضخم؛ لأن هناك نبوءة تقول إن حياة الملك نفسه تتوقف على امتلاكه لتلك الجِزَّة الذهبية.

ذاع صيت هذه الجِزَّة في جميع أرجاء الأرض، وسمع بها القاصي والداني، وأصبح الناس ينظرون إليها كأنها كنز ثمين لا يُقدر بثمن، وحمل أخبار تلك الجِزَّة الفرسان والأبطال إلى بلاد الأغارقة، فتاقت نفس أبطال عديدين وأمراء كثيرين وملوك عظام إلى امتلاك هذه الجِزَّة. إذن فلم يكن بيلياس مخطئًا حين طلب من ابن أخيه أن يحضر له هذه الجِزَّة الثمينة، وكان جاسون دون أدنى شك على استعداد تام للذهاب بنية صادقة وعزيمة ثابتة لإحضار تلك الهدية الرائعة، ولم تخامره قط الفكرةُ الحقيقية التي جعلت عمه يطلب منه هذا الطلب الوعر المنال؛ إذ إن القصد الحقيقي لبيلياس كان هو التخلص من جاسون تمامًا بإرساله في هذه المهمة التي كان بيلياس على يقين من أن ابن أخيه لن يعود منها سالمًا ... لذلك وعد جاسون عمه وعدًا صادقًا وقطع على نفسه عهدًا بإنجاز تلك المهمة، مهما كلفته من متاعبَ وعرضته لأخطار.

طلب جاسون من أشهر أبطال الأغارقة وأعظمِهم ذيوعَ صيت أن يُسهموا في تلك المغامرة الخطرة الخطيرة ... فبدأ أمهر الصُّناع في بلاد الإغريق ببناء سفينة ضخمة عند سفح جبل بيليون، تحت رعاية الربة أثينا، واستعملوا في صُنعها أجود أنواع الخشب الصلب الذي لا يتأثر بماء البحر.

كانت السفينة تتسع لخمسين مجدافًا، وأُطلق عليها اسم أرجو نسبةً إلى بانيها أرجوس بن أريستور Arestor .. لقد كانت أطول سفينة قام الإغريق بصنعها، حتى ذلك الوقت، للإبحار عبر المحيطات الواسعة، وقد رُوعي عند بناء حيزوم السفينة أن تُوضع فيه قطعةٌ من الخشب أُخذت من شجرة دودونا البلُّوطية التنبُّئية هديةً من الربة أثينا، وقد زُينت جوانب السفينة بالنقوش البديعة، ومع ذلك فقد كانت غايةً في الخفة؛ لدرجة أن الأبطال استطاعوا أن يحملوها على أكتافهم اثني عشر يومًا متوالية.

ظل الصناع يواصلون العمل ليلَ نهارٍ في بناء تلك السفينة؛ حتى غدت آيةً في الروعة والإتقان وجودة الصنعة، فلما أتموا بناءها، التف البحارة حولها، واقترعوا على الأماكن التي سيحتلها كل واحد منهم فوق ظهرها، فكان على جاسون أن يتولى قيادة الحملة بأسرها، وأن يقوم تيفوس Tiphys بقيادة الدفة، ويتولى لونكيوس Lynceus الحادُّ البصر

إرشاد السفينة في الأماكن الخطرة، وأن يجلس البطل المغوار هرقل في مقدم السفينة، وفي مؤخرها بيليوس Peleus والد أخيل Achilles وتيلامون Telamon والد أجاكس Ajax العظيم. وكان من ضمن بحارتها كاستور وبولوديوكس ابنا زوس، ونيليوس Neleus والد نستور Nestor، وأدميتوس Admetus، زوج ألكيستيس Alcestis الوَرِعة، وميلياجر Meleager الذي قتل الخنزيرالكالدوني Caledonian Boar، وأورفيوس Orpheus المغني ذو الصوت الرخيم، ومينويتيوس Menoetius والد باتروكلوس Patroclus، وثيسيوس Theseus الذي صار فيما بعدُ ملكَ أثينا، وصديقه بيريثوس Pirithous وهولاس Hylas الصديق الأصغر لهرقل، ويوفيموس Euphemus بن بوسايدون، وأويليوس oileus والد أجاكس الأصغر Ajax the Less. وقد كرَّس جاسون سفينته لبوسايدون إله البحر، وقبل قيام الحملة بالرحلة المشهورة، قدَّم جميع الأبطال ذبائحهم وصلواتهم المقدسة إلى هذا الرب وإلى غيره من آلهة البحر الآخرين.

اتخذ كل بطل مكانه المخصص له على ظهر السفينة، ورفعوا المرساة وتحركت السفينة بعيدًا عن الشاطئ، وأخذ الخمسون مجدِّفًا يحركون مجاديفهم في نظام بديع؛ بحيث كانت تهبط جميعها معًا إلى الماء، ثم ترتفع معًا على وتيرة واحدة، وامتلأت الأشرعة بريح مواتية، وسرعان ما خلَّفوا وراءهم ميناء أيولكوس. وكان أورفيوس يثير الحماس في قلوب البحارة بأنغامه الشجيَّة التي كانت تنبعث من قيثارته، ومن صوته العذب الرقيق، وكان المرح يملأ قلوب الأبطال وهم يمرون بجانب الجبال الشامخة الناتئة في البحر والجزائر المختلفة .. غير أنه في اليوم التالي هبَّت عليهم ريح عاتية، فساقتهم إلى ميناء جزيرة ليمنوس Lemnos.

بحارة الأرجو في جزيرة ليمنوس

منذ عام مضى، كانت نساء هذه الجزيرة قد قُمن بقتل أزواجهن، أو على الأصح بقتل جميع رجال الجزيرة؛ لأنهم كانوا قد أحضروا معهم من تراقيا محظيَّات على شيء عظيم من الفتنة والجمال، فعمَّ الفجور والمجون، وذُبحت الفضيلة جهرًا في تلك الجزيرة، فغضبت لذلك أفروديتي وأثارت حفيظة النساء على أزواجهن، فغلى مِرْجل الحقد والغيرة والغضب بين جميع السيدات، فأعملن التقتيل في الرجال فلم ينجُ منهم سوى ملك ثواس Thoas الذي أنقذته ابنته هوبسيبولي Hypsipyle، فأخفته في صندوق وقذفت به إلى البحر، ومنذ ذلك الحين استولى الذعر على نساء ليمنوس واندلع الهلع في نفوسهن؛ خشية أن يتعرضن لغارات التراقيين للأخذ بثأر أقربائهم، وكثيرًا ما كانت النساء يتطلعن صوب البحر إلى الأفق البعيد؛ خوفًا من قدوم سفينة تحمل المحاربين من التراقيين.

وذات يوم، بينما وقف بعض النسوة بجانب الشاطئ إذ أبصرن سفينة الأرجو العظيمة تشق عُباب اليم على صفحة الماء، فأسرعن إلى المدينة يخبرن بنات جنسهن بما رأين، فتسلحت النساء بسرعة من قمة الرأس إلى أخمص القدم، وتدفقن إلى الشاطئ كجيش من الأمازونيات المحاربات.

دُهش الأبطال كلَّ مَدهَش عندما أبصروا الشاطئ يعج بالنساء المسلحات وليس بينهن رجل واحد .. فأرسلوا إلى ذلك الحشد الغريب رسولًا في زورق، فلما بلغ الشاطئ وتقدم إليهن أخذنه إلى ملكتهن هوبسيبولي غير المتزوجة، فقال لها في رقة بالغة: إن الأبطال بحارة سفينة الأرجو يطلبون إيواءهم بضعة أيام كضيوف؛ ليستريحوا من عناء السفر، ويأخذوا مئونتهم من الطعام والشراب.

جمعت الملكة نساءها في سوق المدينة، واستوت على عرش أبيها المرمري، وكانت تقف بالقرب منها خادمتُها العجوز الشَّهْرَبة متكئةً على عصًا؛ على حين جلس إلى جانبيها أربع فتيات ذهبيات الشعر، كلهن فتنة وكلهن إغراء، تتكلم عيونهن وتنطِق لِحاظُهن.

نهضت الملكة في وقفة رشيقة وقالت: «شقيقاتي العزيزات، ما أشقانا! وما أتعسنا! لقد اقترفنا جريمةً لا تُغتفر بأن حرمنا أنفسَنا رجالَنا الأشداء، في لحظة من لحظات الجنون ... ويجدر بنا والحالة هذه ألا نرفض صداقة من يريد مصادقتنا، وإياكن أن يعرف هؤلاء الأغراب شيئًا عما اقترفته أيدينا. ومن ثَم فإني أرى أن نرسل إليهم ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب في زورقهم؛ وبهذا الضرب من الضيافة نستطيع أن نحتفظ بصداقتهم بعيدًا عن حوائطنا.»

استوت الملكة ثانيةً على عرشها في دلال، وعندئذٍ رفعت الخادم العجوز رأسها بمجهود شاق، وأومأت بالموافقة وقالت: «أرسِلْن الهدايا إلى هؤلاء الأغراب بأية وسيلة من الوسائل؛ فهذا خير ما يجب عليكن القيامُ به في هذا الظرف، ولا تنسين ما ينتظركن لو أن التراقيين المكلومين أقبلوا وجاءوا .. وحتى لو فُرض أنْ حال دون مجيئهم ربٌّ رحيم، فهل معنى هذا أنكن في مأمن من جميع الخطوب؟ إن أمثالي من النساء المسنات لا يعنيهن الأمرُ كثيرًا .. فإن أجَلَنا سيوافينا قبل أن تُلحَّ علينا الحاجة، وقبل أن تنفد إمداداتنا، ولكن كيف ترى الفتيات اللواتي في شرخ الصبا مثلُكن أن يعشن في هذه الجزيرة دون مساعدة الرجال؟ هل يعتقدن أن الثيران ستضع أنفسها تحت النِّير من تلقاء أنفسها، وتجر المحراث خلال الحقول من غير قائد يمسك بالمحراث؟ ومن يقوم بحصد الغلال الناضجة بدلًا منكن عندما يقبل الصيف وتنضج الحبوب في الحقول؟ إنكن أنفسَكن لا ترضين القيام بهذه المهام أو بغيرها من الأعمال التي تتطلب مجهودًا يقصُر عنه مجهودُكن، إنكن في أمسِّ الحاجة إلى سواعد الرجال الفتية؛ ومن ثَم فإني أنصحكن ألا ترفضن الحماية التي تسعى إليكن وتعرِضُ نفسها عليكن، والتي أنتن في أشد الحاجة إليها، اعهدن ببلادكن هذه وممتلكاتكن إلى هؤلاء الأغراب النبلاء، ودَعْنهم يحكمون مدينتكن الجميلة.»

لقي هذا الرأي موافقة بالإجماع من سائر نساء ليمنوس، وحبَّذْن فكرتها كل تحبيذ، فأرسلت الملكة إحدى الفتيات الجالسات بالقرب منها لمصاحبة الرسول إلى السفينة؛ كي تُخطِر الأبطال النبلاء بالقرار الذي وصل إليه حشد النساء، فسُرَّ البحَّارة الصناديد بهذه الدعوة سرورًا يفوق الوصف، فما كان لديهم أدنى شك في أن هوبسيبولي قد جلست على عرش أبيها في سلام وهدوء بعد وفاته.

علق جاسون الفتى عباءته الأرجوانية، التي أهدتها إليه الربةُ أثينا، فوق كتفه، وراح يخطو صوب المدينة بخُطًى كلها حيوية ونشاط، فكان يلمع كأنه نجم من نجوم السماء ... فلما ولج الأبواب، تدفقت النساء الحسناوات الفاتنات لمقابلته والترحيب به، فوجدنه شابًّا مهيب الطلعة، عامر الشخصية بالقوة والفتوة، فارع الطول عريض المنكبين، تشع عيناه الواسعتان بنور الذكاء وصارم النظرات، فسُرِرْن برؤيته أيَّما سرور، وتمنت كل واحدة منهن في قرارة نفسها أن يكون لها دون سواها .. أما هو فقد غضَّ بصره عنهن، وظل ينظر إلى الأرض في تواضع جَمٍّ، فعرفن فيه كرم المحْتِد، وعريق الأرومة، وشرف النفس، وحميد الخصال.

اتجه جاسون صوب القصر في خطوات حثيثة، فإذا بالعذارى الحسان من الخادمات يفتحن له الأبواب على مصاريعها، وإذا بالفتاة الشقراء اليافعة التي كانت رسولة الملكة إلى الأبطال تقوده في خَفَر وحياء إلى حجرة سيدتها؛ حيث استوى قبالتها في مقعد وثير.

كانت هوبسيبولي غادةً، هيفاءَ، ناضرة الشباب، ناضجة الأنوثة، قد كعَب ثدياها وسبح وجهها في حالة من الحسن والبهاء، فما إن وقعت عينها الدَّعْجاء على ذلك الفتى الأنيق، حتى أرخت جفونها الناعمة البيضاء، واصطبغ خدَّاها بحمرة الورد خجلًا وحياءً، وفي خفر جَمٍّ راحت تخاطبه بألفاظ المديح والإطراء قائلةً: «أيها الغريب النبيل، إن هيئتك لتدل على شرف عنصرك وكرم شمائلك، حقًّا إنك لمن الأبطال العظام والنبلاء العريقي المنبت .. ما جعلك تتردد في دخول أبوابنا؟ ليس في هذه المدينة رجال يمكنك أن تخشاهم؛ فقد خان أزواجنا عهود الزوجية، وانتقلوا بصحبة عشيقاتهم من الأسرى التراقيات إلى بلدهن، ومعهم أبناؤهم وعبيدهم، فتركونا لا حول لنا ولا قوة؛ ومن ثَم يمكنك أنت ورفاقك الأعزاء، لو راق لكم، أن تحضروا إلى بلدنا وتكونوا أفرادًا من شعبنا ... ولو أردت، فلك أن تحكم رجالك وتحكمنا بدلًا من أبي ثواس Thoas، وإنني لعلى يقين من أن هذه البلاد ستروق في ناظركم؛ فهي أكثر جزر هذه البحار خِصْبًا وأوفرها ثمارًا، فاذهب إلى صحْبك وأخبرهم بهذا الذي أعرضه عليك، ثم عُدْ إليَّ بقرارهم.»

كان هذا مجمل كلام الملكة الحسناء الرشيقة التي:

لو أنها عُرضت لأشمطَ راهبٍ يخشى الإلهَ صرورةٍ متعبِّدِ
لرنا لبهجتها وحُلو حديثها ولَخَاله رُشْدًا وإن لم يرشُدِ

بيد أنها لم تذكر له أنهن قتلن أزواجهن اغتيالًا، فأجاب جاسون قائلًا: «أيتها الملكة العظيمة، إننا بقلوب يملؤها الشكر نتقبل المساعدة التي تنوين تقديمها لنا، والتي

نحن في مسيس الحاجة إليها .. وسأخبر رفاقي بعرض جلالتك الكريم، ثم أعود إلى مدينتك العامرة، ولك أن تحتفظي شخصيًّا بصولجانك وبجزيرتك! وليس معنى هذا أنني أرفضهما، ولكن أخطارًا ومعاركَ في قُطر بعيد تنتظرني، ويجب عليَّ القيام بها.»

قدم جاسون يده إلى الملكة مودعًا، ثم هرع راجعًا إلى الشاطئ، وسرعان ما تبعته النساء في عربات سريعة محمَّلة بالهدايا الكثيرة.

نُقلت الهدايا إلى السفينة الراسية على الميناء، وأنبأ جاسون رفاقه بحديث الملكة إليه، ثم نزل إلى الشاطئ معهم ما عدا هرقل وبعضًا من زملائه الذين كانوا يَعافون الحياة وسط النساء.

كان من السهل على السيدات إغراءُ الأبطال بدخول المدينة والإقامة في منازلهن، فعاش جاسون في قصر هوبسيبولي؛ على حين تفرق الأبطال هنا وهناك مع الحسناوات الجميلات، وسَرْعان ما امتلأت المدينة برقصات العذارى وولائم البهجة والسرور؛ في حين سحب الدخان المنبعث من شواء الذبائح تسبح في الفضاء صاعدةً إلى عنان السماء؛ لأن ساكنات المدينة وضيوفهن الكرام قاموا بتقديم فروض الولاء والتبجيل لهيفايستوس Hephaestus الرب المحالف للجزيرة ولزوجته أفروديتي الحسناء.

ظل موعد الرحيل يتأجل من يوم إلى يوم، ولو كان الأمر بيد الأبطال، لتلكَّئوا ما طاب لهم التلكؤ مع مضيفاتهم الفاتنات الساحرات؛ بيد أن هرقل الصارم حضر من السفينة وجمع الأبطال حوله دون علم النساء، وخاطبهم بقوله:

«أيْ أبطالَ الأغارقة، ما أتعسكم وأحقركم! ألم يكن لديكم في بلادكم ما يكفيكم من النساء؟ هل كنتم في مسيس الحاجة إلى زوجات حتى تحضروا إلى هذا المكان لتعاشروا نساء الجزيرة وتعدلوا عن إتمام العمل المجيد الذي اضطلعتم به؟ هل ترغبون في حرث حقول ليمنوس؛ شأنكم في ذلك شأن الفلاحين الذين لا يعرفون سوى خدمة الأرض وزرعها وحصْدِها؟ طبعًا، إن أحد الآلهة سيبحث عن الجِزَّة الذهبية ويحضرها لنا، ويضعها تحت أقدامنا دون أن نحركَ نحن ساكنًا أو نبذلَ أيَّ مجهود! إني أرى من الأفضل أن يعود كل امرئ منا إلى بلده ... وليتزوج جاسون هوبسيبولي، ويعمر جزيرة ليمنوس بأبنائه منها، ثم يجلس بعد ذلك ويُصغي إلى قصة أعمال البطولة التي يقوم بها غيرُه.»

كان لهذه الألفاظ وقْعٌ في نفوس الأبطال دونه وقْعُ السهام، ولم يجرؤ أحد منهم أن يرفع بصره إلى البطل العظيم، أو يردَّ على أقواله بكلمة واحدة، وشعر كل فرد منهم

بالخزي يجلل هامته؛ فتركوا الحشد واستعدوا للرحيل. بيد أن نساء ليمنوس اللواتي كن قد عقدن النيةَ على الزواج من الأبطال؛ شق عليهن أن يتركهن الرجال بتلك السهولة، فحاصرْنهم في جموع غفيرة كأنهن النمل، وأخذن يتوسلن إليهم ويبكين بكاءً مرًّا؛ كي يَرِقُّوا لحالهن ويمكثوا معهن، ولكنهن وجدن أن الأبطال قد قرروا العودة إلى سفينتهم، فرضخن إلى الأمر الواقع.

أما هوبسيبولي ملكة الجزيرة الفاتنة، فقد ذرَفت دموعًا سخينة حتى احمرت مآقيها، وانتحت إلى جانب بعيد عن الأخريات، وأخذت جاسون من يده وقالت: «اذهب مصحوبًا بالسلامة، ولتمنحك الآلهة، أنت ورفاقك الأجلَّاء، النُّجْحَ في الحصول على الجِزَّة الذهبية التي تبتغونها وتركتم وطنكم من أجلها، ولو رغبتَ يومًا العودة إلينا، فأهلًا وسهلًا، وإن صولجان أبي لينتظرُك، وستكون أنت الحاكم الآمر في هذه الجزيرة، ولكنني أعلم علمَ

اليقين أنه ليس في خطتك أن تعود ثانيةً .. إذن أرجو على الأقل أن تفكر في شخصي وأنت بعيد عني.»

ترك جاسون الملكة وهو مملوءٌ إعجابًا بما تتصف به من حُسن وفتنة مقرونَين بالحكمة والرزانة ورجاحة العقل، وكان هو أول من صعِد إلى السفينة، ثم تبعه الآخرون، واحتل كل واحد منهم مكانه، ورفعوا المرساة ونشروا الأشرعة، وأخذ المجدِّفون مجاديفهم بسرعة البرق، وراحوا يضربون الماء بقوة، فتندفع السفينة إلى الأمام وهي تشق عُباب الموج شقًّا، وفي لمح البصر كانوا قد خلَّفوا وراءهم الهيلليسبونت.

بحارة الأرجو في بلاد الدوليونيس

جرت السفينة تطوي المراحل على صفحة اليمِّ كما يطوي البرق مُعْصراتِ الغمام، وظل البحارة المفتولو العضلات يجدِّفون بسواعدهم القوية دون كلل ولا ملل، والمركب ينساب كالسهم المارق. حتى إذا انقضت بضعة أيام، هبت الرياح من تراقيا فجرفت السفينة صوب ساحل فروجيا Phygia؛ حيث كان يعيش العمالقة المتوحشون الذين أنجبتهم الأرض، جنبًا إلى جنب مع شعب الدوليونيس Doliones الوادع المسالم، في جزيرة كوزيكوس.

كان لهؤلاء العمالقة ست أذرع، تمتد اثنتان منها من كتفين عريضتين، كما تمتد ذراعان من كل جنب. أما الدوليونيس فكانوا ينحدرون من رب البحر، الذي كان يحميهم من كل من يعتدي عليهم أو يريد بهم سوءًا، حتى من جيرانهم المتوحشين. وكان يحكمهم الملك كوزيكوس، الذي اشتهر بالتقوى والورع والعبادة .. فلما وصلت السفينة إلى الجزيرة، خرج الملك وكل شعبه لاستقبال بحارتها والترحيب بهم.

وبعد أن رست السفينة على الماء، ونزل الأبطال إلى البر، هشَّ لهم الملك وبشَّ، ورحب بمقْدَمهم، وصمم على استضافتهم في قصره وإكرام وِفادتهم؛ لأن نبوءةً من غابر الأزمان كانت قد أمرته بضرورة استقبال زمرة الأبطال المقدسين بكلمات الترحيب الرقيقة، وقبل كل شيء بتجنب القتال معهم .. ومن ثَم زوَّدهم بكمية وافرة من الخمر والذبائح المنحورة.

كان ذلك الملك لا يزال يافعًا في شرخ صباه ومَيْعة شبابه، قد طَرَّ شاربه وبدأت لحيته في الظهور، وكان قد تزوج حديثًا فتاة حلوة القَسِمات، مشرقة السِّمات، جميلة الطلعة كأنها فلقة القمر. وكانت وقت ذاك تنتظره في القصر ولكنه رُضوخًا لتلك النبوءة بقي ليشترك في الوليمة التي أُولمت للأغراب، وظل معهم على مائدة الطعام يجاذبهم أطراف الحديث ويسألهم عن حالهم والغرضِ من رحلتهم، فلما علم أمرهم، زوَّدهم بالمعلومات وبالطريق الذي يجب عليهم أن يسلكوه.

ظل الأبطال يمرحون بصحبة الملك وحاشيته النبيلة حتى مضى هَزيعٌ من الليل، ثم ذهبوا إلى المَخادع التي أُعدت لهم، فباتوا ليلتهم على الفُرُش الوثيرة، حتى إذا ما أصبح الصباح وتبددت جحافل الظلام، خرجوا يصعدون في جبل شامخ؛ كي يروا بأنفسهم من قمته أين تقع الجزيرة من المحيط، فلما أبصرهم العمالقة انقضوا عليهم من الجانب الآخر متدفقين كالسيل الجارف، وأخذوا يسدون المنافذ إلى الميناء بقطع ضخمة من الصخور والأحجار.

كانت الأرجو قابعةً في الميناء يحرسها البطل الصنديد هرقل، الذي رفض للمرة الثانية مغادرتها، فلما رأى ما فعله أولئك العمالقة الأشرار، خاف على زملائه من بطشهم، فأخذ قوسه القوية وصار يقذف العمالقة بسهامه، فتردَّى منهم الكثيرون، وسقطوا في أماكنهم صرعى، وفي نفس الوقت كان الأبطال يعملون التقتيل في المعتدين برماحهم وسهامهم، فهزموا العمالقة هزيمة نكراء، وتكدَّست أكوامُ جثثهم في الميناء الضيق كأنها جذوع أشجار ضخمة قُطعت من غابة كثيفة، فكانت رءوس وصدور بعضهم مغمورةً في البحر؛ على حين تمتد أقدامهم فوق الشاطئ الرملي، وبعضهم الآخر قد سقطوا وأقدامهم في الماء، ورءوسهم على الرمال، ولكنهم جميعًا اشتركوا في أمر واحد؛ وهو أنهم أصبحوا طعامًا للأسماك والطيور والحيوانات.

خرج الأبطال هكذا من المعركة ظافرين منتصرين، فعادوا إلى القصر يودِّعون الملك ويشكرون له ضيافته وكرمه، ثم اعتلوا ظهر سفينتهم وأقلعوا عبر البحر، وكادت الشمس تتوسط كبد السماء، وكانت الريح رُخاءً والنسيم عليلًا، والسفينة تشق طريقها حثيثًا في الماء، حتى إذا جنَّ الليل، تغيرت الرياح وتبدلت الأحوال، فهبت عليهم من الجانب الآخر ريحٌ صرصرٌ عاتية، أجبرتهم على الرسُوِّ بمركبهم بالقرب من اليابسة؛ حتى تمر الزوبعة وتهدأ الريح.

كان الأبطال قد أرسوا سفينتهم على الجانب الآخر لجزيرة الدوليونيس الكرام، غير أن بحارة الأرجو ظنوا أنهم قد رسوا على ساحل فروجيا، فلم يدرك المضيفون السابقون — الذين هبُّوا من نومهم مذعورين على صوت إرساء السفينة — أن أولئك القادمين هم ضيوفهم السابقون، وأصدقاؤهم الذين احتفلوا بهم وتناولوا معهم الطعام والشراب في مرح وسرور منذ يوم واحد فقط … فهَرعوا إلى أسلحتهم، وسَرعان ما قامت بين الفريقين معركةٌ حامية الوطيس، فقذف جاسون رمحه في قلب الملك نفسه، دون أن يدري القاتل من هو المقتول، ولا المقتول مَن قاتله. فلما رأى الدوليونيس ما حل بمليكهم، أطلقوا

العنان لأقدامهم، وولَّوا الأدبار يسابقون الريح، واختفوا في المدينة. وفي الصباح التالي اكتشف كلٌّ من الفريقين خطأه.

عندما رأى جاسون ورفاقه جثة الملك الطيب كوزيكوس ترقد في بركة من دمائه الزكية، استولت عليهم الكآبةُ والوجوم، وعقد الحزن العميق ألسنتهم، فانهمرت دموعهم حارةً تكاد تُلهب وجوههم؛ فقد جازوا الإحسان بالإساءة ولو أن ذلك حدث عن غير قصد، وظلوا مع الدوليونيس يبكون الموتى ثلاثة أيام بلياليها، وكان أهل القتلى يمزقون شعورهم من شدة الحزن والكمد، وأخذوا يُعدُّون الولائم الجنائزية تكريمًا لمن سقطوا صرعى في المعركة.

بعد ذلك أقلع الأبطال يستأنفون رحلتهم ... أما كليتي Clite الحسناء، زوجة الملك المقتول، فقد شنقت نفسها بحبل؛ إذ لم تُطِق البقاء بعد أن مات زوجها.

هرقل يتخلف

هبت العواصف على السفينة من كل جانب، وأخذت تعبث بها الرياحُ في صخب، فرسا الأبطال على مدينة كيوس Cius في خليج بيثونيا Bithynia، فاستقبلهم الموسيون Mysians سكانُ هذه المدينة استقبالًا رائعًا، وجمعوا لهم أكوامًا من الحطب الجاف وأشعلوا نارًا يستدفئون بها؛ كما أعدوا لهم فراشًا من أوراق الأشجار الخضراء، وبالرغم من أن الظلام قد أقبل ولفَّ المكان في غِلالة دكناء، فإن أهل المدينة استمروا يخدمونهم ويقدمون لهم الطعام والشراب بكميات وافرة.

لما كان هرقل لا يميل إلى أي لون من ألوان الترف ويعُدُّه مفسَدةً للرجل، فقد ترك رفاقه ينعمون بالوليمة، وأخذ يضرب وسط الغابة الكثيفة ليصنع لنفسه من أخشابها مجدافًا أقوى من المجاديف التي بالسفينة؛ استعدادًا للعمل الذي ينتظره في صباح الغد، فصار يتفحص أشجار الغابة حتى عثر على شجرة صنوبر خشبها صلب قوي، كانت عينَ ما يصبو إليه ويبغي؛ فلم تكن غليظة جدًّا ولا كثيرة الأغصان، وكانت في حجم شجرة حور رفيعة، وكانت مستقيمةً مستويةً كأنما قد نمت وكبرت وأخذت ذلك الشكلَ لمثل الغرض الذي يريدها هرقلُ من أجله.

وضع هرقل قوسه وجَعبتَه جانبًا، وخلع عنه جلد الأسد، وألقى هِراوته إلى جانبه، ثم أمسك بجذع الشجرة بكلتا يديه، وجذبها جذبةً قويةً انتزعتها من منبِتها هي وجذورها؛ والطين لا يزال عالقًا بها، حتى لَيُخيَّلُ إلى الرائي أن عاصفةً قد اقتلعتها من التربة.

كان هرقل في إحدى المعارك قد قتل بطلًا في حملة ضد الدريوبيس Dryopes، وكان لذلك البطل ابنٌ حَدَثٌ يُسمى هولاس Hylas، فأخذه هرقل ونشَّأه معه حتى كِبر وأصبح خادمه وصديقه.

ترك هولاس الوليمة أيضًا، وأخذ جرَّةً من البرنز ليملأها ماءً لسيده وصديقه إذا احتاج إلى الماء عند عودته، فلما بلغ الصبي الجميل البئر، وكان القمر بدرًا، انحنى فوق الماء والجرَّةُ في يده، فأبصرته حورية البئر؛ أبصرت شابًّا يافعًا طويل القامة صلب العود ساطع الطلعة حلو القَسِمات، ذهبي الشعر، فسَحَرها جماله الفتَّانُ، حتى لقد طوقته بذراعها اليسرى؛ على حين أمسكت مرفقه بيمناها وجذبته إلى أعماق البئر.

صرخ الصبي مستغيثًا يطلب النجدة، فسمعه أحد الأبطال، ويُدعى بولوفيموس Polyphimus، وكان جالسًا ينتظر هرقل بالقرب من البئر، فهبَّ مسرعًا إلى مصدر الصوت ليخلِّصَ الصبي، بيد أنه لم يعثر عليه كأنما الأرض قد ابتلعته .. وما إن شاهد هرقل مقبلًا من الغابة حتى ناداه قائلًا: «معذرةً أيها السيد، ما كنت لأود أن أكون أول من ينبئك بخبر يشقُّ عليك سماعه، لقد ذهب صديقك هولاس إلى البئر ولم يعُدْ، لا بُدَّ أن يكون قد قابله أحدُ قاطعي الطرق واختطفه، أو ربما يكون قد قتله، كما أنه يجوز أن يكون حيوان مفترس قد فتَك به .. لقد سمعته بنفسي وبأذنيَّ هاتين يصيح في يأس وقنوط مستغيثًا.»

ما إن سمع هرقل ذلك النبأ حتى تميز غضبًا، واتَّقد غيظًا، وجاش قلبه حزنًا وكمدًا، فتدفق العرق غزيرًا من جبينه، واندفعت الدماء تغلي في عروقه، وبَخَعه الألمُ بلواعجه ... وفي سَورة الغضب ألقى بشجرة الصنوبر جانبًا، واندفع كثور هائج لدغته النُّعَرة فترك القطيع والرعاة، وأخذ يعدو خلال الأحراج والغابات حتى بلغ البئر وهو يصيح صيحاتِ الحزن والألم والجزع.

أصبح الصباح الوردي، وأشرق نجمه فوق ذؤابة الجبل، فهبَّت رياح مواتية، وعندئذٍ حثَّ مدير الدفة الأبطال على أن يهتبلوا فرصة هذه الرياح ويُقلعوا في الحال، فتسابق البحارة إلى السفينة يصعدون على ظهرها، ويتخذ كل منهم مكانه فيها في ضوء الفجر الأحمر، وبينما هم ينزلقون في غبطة وسرور على صفحة الماء، والريح رُخاءٌ تملأ الشراع وتدفع السفينة قُدُمًا إلى الأمام بسرعة فائقة؛ إذ تذكروا بعد فوات الأوان أنهم تركوا اثنين من خيرة الأبطال على الشاطئ، وهما هرقل وبولوفيموس.

عندما اكتشف الأبطال هذا الأمر، دبَّ بينهم شجار عنيف ونقاش حاد؛ كيف يصح أن يبحروا بدون رفيقيهم الشجاعَين المغوارين؟ لم يَنبِس جاسون ببنت شفة، ولاذ بالصمت والحزنُ يأكل قلبه ويستولي على مشاعره، يستشف الرائي من عينيه ذلك الهاجسَ الأسود الذي هجَس في نفسه فروَّعها وملأها لوعة وكَمَدًا، فجلس منطويًا على نفسه وقد ذهبت

به الأفكارُ شتى المذاهب ... أما تيلامون Telamon فقد استشاط غضبًا ولم يتمالك نفسه من هول الصدمة العنيفة، فصاح في قائد الأبطال قائلًا: «كيف تجلس في مكانك صامتًا هادئًا هكذا؟ أظن أنك تخشى أن يتفوق هرقل فينال من بسالتك! ولكن لِمَ أضيع وقتي في الحديث؟ فلو وافقك حشْدُنا على مسلكك هذا، فإني أنا وحدي سأعود إلى البطل الذي تركناه على الشاطئ.»

وما أتم تيلامون كلامه هذا حتى انقض على تيفوس مديرِ الدفة، وأمسك بصدره وجذبه جذبةً عنيفةً وكاد يجبره على الاتجاه بالسفينة صوب بلاد الموسيين، لولا أنْ قبض على ذراعيه كلٌّ من زيتيس Zetes وكاليس Calais ولدَي بورياس Boreas، وجذباه إلى الخلف وهما يعنِّفانه على ما صدر منه ... بيد أنه حدث وهم يتعاركون أنْ برز لهم من بين الأمواج المتلاطمة جلاوكوس Glaucus رب البحر، وأمسك بدفة السفينة بيده القوية، وصاح في البحَّارة بقوله:

«لا يَدِبَّنَّ الخلاف والنزاع بينكم أيها الأبطال الأمجاد، ولا تتراشقوا بجارح الألفاظ، فلن تأخذوا معكم هرقل، الذي لا يخشى بأسًا، إلى بلاد أييتيس ضد إرادة زوس ... إن القدر لَيحتفظُ به لمهامَّ أخرى غير مهمتكم، لقد أبصرت إحدى الحوريات الشابَّ الجميل هولاس، فهامت بحبه وبرح بها الهوى حتى إنها خطِفته، ولما كان هذا الفتى صديقًا لهرقل، ولا يستطيع أن يرجع بدونه، فقد تخلف عنكم من شدة شوقه إليه.»

فلما أماط رب البحر اللثام عن هذه الحقائق، وأنبأ بها الأبطال حتى لا تنفصم عُرى الصداقة بينهم، وينشقَّ بعضهم على بعض، وربما تسوء العاقبة فيُفني بعضُهم البعض الآخر، غطس ثانيةً في البحر، وابتلعته المياه الزرقاء كما جاء. عند ذلك احمرَّ وجه تيلامون خجلًا، ثم ذهب إلى جاسون واعتذر له عما بدر منه، ووضع يده في يده وقال: «لا تحنَقْ عليَّ يا جاسون، فقد أفقدني الحزن العميق صوابي، وأطار لُبِّي، ودفعني إلى التسرع في الكلام، فلم أعِ ما كنت أقول، بل خرجت الألفاظ من فمي دون وعيٍ ولا إدراك .. فلتذهب غلطتي هذه مع الرياح، ودعْنا يتمنى كل منا لأخيه أطيب الأماني كما كنا نفعل من قبل، وعفا الله عما سلف.»

سُرَّ جاسون سرورًا بالغًا لعودة السلام بينه وبين تيلامون، وانتشار الهدوء والطمأنينة بين الأبطال على ظهر السفينة ثانيةً. ثم أبحروا بعد ذلك عبر الأمواج الهادئة وقد خيَّمت عليهم ريحٌ معتدلة نقية.

هذا ما حدث على ظهر السفينة، أما من بقي على الشاطئ، فإن بولوفيموس أقام مع الموسيين وشيَّد لهم مدينة عظيمة، على حين استمر هرقل في سيره وتَجواله إلى حيث استدعته مشيئة الإله زوس.

بولوديوكيس وملك البيبروكيين

أشرقت شمس اليوم التالي ونثرت أشعَّتها الذهبية على صفحة الماء، فلاح مِن بُعْدٍ شبهُ جزيرة منبسطة إلى داخل البحر، فأدار الملاحون الأبطالُ السفينة نحوها وألقوا مراسيَها على شاطئها ... وكانت توجد في هذه الأرض حظائرُ أموكوس ملك البيبروكيين المتوحشين وبيته الريفي، وكان هذا الملك ذا قوة وسلطان، يفرض قانونًا صارمًا على جميع الأغراب.

ولما كان بطلًا مغوارًا لا يتصدى لقوته فارس، قويَّ الشكيمة صعب المنال، فقد فرض على كل غريب يرمي به حظُّه التعس العاثر إلى شبه الجزيرة هذه؛ ألا يغادرها قبل أن يلاكمه، وكانت الغلبة طبعًا لهذا الملك البطَّاش ذي القوة الخارقة، وبذا تخلص من عدد غفير من جيرانه، وعاش هو وشعبه المتوحشون لا ينغِّصُ عيشَهم مهاجم ولا يجرؤ على الاقتراب من أراضيهم قادم.

أبصر أموكوس السفينة تقترب من الشاطئ وتلقي مراسيها، فضحك ملءَ شِدْقيه ساخرًا من أولئك التعسين الذين ساقهم القدر إلى حتفهم، فدنا من مرسى السفينة قبل أن تطأ أقدامُ من فيها أرضه، وتحدى المجدِّفين قائلًا: «اسمعوا يا قراصنة البحار، وسفلة الشعوب الأشرار، وأرهِفوا سمعكم لما أقول، هناك أمر واحد يجب أن تعرفوه تمام المعرفة: ليس لغريب قط أن يبرح بلادي دون أن يتلاكم معي .. ومن ثَم آمرُكم أن تختاروا أقوى رجل فيكم وترسلوه إليَّ، وإلا كان مصيركم كلِّكم الهلاك وبئس المصير.»

كان بين بحارة الأرجو بطل الإغريق في الملاكمة ويُدعى بولوديوكيس، وهو نجل ليدا Leda، فلما سمع كلام أموكوس وغطرسته، ثارت ثائرتُه وجاش قلبه حقدًا على ذلك الغِرِّ الذي تحدَّى جميع الأبطال، وبطِش بكل من تقدم لملاكمته، في غير رحمة ولا شفقة. فنزل إلى البر وسعى إلى الملك قائلًا: «اختصر الحديث يا هذا؛ فإني على أتم استعداد لملاكمتك، والويل لمن يصرخ أولًا.»

تطلَّع ملك البيبروكيين إلى البطل المقبل، وأدار مقلتَي عينيه في محجِرَيهما كما تدور عينا الأسد الجبلي الجريح، وأخذ ينظر إلى ذلك الشخص الذي سخِر من تحديه؛ من قمة رأسه إلى أخمص قدمه؛ كأنما يَزِنُ قوته، ويبحث في جسم غريمه عما جعله يُقدم على قبول الملاكمة والنزال بتلك الجرأة التي لم يعهدها فيمن سبقوه. ولكن بوديوكيس لم يأبه لنظراته ولم يُعِرْه أيَّ اهتمام، بل كان ساكنًا هادئ الروع كأنه مدعو إلى وليمة، وراح يضرب الهواء بذراعيه ليرى: هل فقدتا ليونتهما من ساعات التجديف الطويلة.

وما إن غادر الأبطال السفينة ووطئوا اليابسة حتى احتل المتلاكمان أماكنهما؛ الواحد تجاه الآخر، وجاء أحد عبيد الملك بزوجين من قفازات الملاكمة، وألقى بهما على الأرض بين الغريمين، فقال أموكوس لخصمه: اختر لنفسك القفاز الذي يروقك؛ فإنني لا أريد ضياع الوقت في الاقتراع على القفازات .. فسَرْعان ما ستعترف أنني صباغ ماهر أستطيع تلطيخ الخدود بالدماء.»

ابتسم بولوديوكيس ابتسامة هادئة، ثم التقط القفاز القريب منه، وترك أصدقاءه يتولَّون ربْطه حول معصميه، وكذلك فعل ملك البيبروكيين، ثم بدأت الملاكمة، فهجم الملك على الإغريقي كالموجة العاتية التي تنقضُّ على السفينة، فيحاول مدير الدفة الحاذق أن يتفادى منها بأقصى صعوبة، ولم يترك لغريمه فسحةً من الوقت يستطيع فيها أن يأخذ نفَسه .. ومع ذلك فقد نجح بولوديوكيس بطل الملاكمة المبرِّز في أن يروغ من الضربات القاصمة التي كان الملك يكيلها له كيلًا، دون أن يصيبه جرح ولا أذًى.

كان بولوديوكيس مُرَّ العود، صُلب المَكسِر، مُلمًّا بأفانين الملاكمة وخوافيها؛ فسَرْعان ما اكتشف موطن الضعف في خصمه، وأخذ يمطره وابلًا من اللكمات التي لم يستطع لها تفادًيا ولا تحاشيًا. غير أن الملك كان لا يترك فرصة تظهر له في الأفق دون أن ينتهزها؛ ومن ثَم كانت الفكوك تترنح تحت وطأة اللكمات، وتتزعزع الأسنان إثر كل ضربة تعقُبها أخرى، ولم يكُفَّ الطرفان عن الملاكمة إلا بعد أن أخذ منهما التعبُ كل مأخذ، وراحا يلهثان من شدة التعب، فاضطر كل منهما إلى أن يتنحى جانبًا؛ ليستريح ويجفف العرق الذي كان ينهمر غزيرًا من جميع مَسامِّ جسده.

مضت فترة وجيزة، استأنف البطلان بعدها الملاكمة، فأخذت اللكمات الجبارة تَتْرى تباعًا دون إبطاء ولا هوادة، وكان من العسير حسم النِّزال، لولا أن أموكوس أخطأ رأس غريمه وجاءت الضربة في كتفه؛ على حين هوى عليه بولوديوكيس بضربة قاضية خلف أذنه هشمت عظام رأسه، فخر على ركبتيه يترنح وهو يصرخ من شدة الألم.

صاح ملاحو الأرجو صيحة الفرح والغبطة لانتصار رفيقهم على ذلك الجبار العاتي؛ بيد أن قوم البيبروكيين أقبلوا لمساعدة مليكهم، وانقضوا على بولوديوكيس بهِراواتهم ورماحهم، فلم يقف زملاؤه مكتوفي الأيدي، بل انبروا بهراواتهم وبالسيوف، وأعملوا فيهم التقتيل والتنكيل، فلم يَسَع البيبروكيين إلا أن يطلقوا العِنان لأقدامهم يسابقون بها الريح؛ ملتمسين النجاة في مخابئ بلادهم، فلما رأى الأبطال هزيمة أولئك الجبناء الرعاديد، دخلوا حظائرهم واستولوا على قطعان الماشية والأغنام، وأمضوا الليل على الشاطئ بقرب سفينتهم، يضمدون جراحهم ويقدمون الذبائح للآلهة، وقضوا ساعات الدُّجى يحتسون الخمر المعتَّقة ويأكلون من الشواء الشهي.

ثم قطع الأبطال الأغصان من الشجرة التي ربطت فيها الأرجو، وصنعوا منها أكاليل طوَّقوا بها رءوسهم، وطفِقوا ينشدون أناشيد النصر؛ في حين كان أورفيوس يعزف على قيثارته ألحانًا شجيةً، حتى بدا الشاطئ وكأنه يُصغي في زَهْو وسرور إلى مديح الأبطال لصديقهم بولوديوكيس بن زوس الذي كسر شكيمة الملك المتغطرس، وأذل كبرياءه، وخرج من المعركة ظافرًا منتصرًا.

فينيوس والطيور الملعونة

أقبل الفجر يُطلُّ من نافذة السماء، فوضع نهاية لوليمتهم، وصعِد الأبطال على ظهر السفينة يحملون إليها قطعان الماشية والأغنام والأطعمة الأخرى التي غنموها، وما إن تنفَّس الصبح واختال السحاب في جنبات السماء، حتى كانت الأرجو تشق عُبابَ اليمِّ بقوة سواعد الأبطال التي لم تعرف الكَلال ولا التعب، وكانت الرياح تعبث بالسفينة حينًا وتهادنها حينًا آخر، والأمواج الصاخبة ترتفع بها تارةً وتنخفض أخرى، واستمروا كذلك في طريقهم، فإذا لاحت لهم أرض رسوا عليها وقاموا فيها بمغامرات، حتى بلغوا بلاد بيثونيا التي كان يقطن فيها فينيوس Phinius ابن البطل أجينور Agenor، وكان فينيوس هذا قد حلَّت به مصيبة ما بعدها مصيبة؛ وسببها أنه سخِر من هدية النبوءة التي منحه إياها أبولو، فأصابه العمى في شيخوخته، ولو وقفت المصيبة عند هذا الحد لهانت ولأمكنه أن يطيقها في غير تذمر ولا تأفف، ولكن الأدهى والأمرَّ أنه كلما أراد أن يتناول طعامه، كانت تنقضُّ عليه طيور متوحشة شريرة شبيهة بالساحرات، وكانت تُدعى باسم هاربييس، فكانت تلتهم ما أمامه من طعام في شراهة ونَهَمٍ فلا تُبقي له إلا النَّزْر اليسير، ويا ليتها تتركه صالحًا للأكل! بل تلوِّثه وتدنِّسه بطريقة تجعل النفس تَعافُ تناوله.

ظل فينيوس يعاني الأمرَّين من العمى والطيور الملعونة؛ حتى وهَن جسمُه ونحَل عودُه وأصبح هيكلًا من العظام لا قوة له ولا حول، ولم يكن له في الدنيا سوى أمل واحد، فقد كانت نبوءةٌ من زوس تقول إن فينيوس يستطيع أن يتناول طعامه في هدوء لا يعكِّر صفوه معكِّر، ولا تقرَبه تلك الطيور اللعينة؛ إذا أقبل أبناء بورياس مع المجدِّفين الأغارقة؛ ومن ثَم، عندما سمع ذلك الهرِم المسنِّ بوصول سفينة الأرجو، غادر غرفته وقد جعل

الجوعُ منه محضَ شبح، ترتعد أطرافه من الضعف، ولا يستطيع السير إلا متكئًا على عصًا غليظة؛ لأنه كان يترنح في مشيته من شدة الوهن، فما إن وصل إلى بحارة الأرجو حتى سقط من الإعياء والتعب على الأرض الصماء.

عندما أبصر الأبطال ما حل بزائرهم، التفُّوا حوله وقد هالهم منظرُه، فلما سمعهم حوله، استجمع ما بقي من قواه، وتحدث إليهم متوسلًا بقوله: «أيها الأبطال الأشراف، أستحلفكم بالآلهة العظام، وبكل عزيز لديكم؛ أن تساعدوني لو كنتم حقًّا أولئك الذين تنبأت بهم النبوءة، إن ربة الانتقام لم تجرِّدْني من ناظري فحسب، بل سلطت عليَّ كذلك طيورًا لعينة تحرمني طعامي، واعلموا أنكم لن تقدموا معونتكم لأجنبي، فأنا إغريقي مثلُكم ومِن مواطنيكم .. أنا فينيوس بن أجينور، وكنت فيما مضى ملكًا على تراقيا، وابنا يورياس اللذان يجب أن يكونا شريكين لكم في ذلك المسعى، واللذان يتحتم عليهما إنقاذي؛ هما شقيقا كليوباترا Cleopatra الصغيران، وكانت تلك السيدة زوجتي عندما كنت ملكًا على تراقيا.»

وما إن أتم فينيوس كلامه حتى ارتمى زيتيس بن بورياس بين ذراعيه، وأخذ يقبِّله في شوق وحنان زائدين، ووعده بأن يقوم هو وشقيقُه بتخليصه من الطيور التي تنغِّص عليه عيشه وتوشك أن تقضي على حياته، ثم أعد الأبطال له وليمةً حافلةً بشتى صنوف الطعام؛ بيد أنه ما كاد يلمس الطعام حتى انقضَّت الهاربييس هابطةً من السماء، وهجمت على الطعام تلتهمه في جشع زائد؛ حتى أتت على ما في الصِّحاف، فصاح الأبطال صياحًا عاليًا، ولكنها لم تُعِرْ هذا الصياح التفاتًا، ولم تنزعج له، بل ظلت تأكل كأنْ لا شيء يحدث .. ثم طارت من حيث أتت بعد أن خلَّفت وراءها رائحةً جِدَّ كريهة.

اقتفى زيتيس وكاليس ابنا بورياس أثر الطيور شاهرين سيفيهما، وقد أعارهما زوس أجنحة كبيرة قوية، وقوةً لا تعرف التعب ولا الملل، وهذا ما كان في مسيس الحاجة إليه؛ لأن الهاربييس كانت تطير في سرعة دونها سرعةُ الريح الغربية.

فظلَّا يتعقبانها، وكادا يمسكان بها ويقضيان عليها، لو لم تظهر في الجو فجأةً أيرس Iris رسولةُ زوس، وخاطبت البطلين قائلةً: «أيْ ولدَي بورياس.. يجب ألا تُقتل الهاربييس المرسلة من لدن زوس .. ولكني أقسم لكما بالاستوكس Styx الذي يُقسم به الآلهة؛ إن هذه الطيور لن تزعج ابن أجينور أبدًا منذ هذه اللحظة.»

عندئذٍ كفَّ زيتيس وكاليس عن مطاردة الطيور، وعادا أدراجهما إلى السفينة.

في نفس تلك الفترة كان أبطال الأغارقة يبذِلون جُلَّ اهتمامهم نحو فينيوس العجوز، فأعدوا له وليمةً من الذبائح ودعَوْه إليها حيث الطيور مشغولة بمُطارديها، فراح الشيخ

الهَرِمُ الذي كان لا يزال على الطَّوى، يأكل في نهَمٍ زائد من الطعام النظيف الوافر، فخُيل إليه أنه في حلم وليس في يقظة؛ فهذه أولُ مرة منذ سنين عدة يأكل فيها كفايته.

أقبل الليل ونشر قبَّتَه الدكناء على المكان، فأوقد الأبطال المشاعل يهتكون بها تلك القبة، وجلسوا يتحادثون مع الملك المسنِّ؛ انتظارًا لرجوع ابني بورياس، واعترافًا بفضل الأبطال، أخذ فينيوس يتنبأ لهم بنبوءة ويسدي إليهم النصح بما يجب عليهم أن يفعلوه، فقال:

«ستصلون أولًا وقبل كل شيء إلى سومبليجاديس Symplegades في مضايق بحر يوكسيني Euxine؛ إنهما جزيرتان صخريتان لا ترتكزان إلى قاع المحيط، بل طافيتان على مياهه، وكثيرًا ما يجرفهما التيار فتقتربان بعضهما من بعض، وعندئذٍ يرتفع تيار الماء بينهما إلى ارتفاع شاهق في قوة جارفة. فإذا أردتم أن تتجنبوا تحطيم سفينتكم وهلاكَكم، فعليكم أن تجدِّفوا خلالهما بسرعة اليمام .. ثم تصلوا إلى بلاد الماريانـدوني Mariandyne التي تفخر على جميع البلاد بأنها مدخل العالم السفلي، ولسوف تمرون بجبال كثيرة داخلة في البحر، وبأنهار وسواحل عدة، وبأمة الأمازونيات وبلاد الخالوبيس Chalybes الذين يستخرجون الحديد من باطن الأرض بعرق جبينهم، وأخيرًا ستذهبون إلى ساحل خولكيس حيث يصب نهر فاسيس الواسع في البحر. وسترون معقل الملك أييتيس حيث تجدون الأفعوان الضخم الذي لا يغمض له جفن، والذي يسهر ليل نهار على الجِزَّة الذهبية المعلقة على أغصان إحدى أشجار البلوط؛ ليحرسها من أيدي المعتدين وطمع الطامعين.»

لم يستطع الأبطال إخفاء رعبهم وهم يُصغون إلى الهرِم المسن، وما كادوا يوجهون إليه بعض الأسئلة حتى هبط ابنا بورياس بينهم، فأشاعا السرور في قلب الملك والأبطالِ بإعلانهما رسالةَ إيريس الجميلة.

أثينا تنقذ الأبطال من الموت

أما عن غبطة فينيوس وفرحه بخلاصه من الهاربيس، فحدِّث عنهما ولا حرج، فبعد أن اتسم أمْسُه بالبؤس، اتسم يومه بالسرور، فتلألأ وجهه بِشرًا، وراودته الآمال والبهجة تزِفُّ إلى نفسه الهناءة والسعادة، وأيُّ حلم أروع وأحنى من ذلك لفؤاده الذي خيم عليه الحزن والكآبة سنين عدة! فظل غارقًا في نشوة الفرح، مستسلمًا إلى سروره الجم، وكان الأبطال لا يقلون عنه بهجة وجَذَلًا.

ودع فينيوس محرريه الأبطال بنفس تفيض بالشكر الجزيل، وتمنَّى لهم حظًّا سعيدًا، ثم تركه الفرسان الملاحون، وأقلعوا بسفينتهم عبر الخضم المترامي الأطراف إلى مغامرة جديدة. غير أنهم ما كادوا يبتعدون عن الشاطئ حتى هبت عاصفةٌ هوجاءُ من الشمال الغربي، وظلت ثائرةً تعصف بالبحر وما فيه ومن فيه أربعين يومًا كاملةً، لاقى خلالها الأبطالُ صنوف الأهوال، وتوقف تقدُّمهم في البحر، فاضطروا إلى تقديم الذبائح وإقامة الصلوات للآلهة الاثني عشر مرةً أخرى. وإذا سفينتهم تسير في طريقها من جديد، وقد هدأت العاصفة وسكن الموج، فسار المركب سريعًا في لين، ينزلق على صفحة الماء حثيثًا، وبينما الأبطال يجدِّفون بعزيمة وقوة؛ إذ بصوتِ رعد قاصف يصمُّ الآذانَ يصل إلى مسامعهم.

كان ذلك الصوت هو زئير السومبليجاديس وهم يتضاربون وينتكصون، وقد ردد الفضاء صداه، وتجاوبت السماء بترديده من شاطئ إلى شاطئ، وامتزج به خرير البحر المُزبِد الصاخب. فوقف تيفوس مدير الدفة يقظًا عند ذراع السكان، كما وقف يوفيموس Euphemus اليافع في مكانه حاملًا يمامةً في يده اليمنى؛ لأن فينيوس كان قد أخبرهم أنه لو طارت يمامةٌ بسلام من بين الصخور، فإنهم يستطيعون كذلك اختراق الممر آمنين. فترك يوفيموس اليمامة تطير، فارتفعت وراءها جميع الرءوس تلاحقها بأبصارها

... مرَقت اليمامة طائرةً ولكن الصخرتين كانتا تقتربان بعضهما من بعض، وأزبدت الأمواج وارتفعت في المضيق الضيق، وامتلأ الفضاء والبحر بالضجيج والصخب، ثم إذا بالصخرتين تلتقيان وتُطبِقان على ريش ذيل اليمامة، ولكنها مع ذلك مرِقت دون أن يصيبها أذًى؛ ومن ثم شجَّع تيفوس المجدِّفين بصوت مرتفع أن يسرعوا في التجديف بكل ما أوتوا من قوة.

انفصلت الصخرتان، فإذا بالتيار الجارف بينهما يسحب السفينة في اندفاعه، فكان الأبطال عندئذٍ مهدَّدين بالهلاك من كل جانب ... ثم أقبلت موجة عاتية صوْبَهم، فكان منظرها مَدعاةً إلى الرعب والفزع؛ حتى إن الملاحين الشجعان، الذين طالما واجهوا الأخطار في جرأة وجسارة، ارتدوا في أماكنهم مذعورين .. عندئذٍ أمرهم تيفوس بالكف عن التجديف، فمرت الموجة الصاخبة متدفقةً أسفل قاعدة السفينة، وإذا بالسفينة تُحمل عاليًا فوق الصخرتين وهما تقتربان لتُطبِقا الواحدة على الأخرى .. فضغط المجدِّفون بشدة على المجاديف حتى بدت أطرافها الرقيقة المفلطحة؛ كأنها قد تقوَّست وانثنت. ثم حملتهم الدوامة من جديد وهبطت بهم إلى أسفل بين الصخرتين؛ حتى كادت السفينة العظيمة تتحطم بهم تحطيمًا لا تقوم لها من بعده قائمة، إلا أن الربة أثينا، حامية بحارة الأرجو، أقبلت مسرعةً دون أن يراها أحد، ودفعت السفينة إلى الأمام، فأنقذت الأبطال من الهلاك والسفينةَ من التحطيم المؤكد، فمرت السفينة بسلام بعد أن بلغت رُوح الرجال حناجرهم، ولم تُصَبْ بسوء إلا في طرف ذراع الدفة الذي أطبقت الصخرتان عليه فهشَمت جزءًا يسيرًا منه.

حقًّا ما كان للسفينة أن تمر آمنةً هكذا بعد أن أيقن ركابُها من أن الطامَّة نازلة بهم لا محالة. فلما أبصر الأبطال الشمس تضيء في كبد السماء وترسل نورها على سطح البحر المتلألئ، ورأوا البحر الفسيح أمامهم مرةً أخرى؛ ذرَفوا دموع الفرح وراحوا يستنشقون الهواء في عمق؛ إذ أحسوا كأنهم قد صعِدوا من العالم السُّفلي وكُتبت لهم أعمار جديدة ... فصاح تيفوس قائلًا: «لم يحدث كل هذا بمحض قوتنا وتدبيرنا؛ إذ لابد أن هناك يدًا خفية انتشلتنا ودبَّرت نجاتنا، لقد أحسست أن ورائي يدَ أثينا المبجَّلة تدفع السفينة بقوة فائقة عبر الصخرتين ... وإذ قد نجونا من هذا الخطر الداهم، فليس أمامنا بعد ذلك ما نخافه ونخشاه؛ لأن فينيوس أخبرنا أنه بعد زوال هذه المحنة، سيكون ما بقي أمامنا من أعمال يسيرًا هينًا.»

عندئذٍ هزَّ جاسون رأسه في حزن وأسًى، وقال: «أيْ تيفوس الطيب القلب، لقد جربت الآلهة بالسماح لبيلياس أن يفرض عليَّ هذه المهمةَ الشاقة المَحوطةَ بالأخطار الجِسام ...

وكان حريًّا بي أن أتركه يحطمني، والآن ينبغي أن أقضيَ الأيام والليالي في حزن وأنين، لا من أجل شخصي، ولكن من أجل أرواحكم وهنائكم ... وأن أفكر في طريقة إنقاذكم من الخطر والعودة بكم سالمين إلى الوطن.»

قال جاسون هذه العباراتِ لكي يختبر رفاقه، ويعلمَ مكنونات صدورهم، ولكنهم جميعًا هتفوا باسمه، وقدَّموا له فروض الطاعة والولاء، ولم يطلبوا شيئًا أفضل من أن يتبعوا قائدهم ورائدهم المحبوب إلى النهاية، أينما توجَّه، وحيثما أبحر.

مغامرات أخرى

استمر الأبطال في إبحارهم بعزيمة لا يتطرق إليها الملُ ولا تعرف الكلال أو السأم ... ومرِض تيفوس مدير دفتهم وموجِّهُ سفينتهم المخلص المحنَّك، ثم اشتد به المرض وأسلم الروح إلى بارئها، فحزن الأبطال وانقلبت بهجتهم وجومًا، واستحال سرورهم كمدًا وهمًّا، وعقَد الحزنُ ألسنتهم وبلبل أفكارهم، وظلوا كذلك واجمين مهمومين كأن على رءوسهم الطير، حتى أفاقوا من غشيتهم وأخذوا يُعدون العُدة ليدفنوه في شاطئ قريب، فأرسوا سفينتهم على أول يابسة ظهرت لهم في الأفق، وخرجوا بالجثة إلى البَر، فوارَوه بالتراب، وقاموا بفروض التبجيل لزميلهم، ثم ركبوا سفينتهم، واختاروا أقدرهم في فن القيادة ليحل محلَّ تيفوس في قيادة الدفة، ولم يكن هذا سوى البطل الصنديد أنكايوس Ancaeus، ولكنه رفض بشدة أن يقوم بمهامِّ ذلك المنصب الشاق، حتى أقبلت الربة هيرا وملأته بالشجاعة والثقة، فقبِل بعد تردُّد، واحتل مكانه عند الدفة وقاد السفينة كما كان يفعل تيفوس من قبل.

قاد أنكايوس السفينة بمقدرة وكفايةٍ اثني عشر يومًا، ثم شقوا طريقهم صوب البحر المترامي الأرجاء، وسَرعان ما بلغوا مصبَّ نهر كاليخوروس Callichorus وجميعُ أشرعتهم منبسطة.

وهناك فوق أكَمة قريبة من شاطئ البحر، رأوا قبر البطل سثينيلوس Sthenelus الذي كان قد ذهب مع هرقل لمهاجمة الأمازونيات، فأصابه سهم أرداه قتيلًا، ومات في ذلك المكان، وكان الأبطال على وشْك استئناف الرحلة، لولا أن ظهر لهم شبح سثينيلوس الحزين، الذي أطلقته بيرسيفوني Persephone ليصعد من العالم السفلي Hades، وراح يحملق في رفاقه في شوق وتلهُّف زائدين. لقد وقف فوق قمة الأكمة، وأخذ ينظر إليهم؛ كما كان يفعل تمامًا يوم ذهب إلى القتال وعلى رأسه خوذة ترتفع منها أربع ريشات

أرجوانية. غير أنه سرعان ما اختفى بعد مدة قصيرة، فهبط من جديد إلى أعماق الأرض الكئيبة. فأوقف الأبطال مجاديفهم وقد أذهلتهم رؤية الشبح، ولم يدرك أحد منهم سوى موبسوس Mopsus العرَّاف ماذا كانت الروح المختفية تطلب وتريد؛ فنصح رفقاءه بتقديم سكيبة لتهدئة روح الرجل المقتول، وفي سرعة البرق خفض الملاحون الأشرعة، وأرسَوا السفينة إلى البر، وانتظموا حول القبر، وسكبوا فوقه السكائب، وذبحوا الخراف السمينة وأحرقوها …

بعد ذلك عاد الأبطال إلى الأرجو واستأنفوا رحلتهم، فوصلوا بعد مدة إلى مصب نهر ثيرمودون Thermodon الذي لا يوجد نهر يشبهه في العالم كله؛ إذ كان ينبَع من مكان قصيٍّ جدًّا وسط الجبال النائية، ولكنه بعد أن يغادر منبعه، سرعان ما يتفرع إلى عدة فروع عظيمة، ويتدفق صوب المحيط في مجارٍ عدة، بلغ عددها من الكثرة حتى إنه ما كان يحتاج إلا إلى أربعة فروع؛ ليكون ذا مائة فرع، وكانت هذه الفروع تتزاحم على البحر الفسيح كأنها ثعابينُ متلوية.

كانت الأمازونيات يقطُنَّ عند أوسع مجرًى لهذا النهر، وقد انحدرت أمة النساء هذه من الرب آريس Ares، واحترفْن مهنة الحرب والقتال، فلو رسا بحارة الأرجو على ذلك المكان، لكان لزامًا عليهم أن يشتبكوا معهن في حرب طاحنة؛ إذ كانت شجاعة هؤلاء النسوة تعادل شجاعة أقوى الرجال الأبطال. ولم تَعِش الأمازونيات في مدينة واحدة، بل تفرَّقْن وتناثرن هنا وهناك في قبائل متباعدة وأماكن متباينة.

هبت ريح من الغرب على سفينة الأرجو، فأبعدتها من شاطئ الأمازونيات، وبذا جنَّبت الأبطالَ الاصطدام بهذه المخلوقات الغريبة. وبعد يوم وليلة، تمامًا كما قال فينيوس، وصلت السفينة إلى أرض الخالوبيس التي لم يسبق لأهلها أن حرثوا الأرض، أو بذروا الحَب، أو زرعوا أشجار الفاكهة، أو اشتغلوا برعي الماشية أو الأغنام في المروج الخضراء، بل كان عملهم الوحيد التنقيب في الأرض الصُّلبة؛ بحثًا عن الذهب والحديد واستبدال الطعام بهما … وكانوا يشتغلون في حفر مظلمة داجية كأنها الليل الحِنْدِس، وفي وسط الدخان السميك، فلم يحدث للفجر قط أن أطلَّ عليهم وهم يمرحون.

مر بحارة الأرجو في طريقهم بعدة شعوب أخرى، وذات مرة كانوا بقرب جزيرة أرتيا Artia أو جزيرة آريس Ares، فطار طائر مما يقطن تلك الجزيرة نحوهم، وأخذ يحرك جناحيه في الجو بضربات قوية، فلما صار فوق السفينة هز ريشه وأسقط ريشة مدبَّبة بقوة عظيمة، فاخترقت كتف أويليوس Oileus وآلمته ألمًا شديدًا؛ لدرجة أنه ترك المجاديف تفلت من بين أصابعه، فتطلع الزملاء إلى تلك القذيفة المجنَّحة في دهشة وعجب، وقام

أقرب رفاقه بإخراج الريشة من كتفه، وضمد الجرح العميق الذي أحدثته .. وسرعان ما ظهر طائرٌ ثانٍ في الجو واقترب من السفينة، ولكن كلوتيوس Clytius كان له بالمرصاد وهو ممسكٌ بقوسه في يده، فصوَّب إليه أحد سهامه، فأصابه وهو يطير، وسقط في السفينة.

كان من بين أبطال الأرجو أمفيداماس Amphidamas البحَّار الخبير والملاح المدرب، فلما رأى الطائرَين وما حدث لزميله أويليوس، قال للجمع: «إن الجزيرة قريبة، فكونوا على حذر من تلك الطيور؛ إذ يَحتمِل أن يكون هناك منها جمع غفير، فلو رسَونا على شاطئها لفتكت بنا هذه الطيور، وليس لدينا ما يكفي من السهام لقتلها كلها .. إذن هيا بنا نفكر في طريقة لإبعاد هذه الطيور عنا .. فلنرتدِ جميعنا خوذاتِنا بريشاتها الطويلات المدلاة، ونتبادل التجديف فيما بيننا، وفي نفس الوقت يكون بعض من الرفاق يزخرف السفينة بالمزاريق والدروع البراقة .. وبعد ذلك نصيح كلُّنا بأعلى أصواتنا صيحات الفزع، فعندما تسمع الطيور أصواتَنا القوية، وترى الرياش المتموجة، والمزاريق الحادة، والدروع المتلألئة؛ ستطير مذعورة بعيدًا عنا، وتعود أدراجها إلى جزيرتها هاربةً بأقصى ما تستطيع أجنحتها أن تحملها.»

لقي هذا الرأي موافقة الأبطال، فقاموا في الحال بتنفيذ ما أشار به أمفيداماس، وعند اقترابهم من الجزيرة لم يروا فيها أيَّ مخلوق حي، غير أنهم ما إن اقتربوا تمامًا من الشاطئ، وجلجلت الرماح في الفضاء؛ حتى طارت أسراب عدة لا تقع تحت حصر من هذه الطيور، واتجهت صوب السفينة وهجمت عليها كأنها عاصفة هوجاءُ .. وكما يغلق المرء نوافذ بيته اتقاءَ البرد، كذلك غطى الأبطالُ أنفسَهم بدروعهم، فسقطت قذائف الريش الحادة فوق الدروع مُحدِثة أصواتًا مدوية، ولكنها لم تُصِب أحدًا من الأبطال بأقل أذًى، فلما رأت الطيور التي تُسمى الستومفاليديس Stymphalides؛ أن أولئك القوم متعذرو المنال صِعاب المَكسِر، طارت بعيدًا إلى الشاطئ المقابل؛ على حين اتبع الملَّاحون نصيحة الملك فينيوس العرَّاف، وألقوا مراسيَهم عند الجزيرة.

صعِد الأبطال إلى شاطئ الجزيرة المرتفع عن البحر، فوجدوا هناك أصدقاءَ ورفقاء لم يكونوا يتوقعون رؤيتهم، فما كادوا يطئون أرض الجزيرة ويتقدمون بضع خطوات، حتى أقبل إليهم أربعة من الشُّبان في ملابس رثَّة وأسمال بالية، يدل مظهرهم على احتياجهم إلى كل شيء من لباس وطعام. فتقدم أحدهم من الأبطال وقال: «سادتي الأمجاد، أيًّا كانت شخصياتكم، نرجو أن تساعدوا قومًا تحطمت سفينتهم، وبرَّح بهم الجوع والعُرْي كما

ترون. أعطونا ملابس تستر أجسامنا وتدفع عنا الحَرَّ اللافح والبرد القارس، وتصدقوا علينا ببعض من الطعام يسد جوعنا ويمسك رمقنا.»

وعد جاسون أولئك الشبان بأن يقدم لهم الطعام واللباس، وسألهم عن أسمائهم ونسبهم وموطنهم، فأجاب الشاب: «لا بُدَّ أنكم يا سيدي قد سمعتم عن فريكسوس بن أثاماس، إنه هو الذي حمل الجِزَّة الذهبية إلى كولخيس، لقد زوجه الملك أييتيس كبرى بناته، إننا أبناؤه، واسمي أرجوس، لقد مات أبونا فريكسوس منذ مدة وجيزة، وإطاعةً لرغبته عندما وافته منيَّتُه ركبنا البحر بحثًا عن الكنوز التي تركها في مدينة أورخومينوس.»

دَهِش الأبطال لتلك المصادفة الغريبة؛ فإنهم كانوا يعرفون والد الشبان وجَدَّهم. وتقدم جاسون وحيَّاهم تحية حارة كما لو كانوا أشقاءه؛ لأن جده كريثيوس كان شقيق أثاماس …

استأنف الشبان حديثهم وراحوا يقصُّون على مسامع بحارة الأرجو كيف تحطمت سفينتهم في عاصفة شديدة، وكيف تشبثوا بلوح خشبي ظل الموج يعبث به حتى أوصلهم إلى الشاطئ في تلك الجزيرة، وهي جزيرةٌ قاصدُها جائع، ومن يلتجئ إليها ضائع، ووصفوا لهم ما لاقوه فيها من البؤس والحرمان.

رثى الأبطال لحال الشبان وأعلموهم بأمرهم، وما هم قادمون من أجله، وطلبوا منهم الانضمام إليهم، فلم يتردد الشُّبان قط وأظهروا استعدادهم لمرافقتهم في رحلتهم قائلين: «إن جَدَّنا أييتيس رجل قاسٍ جبار .. ويُقال إنه ابن أبولو؛ ولهذا اعتباره نظرًا لقوته الخارقة، إن عددًا لا يُحصى من القبائل في كولخيس يخضع لحكمه وسلطانه، كما أن أفعوانًا مخيفًا ضخمًا يحرس الجِزَّة الذهبية.»

تملَّك بعضَ الأبطال ذعرٌ شديد عند سماع هذه الأنباء، وجمَد الدم في عروقهم وامتقعت وجوههم، واستولت عليهم شتَّى المخاوف وألوان الجزع، ولكن بيليوس نهض وقال: «لا تعتقدوا أنه لا بُدَّ لنا من أن نلقى الهزيمة على يد الملك كولخيس؛ لأننا نحن أيضًا أبناء آلهة، فلو رفض أن يقدم لنا الجِزَّة الذهبية طائعًا مختارًا، فلسوف نغتصبها منه تحديًا لقوته وقوة رجاله.»

بعد ذلك أقام الأبطال وليمة فاخرة للشبان الجياع، وظلوا أثناء الطعام يتحادثون حول ذلك الموضوع، ولما أصبح الصباح ركب الجميع السفينة، وكان الشبان قد طعِموا كفايتَهم وبدَّلوا ثيابهم. واستمرت الأرجو في رحلتها لا يعكر صفوَها أمواجٌ ولا رياح،

وبعد أن جدَّفوا يومًا وليلة، رأوا ذؤابات جبال القوقاز Caucasus الشامخة تلوح مِن بُعد فوق سطح البحر، فلما حل نور الغَسَق والسحر، سمعوا صوتًا فوق رءوسهم .. لقد كان النَّسر يطير إلى بروميثيوس Prometheus لينهش كبده .. لقد حلَّق النسر عاليًا فوق السفينة، وكانت ضربات جناحيه من القوة بمكان؛ حتى إن الأشرعة انتفخت من شدة الهواء الذي كانت تقذف به الأجنحةُ، وكأن ريحًا تهبُّ عليها فتملؤها، وبعد ذلك بمدة قصيرة سمعوا بروميثيوس يتأوه ويئنُّ عندما بدأ الطائر العملاق ينهش في أحشائه .. ثم مات الصوت بعد ذلك، ورأوا النسر يعود طائرًا عبر طبقات الجو العالية بعد أن طعم على كبد البطل المسكين التعس.

وصلت الأرجو في نفس هذه الليلة إلى مصب نهر فاسيس ... فأنزل الأبطال حبال السفينة بخفة وأخذوا يعملون بالمجاديف صوب النهر الواسع، الذي بدا ماؤه كأنما يرتدُّ أمام هيكل السفينة الضخم. وكان على يسارهم جبال القوقاز العالية، وكوتا Cyta عاصمة كولخيس، وعلى يمينهم مَرْجٌ فسيح منبسط يمتد إلى مسافات شاسعة، وقبر آريس المقدس حيث الأفعوان الضخم ذو العيون الحادة اليقظة؛ التي لا تغفُل عن حراسة الجِزَّة الذهبية المعلقة على الأغصان المورقة لإحدى أشجار البلوط الباسقة.

تقدم جاسون إلى جانب السفينة وهو يحمل في يده كأسًا ذهبية مملوءة خمرًا، وقدَّم سكيبةً للنهر وإلى الأرض الأم، وإلى أرباب ذلك القطر، وإلى الأبطال الذين قضوا نحبهم إبان الرحلة. وتوسل إليهم جميعًا أن يمنحوه المساعدة القيِّمة، ويراقبوا مراسي السفينة التي كان الأبطال على وشْك إرسائها على الشاطئ.

عندما ألقوا مراسيهم وثبتوا السفينة إلى الشاطئ، قال مدير الدفة: «ها قد وصلنا سالمين إلى كولخيس، وحان الوقت الآن لنقرر: هل يجب علينا أن نُبدي رغبتنا إلى الملك أييتيس بطريقة ودية، أو نلجأ إلى طرق أخرى للحصول على ما قدِمنا من أجله؟»

فصاح الأبطال المتعبون: «غدًا، وإن غدًا لناظره قريب»، وأمرهم جاسون بإلقاء المراسي في أحد الخلجان الظليلة في النهر، فرسَوا، ثم راحوا في سُبات حلو عميق، ولكن راحتهم لم تطُلْ؛ إذ سَرعان ما أقبل الفجر يهتِك حجاب الظلام بخنجره الفضي، فأشرق عليهم وأيقظهم.

جاسون في قصر أييتيس

لاحت تباشير الصباح، فتشاور الأبطال فيما بينهم عما سيتبعونه، فنهض جاسون وقال: «أيها الأبطال العظماء والرفاق النبلاء، إنني أُسدي إليكم رأيًا لو عملتم به لعشتم في سلام، ولَتجنبتم الالتجاء إلى حمل السلاح. سأتوجه أنا وأبناء فريكسوس واثنان من الزملاء، ونشق طريقنا إلى قصر الملك أييتيس، ولسوف أحاول أولًا طرق باب الكياسة والود، وأطلب منه بألفاظ رقيقة ليِّنة أن يعطينا الجِزَّة الذهبية، ولو أنني لا أشك إطلاقًا في أنه مِن فرْطِ ثقته بقوته سيرفض الطلب .. ولكننا بهذه الطريقة سنعلم من شفتيه ماذا يجب علينا أن نفعل، فقد يكون لكلامنا الرقيق أثر طيب في نفسه، ألم يحدث في مناسبة أخرى أنه قدَّم حماية وضيافة كريمتين للبريء فريكسوس عندما هرب من زوجة أبيه؟»

لقيَت هذه الكلمات موافقة ورضًا من جميع الأبطال، ومن ثَم حمل جاسون في يده عصا السلام، وغادر السفينة بصحبة أبناء فريكسوس وزميليه تيلامون وأوجياس Augeas. فعبَروا حقلًا مملوءًا بأشجار الصفصاف اشتهر باسم الحقل الكيركي Circean Field؛ حيث أبصروا منظرًا تقشعرُّ لهوله الأبدان، وترتجف منه الفرائص والأعضاء؛ رأوا أجسامًا لا تُحصى لموتى مُعلقين في السلاسل .. لم يكن هؤلاء المعلقون مجرمين أو أغرابًا مقتولين، بل من أهل المدينة نفسها؛ فقد كانت العادة في كولخيس أن يُربط الموتى من الرجال في سياط ويعلَّقوا فوق الأشجار بعيدًا عن المدينة، ويُتركوا هكذا في الهواء كي يجفَّ اللحم المحيط بالعظام؛ لأنهم كانوا يعتبِرون حرق هذه الجثث أو دفنها كفرًا وتجديفًا؛ بيد أنهم كانوا يدفنون نساءهم لكي تحظى الأرضُ بحقها ونصيبها.

كانت مدينة كولخيس زاخرةً بالسكان، وحمايةً لجاسون وصحبه من بطشهم ومن شكوك الملك أييتيس لفَّت هيرا، حليفةُ بحارة الأرجو، المدينةَ في غِلالة كثيفة من الضباب،

طالما كان الأبطال في طريقهم إلى القصر، حتى إذا ما بلغوه، تبدَّد الضباب وصفا الجوُّ كأن شيئًا لم يحدث.

وقف جاسون ومن معه في ساحة القصر، وتعجبوا من حوائط قصر أييتيس التي كانت آيةً في الروعة والإتقان؛ كما أدهشتهم أبواب القصر الضخمةُ السامقة، والأعمدة الشامخة التي تتجلى فيها العظمةُ ودقة الصنعة وروعة الفن. كان البناء كلُّه محاطًا بسور من الصخر الجلمود، تشقه مجموعة من الفتحات المثلثة الشكل .. فعبروا عتبة الساحة الأمامية في صمت وهدوء، فرأوا أشجارًا ضخمة مغطاةً بالكروم، كما وجدوا أربع نافورات غريبة الصنع تتدفق منها السوائلُ إلى أعلى في تيار مستمر. كان يتدفق من الأولى شآبيب من اللبن، ومن الثانية الخمر، ومن الثالثة زيت زكي الرائحة، ومن الرابعة ماءٌ قَرَاح في برودة الثلج صيفًا وشتاءً.

صنع هذه النافورات الغريبةَ الصانعُ الماهر الدقيق هيفايستوس، كما صنع أيضًا للملك ثيرانًا من البرنز تندلع من أفواهها ألسنةٌ من النيران المستعرة.

فتَخالُها والشمس تَجْلو لونَها نارًا وألسنها اللواحس نُوَّرًا

كما صنع له محراثًا من الحديد الصُّلب، صنع هيفايستوس كل ذلك اعترافًا بجميل والد أييتيس رب الشمس، الذي أنقذه ذات مرة أثناء قتاله مع العمالقة؛ بأن خطِفه وحمله بعيدًا في عربته.

من هذه الساحة الخارجية دخل الأبطال إلى الساحة الوسطى المنبسطة إلى اليسار وإلى اليمين، مؤدية إلى مسالك وحجرات، وفي الجهة المقابلة مباشرةً كان الجناحان الرئيسيان للقصر أحدهما مسكن الملك أييتيس نفسه، والآخر مسكن ابنه أبسورتوس. أما باقي الحجرات فكانت للخدم ولابنتي الملك: خالكيوبي Chalciope وميديا ... وكانت ميديا صغرى الابنتين، ومن النادر جدًّا أن تُرى هنا أو هناك؛ لأنها كانت تقضي معظم وقتها في معبد هيكاتي Hecate؛ إذ كانت ميديا كاهنة ذلك المعبد، بيد أن هيرا، التي كانت دائمة السهر على سلامة بحارة الأرجو وتمهِّد لهم طرق سيرهم، وضعت في قلب الفتاة رغبة ملحَّة للبقاء في القصر تلك الليلة، فما كادت ميديا تخرج من حجرتها وهي في طريقها إلى حجرة شقيقتها، حتى أبصرت فجأةً الأبطالَ الأغارقة، فما إن وقع بصرها عليهم حتى أرسلت صرخة مدوية تردَّد صداها في جميع أرجاء القصر، فأسرعت إليها شقيقتُها خالكيوبي ومعها جميع وصيفاتها وماشطاتها .. ثم إذا بخالكيوبي نفسِها

تصيح صيحات الغبطة والفرح، وترفع يديها إلى السماء شكرًا وحمدًا؛ لأنها عرفت من بين الأبطال أولادها الأربعة أبناء فريكسوس، وفي نفس الوقت ارتمى الشُّبان في أحضان والدتهم في شوق جارف، وظل خمستهم يبكون في حُرقة وسرور؛ إذ اكتمل شملهم من جديد:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلَّ الظن أن لا تلاقيا

ميديا وأييتيس

كان الملك أييتيس في مَخدَعه مع زوجته إيديا Idyia، فسمع الضوضاء والجلَبة في البهو، سمع أصوات الفرح والبكاء، فخرج مع زوجته يستطلعان الأمر، فألْفيا الساحة الأمامية قد امتلأت بالهياج والصخب دفعةً واحدة، فهنا الخدم يذبحون ثورًا سمينًا للضيوف الجدد، وهناك آخرون يغذون النار بالأخشاب؛ على حين غيرهم يغلي الماء في مراجلَ ضخمة، لم يكن هناك أحد غير مشغول، بل كان الجميع في حركة دائمة دائبة، فبدا المكان كخلية نحل كبيرة.

ارتفع إروس Eros عاليًا في الجو دون أن يراه أحد، وانتقى سهمًا جلابًا للآلام والأوجاع من جَعبته، ثم هبط إلى الأرض وجثَم خلف جاسون، وأعد قوسه جيدًا، وصوَّب السهم إلى ميديا ... فانطلق يطير في الفضاء بسرعة البرق دون أن يراه أحد، حتى ولا ميديا نفسها، واخترق صدرها، فاستعرَ كما تستعرُ النيران، وكانت من وقت إلى آخر تأخذ نفسها عميقًا كمن يعاني آلام مرض مبرِّح .. وصارت بعد ذلك تسدِّد نظرات جانبية إلى جاسون الذي بدا لهما شابًّا يافعًا، طويل القامة، صُلب العود، أنيق الهندام، حلو القَسِمات، مفتول الساعدين، عريض المنكبين، تشع عيناه الواسعتان بنور الذكاء، وتسطع فوق رأسه هالةٌ من الجمال وقبَسٌ من الجلال، فأحست عينيها تغرقان في صفاء عينيه، ونفسها تترقرق في عذوبة قَسِماته الحلوة، وأن ذهنها قد خلا من كل شيء آخر ... لقد برَّح بها الهيام في لحظات، واستولى ذلك الفتى على فؤادها وجِنانها، كان الحزن الجميل يملأ روحها فشحَب لونها، ثم عادت الحُمرة إلى وجهها من جديد، وصارت تعتمل في صدرها مجموعة من العواطف المتناقضة والمؤثرات المتباينة.

وسط كل هذه الفوضى التي سادت الساحة، لم يلحظ أحد ما كان يجري في أعماق قلب ميديا، ولو التفت إليها امرؤ لأدرك لتوِّه التغيُّر الذي طرأ على محيَّاها، ولكن الجميع

كانوا مشغولين؛ فقد كان الخدم يجيئون بصِحاف الطعام ثم يروحون لإحضار غيرها، وبحارة الأرجو يغتسلون بعد أعمال التجديف الشاقة، ثم يجلسون إلى المائدة ليروِّحوا عن أنفسهم بطعام شهي وشراب لذيذ.

جلس حفَدةُ الملك أييتيس إلى جانبه على المائدة، وإبان الوليمة أخذوا يقصون عليه كيف تحطمت سفينتهم، وماذا ألمَّ بهم من مصائب ومتاعب وجوع وعُري، وكيف ساعدهم هؤلاء الأبطال الأمجاد. ثم جرَّهم الحديث، وهو ذو شجون يجر بعضه بعضًا، إلى التعرض لشخصيات الأغراب، فبدأ الملك يتحرى من يكون هؤلاء، فخفض أرجوس صوته وهمس إلى جده قائلًا: «لن أخفي عنك الأمر يا جدي، فقد جاء هؤلاء الأبطال من بلاد الإغريق البعيدة، وقاسوا المتاعب والأهوال، وتعرضوا للمخاطرة عدة مرات؛ ليطلبوا منك الجِزَّة الذهبية التي لفريكسوس أبينا … إن ملكًا يريد أن يسلبهم ممتلكاتهم، وينفيهم خارج بلادهم؛ قد بعثهم في هذه المخاطرة الجسيمة آملًا ألا ينجوا من غضب زوس وانتقام فريكسوس، إن بالاس أثينا Pallas Athena نفسها قد ساعدتهم في بناء سفينتهم التي من النوع الذي لا يُستخدم في كولخيس، إننا حفَدَتك، فدعنا نقول لك إننا كنا نملك سفينة لم تكن شيئًا يُذكر بجانب سفينتهم، لقد تحطمت سفينتنا إرْبًا إربًا أمام أول هبة من الريح، ولكن لهؤلاء الأغراب سفينة في غاية المتانة والقوة؛ حتى إنها لتتحدى أعنف الأعاصير، إنها بحق أعجوبة الأعاجيب، وخير ما أبدعته يدُ أمهر بنَّائي السفن، كما أن هؤلاء الأبطال أنفسهم من أشجع من عرَفت بلاد الإغريق كلها من الصناديد المغاوير؛ فهم يجدِّفون ليل نهار دون انقطاع، لا تكِلُّ سواعدهم، ولا يتطرق الضجر أو السأم إلى نفوسهم، ولا تهِنُ عزائمهم، فقد اجتمع على ظهر تلك السفينة عددٌ غفير من أبطال الأغارقة الأفذاذ.» ثم ذكر لأييتيس أسماء البحَّارة واحدًا واحدًا، مع نبذة قصيرة عن منشأ كل منهم ومركزه في المجتمع وما يمتاز به من صفات ليست لغيره، ولما جاء دور جاسون، ذكر له سلسلة نسبه والأصل الذي ينحدر منه.

فلما سمع الملك هذه الأنباء، غلى مِرْجلُ غضبه، وأرغى وأزبد وارتعدت فرائصه، وحنِق على حفدته لأنه اعتقد أنه بوساطتهم جاء هؤلاء الأغراب إلى ساحة قصره … كانت النيران تشتعل في عينيه فيتطاير الشرر كثيفًا، ثم انفجر بصوت مرتفع: «إليكم عني، واغربوا من أمام وجهي أيها الكذابون المنافقون، والأنذال المتآمرون، إنكم لم تحضروا إلى هنا بحثًا عن الجِزَّة، ولكن سعيًا وراء عرشي وصولجاني، لولا أنكم ضيوفي وعلى مائدتي، لنكَّلت بكم شر منكَّل، ولأمرت بقطع ألسنتكم وأيديكم، وأبقيت لكم أقدامكم فحسب؛ لترحلوا بها من بلادي التي ينجِّسها وطء أقدامكم.»

كان تيلامون Telamon بن أياكوس Aecacus أقرب الجالسين إلى الملك بعد حفدته، فسمع كلامه، فاستشاط غضبًا ونهض من مكانه ليرد على الملك بألفاظ أشدَّ عنفًا مما سمع، ولكن جاسون أمسك به وأخذ هو شخصيًّا يجيب في صوت رقيق ناعم: «هوِّن عليك واملكْ زمام نفسك يا أييتيس؛ فإننا لم نجئ إلى مدينتك وإلى قصرك لنسلبك مُلكك أو ننهب منك ما هو لك، فمَن مِن الناس يكابد مشاقَّ مثل هذه الرحلة عبر البحار المملوءة بالأخطار الجسام من أجل الاستحواذ على ممتلكات فرد آخر؟ إن ما أرغب فيه قد أملاه عليَّ القدرُ بأمر من ملك شرير، فلتمنحنا ما نطلب؛ أعطنا الجِزَّة الذهبية ليس غير، وإزاء ذلك ستعترف لك جميعُ بلاد الإغريق بالفضل الجم والأيادي البيضاء؛ كما ستعترف بك ملكًا على بلادك هذه لا ينازعك فيها منازع، وفضلًا عن ذلك فإننا على استعداد لأن نرد لك هذا الجميل بأحسن منه، فلو قامت هناك حرب في أي مكان، أو أردت إخضاع أي شعب مجاور، فاتخِذْنا حلفاء لك، ولسوف نقاتل من أجلك بشجاعة وإقدام لن يخطرا على بالك.»

هكذا تكلم جاسون لكي يرضي أييتيس الثائر، ويهدئ من روعه، ولكن الملك لم يكن قد وصل بعدُ إلى قرار؛ هل يأمر بقتلهم فورًا أو يطلب منهم أولًا إظهار قواهم؟ وبعد بعض التفكير تراءت له الفكرة الأخيرة خيرًا وأحكم وأفضل، فأجاب برباطة جأش وهدوء: «لِمَ كل هذه العروض التي أعُدها ضربًا من الجبن أيها الغريب؟ إذا كنتم حقًّا أبناء الآلهة، أو كنتم لا تقلون عني عراقة وكرم محتِدٍ، ولا تطمعون حقًّا في ممتلكات الغير، فخذوا الجِزَّة الذهبية، فأنا لا أمنع عن الأبطال الشجعان شيئًا، ولكن أولًا وقبل كل شيء، يجب عليكم أن تنجزوا مهمةً أقوم أنا بها عادة برغم أنها تتضمن خطرًا بالغًا؛ فلديَّ ثوران يرعيان في حقل آريس، حوافرهما من البرُنز، وتنبعث من أنفيهما ألسنةٌ من اللهب، إنني أستخدمهما في حرث الأرض الصُّلبة، وبعد تقليب تربتها لا أبذِر حبوب ديميتير Demeter الصفراء في الأخاديد، بل أبذر أنياب أفعوان ضخم، فينبت منها محصول من الرجال يخرج لمهاجمتي من كل جانب، بيد أنني أقتلهم جميعًا بمِزْراقي، إنني أضع النير على رقبة الثورين في الفجر الباكر، فلا يأتي المساء المتأخر حتى أكون قد استرحت من حصادي، فيومَ تقومون بما أقوم أنا به، تستطيع أيها القائد أن تأخذ الجِزَّة الذهبية معك إلى مملكتك، ولكنك لن تستطيع الحصول عليها قبل ذلك؛ إذ ليس من العدل أن يرضخ القوي لمن هو أضعف منه وأقل قوة.»

جلس جاسون صامتًا في مكانه دون أن يكون قد قطع برأي؛ لأنه لم يجرؤ على أن يَعِد بمثل هذه المهمة الخطرة من فوره، ثم أَعْملَ فكره بسرعة وأجاب: «حقًّا أنها لَمُهمةٌ جِدُّ شاقةٍ أيها الملك، ومع ذلك فسأقوم بها مع علمي بأنني سوف ألقى حتفي أثناء إنجازها .. ولكن المرء لا يستطيع أن يلتقي بما هو أسوأ من الموت؛ وعليه فسأطيع القضاء الذي أرسلني إلى هذا المكان.»

فأجاب الملك: «حسنًا أيها الشاب، اذهب الآن إلى رجالك وفكر مليًّا في الأمر، فإن أردت التنحي عن هذه المهمة، فاتركها لي وارحل مع رفقائك عن بلادي.»

نصيحة أرجوس

نهض جاسون والبطلان اللذان رافقاه من مقاعدهم، ولم يتبعه سوى واحد فقط من أبناء فريكسوس؛ وهو أرجوس الذي أشار إلى أشقائه بالتخلف، ولكنهم تركوا القصر كذلك، وكانت تحيط بجاسون هالة من الحسن والبهاء، وكانت ميديا تلاحقه بنظراتها الوالهة من خلال نقابها، وأحلامها تتابع كل حركة من حركاته، وقلبها ينبِض شوقًا وهيامًا، ولكنها كانت تضطرب في قرارة نفسها عندما تتصور ذلك المصير السيئ الذي ينتظر من استولى على فؤادها بهذه السرعة ودون سابق إنذار.

رحل جاسون وغاب عن أنظار ميديا، فذهبت إلى حجرتها وانطوت على نفسها تذرف الدمع سخينًا من مآقيها، وتتنهد تنهُّد المحموم، دون أن تدري كيف حدث لها ذلك، وهي بالذات التي لم يسبق لها أن نظرت إلى أي رجل نظرة حب أو إعجاب، وأخيرًا أخذت تسائل نفسها: «لِمَ أدَعُ الحزن يسري في أنحائي، ويقطع نياط قلبي، ويعكر عليَّ صفائي، وينغص عيشي؟ ما أهمية هذا البطل لي؟ فسواء أكان أول أم آخر أشباه الآلهة، فليمُت لو كان هذا مصيره، ومع ذلك ليته يستطيع أن ينجو من الهلاك! أيْ هيكاتي! أيتها الربة المقدسة، دعيه يعود أدراجه إلى وطنه! وإذا كان من المقرر أن تفتك به الثيران، فدعيه يعلم قبل أن يذهب لملاقاتها أنني، على الأقل، لا أُسَرُّ كثيرًا، بل يحزنني مصيره المؤلم.»

وبينما كانت ميديا تقاسي ذلك العذاب في فراشها، كان الأبطال في طريقهم إلى السفينة، وقد أخذ أرجوس يتحدث إلى جاسون بقوله: «رفيقي العزيز، ومنقذي الأَجَلَّ، ربما ترفض نصيحتي التي سأسديها إليك مخلصًا، ولكن لا بُدَّ لي من إبدائها؛ إنني أعرف فتاة ذات خبرة واسعة ومهارة فائقة في صناعة السحر، وتحضير الجرعات السحرية، وقد تعلمت ذلك الفن عن هيكاتي ربة العالم السفلي، فلو استطعنا أن نستميلها إلى جانبنا،

فإني على يقين من أنك ستخرج من المعركة ظافرًا، فإن وافقتني على هذا الرأي، ذهبت إليها وحاولت الحصول على رضاها بما فيه مصلحتنا.»

فقال جاسون: «لك أن تذهب إذا شئت، فلا أمنعك من ذلك … ولكن ما أمضَّ رحلتنا وأشقاها لو كانت تعتمد على النساء!»

أخذ أرجوس يقنع جاسون بأنْ لا ضير عليهم إذا استعملوا طرقًا غير طرق القوة والشجاعة في نيل مأربهم، وبينما هما في أخذ ورد، كانا قد وصلا إلى رفاقهما في السفينة، فقص عليهم جاسون ما عرضه عليه الملك، وكيف وعده بإنجاز تلك المهمة، فجلس الأصدقاء مدة وجيزة يتبادلون وجهات النظر، وأخيرًا نهض بيليوس وقال: «لو كنت تعتقد أنك قادر على إنجاز ما وعدت به، فأعِدَّ نفسك للأمر، أما إذا لم تكن واثقًا كلَّ الثقة من النتيجة فابتعد، ولا تتوقع من هؤلاء الرجال أن يساعدوك؛ فلن يُدخر لهم غير الموت.»

عندئذٍ هب تيلامون وأربعة آخرون من الشبان الأقوياء الذين تفيض روحهم جرأة وشجاعة، ويبتهجون لمجرد فكرة اشتباكهم في قتال أو عمل يتطلب القوة والبسالة، أو لأية مغامرة محفوفة بالمخاطر، ولكن أرجوس هدَّأهم قائلًا: «لا حاجة بنا إلى خوض غمار الأخطار؛ فإنني أعرف شخصًا خبيرًا بالسحر؛ إنها خالتي شقيقة والدتي، دعوني أذهب إلى أمي وأطلب إليها أن تحث شقيقتها على أن تنضم إلينا؛ حتى يكون النصر في جانبنا، وإلا فلا فائدة من قيام جاسون بالمهمة الملقاة على عاتقه والتي وعد بإنجازها.»

ما كاد أرجوس يتم حديثه حتى منحتهم السماء علامة تبين لهم مآلهم؛ إذ أقبلت يمامة يقتفي أثرها صقرٌ كاسر، فهبطت إلى حجر جاسون تحتمي به من مطاردها، على حين تراجع الطائر المفترس إلى الخلف، وسقط على سطح السفينة قريبًا من الدفة … عندئذٍ تذكر أحد الأبطال النبوءة التي تنبأ بها فينيوس؛ من أن أفروديتي سوف تساعدهم في العودة إلى وطنهم … ومن ثَم وافق الجميع أرجوس على اقتراحه ما عدا البطل إيداس Idas بن أفاريوس Aphareus الذي زمجر في مقعده ثم نهض واقفًا يقول: «ما هذا الهراء الذي تقول يا أرجوس! وما لي أراكم توافقونه على ذلك! هل جئنا إلى هنا، وكابدنا جميع المخاطر والمشاق، ولاقينا من الأهوال ما يشيب له الوِلدان؛ لنكون ألعوبة في يد النساء، ولنتَّكلَ عليهن في قضاء مصالحنا؟ هل سنتوسل إلى أفروديتي بدلًا من الالتجاء إلى آريس؟ هل تمنعنا رؤية الصقور واليمام من القتال؟ إن هذا لجميل حقًّا! فلننسَ الحرب إذن، ولنكسب المجد بخداع العذارى الضعيفات.»

هكذا تكلم إيداس في حنَق وغضب، ووافقه كثير من الأبطال ولم يؤيدوا خطة أرجوس، ولكن بالرغم من ذلك عضَد جاسون اقتراح أرجوس ومشورته، فربطوا السفينة إلى الشاطئ، وانتظروا عودة رسولهم.

وبينما كان الأبطال في نقاشهم هذا، كان الملك أييتيس في الوقت نفسه قد جمع شعبه الكولخيين في حشد عظيم خارج القصر، وشرح لهم الموقف من حيث مجيء الأغراب؛ أعظم أبطال الأغارقة، والسبب في مجيئهم، وما بيَّته لهم من مصير مشئوم، وأمرهم أن يكونوا على استعداد … فبمجرد ما يصرع الثوران القائد الشاب، يقوم الكولخيون بقطع أشجار غابة كاملة ويُحرقون السفينة بمن فيها … وفي نفس الوقت، كان الملك الجبار القاسي القلب يفكر في إنزال عقوبة أشدَّ هولًا وأبشع مآلًا بحفدته الذين قادوا هؤلاء المغامرين إلى بلاده.

ذهب أرجوس إلى أمه، وأخذ يتوسل إليها بحق بنوَّته وإخلاصه لها، وأمومتها ومحبتها له، وبحق الآلهة الذين حفظوا حياتهم وأرسلوا إليهم أولئك الأبطال لمعاونتهم وإنقاذهم من هلاك كان محققًا؛ أن تحث شقيقتها بكل ما أوتيت من ألفاظ معسولة وروعة بيان؛ على أن تقوم بمساعدة جاسون ضد كيد أييتيس؛ حتى يكون أبناء فريكوس قد ردوا، على الأقل، جميل الأبطال بمثله. فامتلأ قلب خالكيوبي بالشفقة نحو الأغراب، ولكنها لم تجرؤ على مواجهة غضب أبيها الجامح الذي لو علم بما تحيكه في الخفاء، لمزَّق جسدها بالسياط شر ممزَّق … وأخيرًا رحبت بمطلب ابنها، ووعدت بالتوسط لدى ميديا لمساعدة الأغراب.

كانت ميديا مستلقية في فراشها تستعيد صورة ما حل بقلبها، وقد برَّح بها الهوى وأَقَضَّ مضجعها، وأطار الكَرى عن عيونها، فلم يغمض لها جفن، بل ظلت تتقلب في الفراش تطوي جوانحها على نار الغرام، لا تستريح وتهجع بل تشقى وتسهَد، تزفِر زفَراتٍ حادة ملتاعة من فرط الحب وسَورة وطأته. وقد بدا لها أنها ترى جاسون يُعدُّ العُدة لمقاتلة الثورين، وأنه لم يُقدم على هذه المهمة الخطرة من أجل الجِزَّة الذهبية، وإنما من أجل أن يطلب يدها هي، ويأخذها إلى بلاده زوجةً وحليلة، وتراءى لها في حُلمها اليقظان أنها فازت من الثورين بأفضل ما يمكن أن تنال، بيد أن والدها نقض وعده وخان عهده، ولم يَبرَّ بكلماته، فمنع عن جاسون المكافأة المتفق عليها بحجة أن ميديا هي التي وضعت النِّير على الثورين وليس البطل نفسه. فبدأ أبوها والأغراب يتشاجرون ويتناقشون حول هذه النقطة واحتد النقاش بينهم، وأخيرًا وقع اختيارهم عليها هي

لتكون حكَمًا ... وفي حلمها حكمت في صالح الغريب، فصاح والداها يعنِّفانها ويصبان عليها اللعنات، ويتوعدانها شرًّا جزاء العقوق. ثم استيقظت ميديا من حلمها الذي مر بمخيِّلتها في إغفاءة وجيزة عابرة، واستأنفت سهادها وآلامها.

لم تقوَ ميديا على احتمال هذه الآلام المبرِّحة والحالة المروعة التي اجتاحتها بعد ذلك الحلم، فهبَّت واقفةً من غير وعي، واندفعت تجري من مخدعها إلى جناح شقيقتها ... ولكنها تلكأت مدة طويلة في الساحة الأمامية؛ من شدة الخجل وعدم استقرارها على قرار؛ كيف تصارح أختها بما يعتمل في صدرها؟ هل تبوح لها بهواها أو تكتمه دفينًا في صدرها؟ هل تقضي لها بمخاوفها؟ هل ...؟ هل ...؟ فتقدمت إلى الأمام ثلاث مرات، وارتدَّت على أعقابها ثلاثًا مثلها ... وأخيرًا رجعت أدراجها إلى حجرتها، وارتمت على فراشها تبلله بدموعها الغزيرة.

تصادف في ذلك الوقت مرور إحدى خادمات ميديا الصغيرات في الساحة، دون أن تراها سيدتها، فتسمرت في مكانها إذ رأت ميديا شاردة الفكر مأخوذة اللُّب، تتردد بين إقدام وإحجام على أمر لا تعرفه، فأدركت لتوها أن سيدتها تطوي صدرها على سر دفين وأمر جلَل، فامتلأ قلب الفتاة إشفاقًا على ميديا، وأسرعت في الحال إلى خالكيوبي تخبرها بما شاهدت.

لما علمت خالكيوبي بقصة ميديا وشرودها، وكانت وقت ذاك جالسة بين أولادها تناقشهم في الوسيلة التي يجب اتباعها؛ لتكسب عطف ميديا وانضمامها إلى جانبهم .. أسرعت إلى شقيقتها فوجدتها تضع كفيها على وجنتيها، والدموع تنهمر غزيرةً من عينيها، وصدرها يهتز اهتزازًا عنيفًا من شدة البكاء والنشيج، فهالها أن ترى أختها ميديا على تلك الحال، وسألتها باهتمام بالغ: «ماذا حدث يا أختاه؟ أيُّ حزن هذا الذي يعذب روحك كل هذا العذاب؟ لقد تركتكِ مرحة مسرورة، فأي شيء بدَّل بهجتك وجومًا وابتسامتك شرودًا وتقطيبًا؟ هل أصابك رب من الأرباب بأحد الأمراض؟ هل وشى أبونا بي وبأولادي عندك؟ ما سبب هذا الحزن الذي برَّح بك وسلب ماء الحياة من وجنتيك؟ أوَّاه! ليتني كنت بعيدة عن بيت آبائي في بلاد لا يُلفظ فيها اسم كولخيس مطلقًا! فإنني لا أقوى على احتمال أن أراكِ على تلك الصورة من الكآبة والحزن.»

ميديا تَعِد ...

بمساعدة بحارة الأرجو

احمر وجه ميديا عند سماعها أسئلة شقيقتها، وألجم الخجل لسانها فلزمت الصمت؛ إذ كانت كلما همت بالكلام ووصلت الألفاظ إلى طرف لسانها، ارتدَّت ثانيةً إلى صميم فؤادها ... وبعد عدة محاولات، شجَّعها الحب الجارف أن تتكلم وتروِّح عن نفسها، فقالت في مكر ودهاء: «أيْ خالكيوبي، إن قلبي لينفطر حزنًا وألمًا على مصير أبنائك، إن أخوف ما أخافه وترتعد من هوله فرائصي؛ أن يقتلهم أبونا هم والأبطال الغرباء .. لقد أنبأني بهذا حلم أرَّقني ونفى النوم عن جفني، فأحزن فؤادي واكتأبت له نفسي، ولكنني أرجو أن يَحول أحد الأرباب دون تحقيق ذلك.»

ووقعت هذه الألفاظ على نفس خالكيوبي موقع السهام، وتمثَّل المنظر أمام ناظريها، فاضطربت من أخمص قدمها إلى قمة رأسها، وتملَّكها خوف وذعر تغلغلَا في أحشائها، فقالت: «لقد أتيت إليك من أجل هذا الأمر عينه؛ فقد شغل بالي منذ أن طلب أبي من جاسون أن يضع النير على الثورين المتوحشين، وإني لأتوسل إليك يا ميديا أن تمدي لنا يد المساعدة ضد أبينا الذي قُدَّ قلبه من صخر جلمود، ولو رفضت معونتنا، فلسوف تطاردك أرواح أبنائي المقتولين، وأنا معهم، حتى ولو كنا في العالم السفلي، وتظل تزعجك ليل نهار، في نومك ويقظتك، وفي حِلِّك وترحالك؛ كَرَبَّات القدر.» وبعد أن تفوَّهت بهذه الألفاظ، أمسكت ركبتي ميديا بكلتا يديها ودفنت رأسها في حجرها؛ تبكي وتنتحب، وتذرف الدموع سخينة، فاختلطت دموع الشقيقتين.

نهضت ميديا من فراشها وجففت عينيها، وقالت: «لِمَ تتحدثين عن ربات القدر أيتها الأخت العزيزة؟ إنني أقسم لك بحق السماء والأرض؛ إنه يسعدني جدًّا أن أقوم بالمساعدة غير مدخرة وُسعًا ولا جهدًا في سبيل إنقاذ أولادك، فإنه ليعِزُّ عليَّ جدًّا أن يُصاب أبناؤك بسوء كما لو كانوا أبنائي تمامًا.»

فقاطعتها خالكيوبي بقولها: «هذا جميل منك يا أختاه، وكنت أتوقع منك نفس هذا الشعور الذي ينبئ عن محبة أخوية صادقة وود أصيل. إذن، من أجل أبنائي، أرجو أن توافقي على إسداء النصح إلى البطل الغريب بخير ما يفعله؛ حتى يستطيع أن يبقى حيًّا برغم محنته العظيمة مع الثورين، فقد أرسل ابني أرجوس يتوسل إليك ويستحلفك بكل ما هو عزيز لديك؛ أن تساعديه على اجتياز هذا المأزق الصعب والمحنة الداهمة.»

رقص قلب ميديا من شدة الفرح، واحمر وجهها الجميل، وكادت تفضحها عيناها لولا أنها تمالكت نفسها وكبتت عواطفها، ولمدة وجيزة كست عينيها البرَّاقة إشراقةُ الخُيَلاء والزهو، فقالت في حماس: «خالكيوبي، لِلفجرِ ألا يغمر عيني أبدًا السرور، إذا لم أنقذ حياتك وحياة أبنائك التي هي أغلى عندي من حياتي نفسها! ألستِ أنتِ — كما كانت تقول أمي دائمًا — التي أرضعتني مع أبنائك يوم أن كنت طفلة في المهد؟ ومن ثَم فإنني لا أحبك حب شقيقة لشقيقتها فحسب، بل وحبَّ ابنة لأمها اعترافًا بفضلها وجميلها … غدًا في الصباح الباكر، سأذهب إلى معبد هيكاتي، وهناك سأعد للغريب سحرًا يروِّض له الثورين ويجعلهما أليفين طوع أمره.» فتركت خالكيوبي حجرة أختها، وانطلقت إلى حجرتها حيث كان أبناؤها في انتظارها، تزِف إليهم البشرى وتعِدهم بمساعدة ميديا لهم في شخص جاسون.

باتت ميديا طول ليلها في صراع مرير مع نفسها؛ كانت تقول: «ألم أَعِدْ أكثر مما يجب؟ هل لي أن أفعل كل ذلك من أجل غريب؟ هل لي أن أتقابل معه وألمس جسمه دون أن يكون هناك أحد قريب منا؟ لأن هذا أمر ضروري لو أردت للخدعة أن تنجح .. نعم سأنقذ حياته! ولكنني يوم ينتصر هو سأموت أنا! إن قطعةً من الحبل أو كمية من السم ستساعدني في نجاتي من حياة أمقتها ولا أريدها، ولكن هل للإشاعات الشريرة ألا تقتفي أثري في سائر أنحاء كولخيس؟ أرجو ألا يتهامس الناس فيما بينهم ويقولوا إنني قد جلبت العار والشَّنار على بيتي وعائلتي؛ بالموت في سبيل حب رجل غريب!»

ساورت ميديا مثلُ هذه الأفكار، وأخذت تَهذي بكلام غير مفهوم دون وعي منها، ثم ذهبت تبحث عن صندوق صغير يحتوي على أعشاب تشفي وأعشاب تقتل، فوضعته

بين ركبتيها وفتحته؛ لتذوق السم القاتل المميت، ولكنها تذكرت فجأةً كل ما في الحياة من حلاوة ومباهج، وما يمكن أن تتمتع به فيها، وبدت الشمس في عينيها أجمل منظرًا وأروع هيئةً من أي يوم مضى، فارتعدت فرائصها من خوف الموت وشبحه المَقيت، ثم وضعت الصندوق على الأرض.

لقد حوَّلت قلبها هيرا؛ الربة التي آلت على نفسها حماية جاسون، ولم تستطع ميديا أن تنتظر حتى يهتك الفجر حجاب الظلام، فأخذت تُعِدُّ السِّحر الموعود وتحضره للبطل الذي شاء القدر أن تقع في غرامه وهواه.

جاسون وميديا

أسرع أرجوس برسالته إلى السفينة، وما كاد الفجر ينبثق نحيلًا في صدر السماء، حتى قفزت ميديا من فراشها، فمشطت شعرها وضفرته، وأرسلت غدائرها الشقراء الذهبية إلى خلف رأسها، ومسحت آثار الدموع من وجنتيها، وتعطرت بالعطور الزيتية الثمينة .. وارتدت أجمل ثيابها، وتزينت بحُليها وجواهرها، وأسدلت على رأسها اللامع خمارًا أبيض .. لقد نسيَت جميع همومها وأحزانها وغدت كالعروس التي صاغها الخيال في قالَب من الجمال، وأخذت تعدو خلال الساحة بقَوامها الرشيق حتى بلغت الميدان الفسيح أمام القصر، فأمرت خادماتها الاثنتي عشرة أن يُثبتْن البغال في العربة لتقصد إلى معبد هيكاتي.

وبينما كانت الخادمات يقُمن بإعداد العربة، أخذت ميديا من صندوقها مرهمًا كانوا يطلقون عليه اسم «زيت بروميثيوس»، كان كل من يدلك جسمه بهذا الزيت بعد تقديم الصلاة لربة العالم السفلي؛ لا تؤثر في جسمه السيوف والنصال طيلة ذلك اليوم، ولا تستطيع نار مهما بلغت شدةُ سعيرها أن تحرقه أو حتى تجعله يشعر بأقل حرارة، كما أنه يؤتى من القوة ما تمكنه من هزيمة أي عدو. كان هذا الزيت محضَّرًا من العصير الأسود لجذور النباتات والأشجار التي غُذيت بالدماء المتسربة إلى منحدرات القوقاز المُعْشَوْشِبة من كبد بروميثيوس الدامي. وكانت ميديا نفسها قد استطاعت أن تستخلص عصير هذه النباتات في صدَفة، وخبأته في مكان خفي لوقت الحاجة؛ كعلاج نادر قوي المفعول أكيده.

أعدت العربة وأحضرتها الخادمات إلى حيث تقف سيدتهن، فأسرعت ميديا باعتلائها مع اثنتين من الخادمات، وأمسكت بيديها أعنة البغال والمِهْماز، فانطلقت العربة خلال المدينة تسابق الريح، على حين تبعتها باقي الخادمات سيرًا على الأقدام، وعلى طول الطريق

كان الناس ينتحون جانبًا في احترام جمٍّ ليفسحوا الطريق للأميرة المحبوبة .. فلما عبَرت الحقل الفسيح، ووصلت إلى المعبد؛ قفزت في خفة من العربة، وتحدثت إلى خادماتها في مكر ودهاء قائلةً:

«أعتقد أنني قد اقترفت خطأً بالغًا في عدم الابتعاد نائيةً عن الأغراب الذين أقبلوا إلى بلادنا، والآن، فضلًا عن ذلك، فقد طلبت مني شقيقتي خالكيوبي وابنها أرجوس أن أقبل الهدايا التي يقدمها لي قائدُهم؛ نظير أن أجعل جسمه غير قابل لتأثير السيوف بالتعاويذ السحرية. فتظاهرتُ بالموافقة وطلبت منه الحضور إلى هذا المعبد حيث أستطيع أن أراه بمفردي، فعندما يصل إلى هنا، سآخذ منه الهدايا التي نقتسمها بيننا فيما بعد، وأقدم له جرعةً تعمل على هلاكه. والآن اذهبن خشيةَ أن يشك في الخطة التي أحيكها له؛ لأنني أخبرته أننا سنكون بمفردنا ولا يرانا أحد أبدًا».

سُرَّت الفتيات من خطة سيدتهن، وبينما أخذن يتفرقن في المعبد، أقبل أرجوس وصديقه جاسون يصحبهما موبسوس العراف، وقد أضفت هيرا على جاسون جمالًا فبدا بهيَّ الطلعة، حلو الملامح، جميل القسمات، تشعُّ عيناه بريقًا يأسر القلوب، وتنطق لحاظه بأروع ما ينطوي عليه من جاذبية وإغراء؛ ذهبي الشعر، فارع الطول، سامق القوام كأنه غصن سِنْديان، مفتول عضلات الساعدين، عريضُ ما بين الكتفين، فلم يحدث قط أن إنسانًا بلغ تلك الدرجة من الجمال، حتى ولا أطفال الآلهة أنفسهم؛ فقد كان في ذلك اليوم كفِلقة القمر؛ إذ خلعت عليه تلك الربة، التي كانت تؤازره وتقف إلى جواره، جميعَ هدايا ربات الحسن والجمال؛ فكلما نظر إليه رفيقاه من الجانبين، تعجَّبا من بهائه وتألقه اللذين لم يعهداهما فيه من قبل؛ لأنه كان، والحق يُقال، كأنه نجم قد اتخذ صورة بشرية! ولكنهما لم يستطيعا إبداء أي ملاحظة على تلك الظاهرة، وانطوى كل منهما على ما جاش بفكره.

وفي الوقت نفسه كانت ميديا تنتظر في المعبد مع خادماتها، وبالرغم من أن الخادمات حاولن تسلية سيدتهن بالغناء حتى لا تملَّ طول الانتظار؛ فإن ميديا كانت تفكر في أمور شتى، حتى لم تُسَرَّ من أية أغنية، بل كانت في وادٍ وأولئك في وادٍ، فلم تقع عيناها قط على خادماتها، وإنما كان بصرها زائغًا في شوق زائد عبر باب المعبد، وإلى وسط الطريق المؤدي إلى المعبد، فكانت ترفع رأسها في لهفة لمجرد سماعها وقْعَ أي أقدام، أو حفيفَ أوراق الأشجار تداعبها الريح.

لم يمضِ وقت طويل حتى أقبل جاسون ودخل المعبد ممشوقًا جميلًا؛ كأنه سيريوس Sirius خارجًا من البحر، فخُيل إلى ميديا أن قلبها يقفز من صدرها .. وأظلمت الدنيا أمام

ناظريها، وإذا بالدماء الساخنة تصعد إلى خديها فتجعلهما كالورود الناضرة الجميلة، وعندئذٍ تركتها خادماتها وانصرفن يتوارين في شتى أنحاء المعبد، فظل الفتى مع ابنة الملك مدةً طالت دون أن يشعرا وهما يواجهان بعضهما بعضًا في صمت وسكون، لقد كانا كشجرتي بلوط ممشوقتين تقفان الواحدة تجاه الأخرى، وجذورهما قد تغلغلت عميقةً في التربة؛ على حين أن الفضاء من حولهما لا تعكر صفْوَه ريح …

وكما أن الريح تهب أحيانًا فجأة، فترتعد جميع أوراق الأشجار، وتتحرك وتتضارب مع جذوعها، هكذا كان الاثنان وقد أُصيبا بضربة الحب، فأخذا يتبادلان نظرات الإعجاب سريعة عاطفية، وتركا العيون تتكلم بدل الألسنة.

كان جاسون هو البادئ بقطع ذلك الصمت الطويل، فسألها قائلًا: «لِمَ تخافينني وقد صرت الآن وحدي معك؟ إنني لست ممن يشمخ بأنفه متعجرفًا متكبرًا، ولم أكن كذلك يومًا ما، ولا حتى في وطني! فلا تخجلي أو تترددي في أن تبوحي بما يأمرك به قلبك، ولكن تذكري أننا في مكان مقدس حيث تُعتبر الأكذوبة كفرًا وجحودًا؛ ومن ثَم لا تخدعيني بمعسول الألفاظ الزائفة، فقد حضرت كمتضرع أطلب التعويذة التي وعدت شقيقتك بأنك ستعطيني إياها، إنها الضرورة القصوى التي تدفعني إلى طلب مساعدتك، ولكِ أن تطلبي وتسألي ما تشائين في مقابل ذلك، واعلمي أن ما ستقدمينه من عون سوف يدفع الهموم والأحزان عن أمهات وزوجات زملائي، اللواتي قد يُبرِّح بهن البكاء والعويل عند سواحل بلادنا، وأن المجد الخالد لانتصارنا سوف يُنسب إليكِ في جميع أنحاء بلاد الإغريق.»

تركت ميديا جاسون يتم كلامه، ثم أخفقت بجفنيها وارتسمت على فمها ابتسامةٌ باهتة، لقد اغتبط قلبها برؤيته والتطلع إلى جماله الفتَّان الذي دونه جمالُ العذارى الحسان، ثم نظرت إليه نظرةً تنم عما يُكنُّه فؤادها من حب جارف وغرام متغلغل، وتزاحمت الألفاظ عند شفتيها، كانت تود أن تقول كل شيء في وقت واحد، ولكن الحب أخرسها وشلَّ لسانها؛ ومن ثَم اكتفت بإخراج الصندوق الصغير من طياته المعطرة، وقدمته إليه في حنان ودلال، فأخذه من يدها مسرورًا، وما من شك في أنه لو طلب روحها في تلك اللحظة لَما ضنَّت بها عليه؛ لأن أروس كان يشعل نيران الرغبة الحلوة في خصلات جاسون الذهبية، وأمسكت هي بضيائها وحرارتها …

تلألأت روح ميديا كما تتلألأ قطرات الندى فوق الورود عندما تسطَع عليها الشمس في الصباح بأشعتها الذهبية فتجعلها كالجُمَان … وبحركة لاإرادية خفض كل منهما

نظره إلى أسفل، ثم تطلَّعا بعضُهما إلى بعض من جديد، وكانت نظرات الشوق والهيام تُسترق من تحت الجفون ... وبعد مدة لا يعلمان أطالت أم قصُرت، أسعفت الألفاظ ميديا فاستطاعت أن تنطق قائلة:

«انتبه إليَّ يا أعزَّ مِن عرف فؤادي، فسأخبرك ماذا يجب عليك أن تفعل، بعد أن يعطيك أبي أسنان الأفعوان المخيف لتزرعها، استحم في مياه النهر، وتدثَّر بملابس سوداء، واحفِر في الأرض حفرة مستديرة وألقِ بداخلها كومةً من الحطب، ثم اذبح نعجة صغيرة السن وأحرقها إلى أن تصير رمادًا، بعد ذلك قدِّم سكيبة من العسل لهيكاتي، ساكبًا إياها من كأسك، ثم اترك كومة النار .. ولا تنظر خلفك مهما سمعت خطوات أو وقْعَ أقدام أو نباح كلاب، وإلا ضاع مفعول الذبيحة كأن لم تكن، وفي الصباح التالي ادهُن جسدك بهذا الزيت السحري فيهب لك قوةً عظيمة خارقة، وتشعر بأنك لست من البشر ولا تساويهم في قوتهم، وليس هذا فحسب، بل وإنك تعدل الآلهة أنفسهم قوةً ونشاطًا، ويجب كذلك أن تدهُن مِزراقك وسيفك ودرعك، وعندئذٍ لا يستطيع أي معدن تصوِّبه الأيدي البشرية، ولا أي لهيب تنفُثه النيران السحرية؛ أن تؤذيك أو تقاوم هجماتك. واعلم أن هذا المفعول لا يدوم إلا يومًا واحدًا، ولكني مع ذلك سأقدم لك معونة أخرى؛ فبعد أن تضع النير فوق الثيران الضخمة، وتحرِث الحقل، وتبذِر أسنان الأفعوان، وبعد أن تُخرج هذه البذور ثمارها، اقذف بحجر كبير وسط الرجال النابتين من الأرض، تجدهم يتقاتلون عليه كما تتقاتل الكلاب على كِسرة من الخبز، وبينما يكونون منهمكين في عراكهم هذا، تستطيع أن تهجم عليهم وتبيدهم عن آخرهم .. بعد ذلك تستطيع الحصول على الجِزَّة الذهبية وأن تأخذها معك بعيدًا عن كولخيس دون أن يقف في طريقك أي معترض، وأن ترحل .. نعم، ترحل إلى حيث تشاء.»

هكذا تكلمت ميديا، وما إن انتهت من حديثها، حتى انحدرت دموعها سرًّا على وجنتيها المتوردتين؛ لمحض التفكير في أن هذا البطل النبيل قد يرحل بعيدًا عبر البحر. فاستمرت العَبَرات تنهمر من مقلتيها مدة، وهي حزينة مكلومة الفؤاد، ثم أخذته من يده؛ لأن الألم الذي كاد يقطع نياط قلبها، جعلها تنسى ما تفعل، ثم أردفت تقول: «وعندما تصل إلى وطنك، لا تنسَ اسم ميديا، وأنا أيضًا سأكون دائمة التفكير فيك بعد ذهابك .. والآن، أخبرني عن اسم البلاد التي ستعود إليها على ظهر سفينتك الجميلة.»

وبينما الفتاة تتكلم، اجتاحت جاسون نوبة من الحب الجارف نحوها، فانفجر دون أي حياء أو خجل وقال: «أيتها الأميرة النبيلة! إذا قُدر لي أن أهرُب من الموت، فلن يمر يوم

ولا ساعة دون أن أتذكرك، يا من شغلت جميع حواسي وفؤادي، إن وطني هو أيولكوس في هايمونيا Haemonia؛ حيث أسس ديوكاليون بن بروميثيوس مدنًا كثيرة، وشيد معابد عدةً، في ذلك المكان لا يُعرف حتى اسم بلادك.»

فردت عليه ميديا: «إذن فأنت تعيش في بلاد الإغريق … ربما كان القوم أكرم ضيافةً من هنا، فلا تخبرهم كيف استقبلوك في كولخيس، وتذكَّرني وأنت بمفردك، أما من جهتي فإنني سأظل أفكر فيك ليل نهار، في الوقت الذي يكون كل فرد هنا قد نسيك تمامًا … ولكن لو حدث أن نسيتني! آه ثم آه، فليت الرياح تحمل لي طائرًا من أيولكوس؛ حتى أستطيع به أن أتذكر أنك نجوت بمعونتي … أوَّاه! ليتني كنت شخصيًّا في بيتك، عندئذٍ كنت أراك دائمًا أمام ناظري لا في مخيلتي فحسب!» ثم انفجرت باكية.

فأجاب جاسون: «ليت الرياح تهب! والطيور تطير! هذا حديث لا يجدي فتيلًا، ولكن لو أتيتِ أنت إلى بلاد الإغريق، إلى بيتي، لرأيت كيف يقوم الرجال والنساء بإكرامك وتبجيلك، ولا أكون مغاليًا لو قلت بعبادتك؛ كما لو كنت إحدى الرَّبَّات؛ لأنه بمعونتك نجا أبناؤهم وإخوتهم وأزواجهن من الموت، وعادوا إلى وطنهم سالمين معافين! أما أنت فستنتسبين لي أنا وحدي، ولا شيء غير الموت يستطيع أن ينهي حبنا.»

ذابت روح ميديا عند سماعها كلمات جاسون، ولكنها في الوقت نفسه كانت تفكر حزينة في المشقة التي يعانيها المرء عند فراق وطنه، وبرغم كل ذلك فقد سِيقت إلى بلاد الإغريق بقوة دافعة؛ لأن هيرا كانت قد غرست هذا الشوق في قلبها … فقد أرادت الربة أن تترك ميديا كولخيس؛ لتجلب الدمار على بيلياس عندما تذهب هي إلى أيولكوس.

في ذلك الوقت، كانت الخادمات ينتظرن سيدتهن في صمت وقلق؛ لأن ميعاد عودتها قد فات وطال عليه الأمد، وكادت هي نفسها تنسى الذهاب إلى بيتها من فرط سرورها بمحض تبادل كلمات الإطراء وعبارات الغزل … إلا أن جاسون، الذي كان أكثر منها حرصًا، ذكَّرها بأن الوقت قد أزِف، ومع ذلك فإنه لم يفكر في ذلك إلا متأخرًا، فقال: «لقد حان ميعاد الافتراق، وإلا غابت الشمس وما زلنا نحن هنا، وقد يفكر الآخرون في خطة ما! فلنلتقِ مرة أخرى فيما بعدُ في نفس هذا المكان.»

جاسون ينفذ أوامر أييتيس

هكذا افترق الحبيبان وكان بودِّهما ألا يفترقا، لولا أن الموعد كان قد أزف وخشيا أن يضيع مفعول الزيت فتضيع معه آمالهما، فرضخا لما لا بُدَّ منه، فعاد جاسون إلى السفينة فتلقاه رفاقه متلهفين، وكأنه تبدو على وجهه سيماء الغبطة والمرح .. وذهبت ميديا لتنضم إلى خادماتها اللواتي كن ينتظرنها على أحر من الجمر، فما إن رأينها حتى أسرعن نحوها، ولكنها لم تلاحظ جزعهن لأن روحها كانت تحوم في السحب، وبأقدام رشيقة اعتلت ظهر عربتها، وحثت البغال على السير، فعادت أدراجَها إلى القصر من تلقاء نفسها ... وكانت خالكيوبي قد طال بها انتظار شقيقتها، حتى إن قلبها امتلأ جزعًا على أولادها، وكانت تجلس فوق مقعد، وقد نكست رأسها واغرورقت عيناها بالدموع التي كانت تتساقط كحبات اللؤلؤ من بين جفونها المسترخية؛ إذ كانت تفكر في المؤامرة الخطيرة التي اشتركت فيها.

في تلك الآونة كان جاسون يشرح لزملائه كيف أعطته ميديا الدهان السحري العجيب، ثم أخرجه لهم، فاجتاح الجميع موجةٌ من السرور والجَذَل ما عدا إيداس، الذي انتحى جانبًا يطحن أسنانه من شدة الغيظ والحنق؛ لأنه كان توَّاقًا إلى القتال واختبار قوته، فجلس ولسان حاله يقول:

أكُلَّ يوم هامتي مُقذَّعة يا رب هيجا هي خير من دَعة

ولما أصبح الصباح في اليوم التالي، أوفدوا رجلين إلى الملك أييتيس ليتسلما منه أسنان الأفعوان، وكانت أسنان نفس الأفعوان الذي قتله كادموس Cadmus في طيبة Thebes، ولم يتردد أييتيس في إعطائهما الأسنان؛ لأنه كان يعتقد، تمامَ الاعتقاد، أن جاسون لن

يتمكن بأي حال من الأحوال أن يخرج من القتال حيًّا، حتى ولو أفلح في وضع النير فوق الثيران؛ فإن الرجال النابتين من أسنان الأفعوان سيقضون عليه لا محالة.

انسلخ النهار ومالت الشمس إلى المغيب، وانسكب الليل قطرةً قطرةً في حواشي السماء، حتى ضرب سرادقه على الكون، فاغتسل جاسون وقدَّم ذبيحة لهيكاتي كما أمرته ميديا، وسمعت الربة نفسها صلاته، فخرجت من أعماق كهفها ورأسُها الدميم تلفُّه الثعابين الملتوية وأغصان البلوط المشتعلة، وكانت تجري في أعقابها كلاب العالم السفلي، تعوي حولها عواءً شديدًا … اهتز الحقل تحت وقع أقدامها، كما راح نهر فاسيس يئن ويتأوَّه من شدة الخوف والهلع، لقد اضطرب جاسون نفسه عندما كان يتأهب للعودة إلى السفينة، ولكنه إطاعةً لأوامر محبوبته لم يتطلع إلى الخلف … وما هي إلا سويعات حتى تألق الفجر الوردي، فأضفى على ذؤابات جبال القوقاز المغطاة بالثلوج ضوءًا ورديًّا جميلًا.

ارتدى أييتيس درعه التي كان آريس قد أخذها من العملاق ميماس Mimas في حقل فليجرا Phlegra، ووضع على رأسه خودته الذهبية ذات الريشات الأربع، كما أمسك بيده الدرع المغطاة بأربع طبقات من جلد الثيران؛ تلك الدرع التي لا يستطيع أحد غيره أن يرفعها ما خلا هرقل وحده، وأمسك ابنه بالجياد السريعة المسرجة وربطها إلى العربة .. فاعتلاها الملك وقبض على الأعنة، فانطلقت به العربة خلال طرقات المدينة تتبعه جموع الشعب الذين بكَّروا لمشاهدة الأحداث العنيفة التي سوف تقع في ذلك اليوم المشهود، وبالرغم من أن أييتيس كان سيحضر الحفل كمتفرج ليس غير، فقد أراد أن يظهر في كامل عدته الحربية كما لو كان هو شخصيًّا ذاهبًا إلى القتال.

أطاع جاسون تعليمات ميديا، فدهن حربته ودرعه وحسامه بالزيت السحري، والتف رفاقه حوله في دائرة يختبرون رمحه، فأراد كل واحد منهم أن ينال من الرمح بسلاحه، ولكن الرمح لم ينهزم ولم تَلِنْ قناته أو تنثنِ أقلَّ انثناء، بل ظل كصخرة صُلبة في يده الثابتة، فأغاظ هذا إيداس بن أفاريوس Aphareus وضرب الرمح بسيفه أسفل الطرف ضربةً جَلجل صداها في الهواء، بيد أن السيف ارتدَّ بقوة كما ترتد المطرقة عن السِّندان، واجتاح الشبانَ فرحٌ أيَّ فرح لمحض الأمل السعيد في الظفر.

ما كاد جاسون يدهن جسده بالزيت، حتى تدفقت في أوصاله قوةٌ خارقة، كما انتفخت شرايين يديه وأحس بالشوق الجارف والرغبة الملحة في القتال، وكجوادِ حربٍ يصهل وينبِش الأرض بحوافره قبل القتال، ثم يرفع رأسه عاليًا ويُرهِف آذانه إلى فوق؛

هكذا بسط ابن أيسون قامته استعدادًا للقتال، وقرع الأرض بأقدام متوثبة حاملًا الدرع والرمح في يديه.

جدَّف الأبطال حتى وصلوا بقائدهم إلى حقل آريس؛ حيث وجدوا أبيتيس وشعبه الكولخيين ينتظرونهم، وكان الملك يجلس على الشاطئ على حين انتشر أفراد الشعب هنا وهناك على سلسلة صخور جبال القوقاز الناتئة في البحر، فلما رست السفينة، قفز جاسون إلى الشاطئ حاملًا رمحه ودرعه، وفي الحال تسلَّم خوذة لامعة مملوءة بأسنان مدبَّبة … فعلَّق سيفه على كتفه وتقدم إلى الأمام؛ وهو يلمع في أشعة الشمس الذهبية الوهاجة كأنه آريس أو أبولو. وما إن ألقى نظرة إلى الحقل، حتى اكتشف سريعًا النير موضوعًا فوق التربة وإلى جانبه المحراث وسلاحُه، وكانت كلها مصنوعةً من الحديد المطروق. وبعد أن فحص هذه الأدوات جيدًا، ثبَّت السِّن الحديدية في نصل رمحه الصلب، ولبِس الخوذة فوق رأسه …

بعد ذلك تقدم إلى الأمام يقي نفسه بدرعه، باحثًا عن آثار الثيران، ولكن سرعان ما هجم عليه فجأة، وعلى حين غِرَّة، ثوران أقبلا من الجانب الآخر، وقد خرجا من كهف تحت الأرض كانا محبوسين فيه، وكلاهما ينفُث النيران مستعرةً من أنفه، كما كانت سحب كثيفةٌ من الدخان تحوم حولهما في دائرة، فارتعدت فرائص أصدقاء جاسون لمرأى هذين الوحشين، بيد أن جاسون نفسه وقف بساقيه متباعدتين يرفع درعه أمامه؛ منتظرًا هجومهما كصخرة حطَّمها السيل من علٍ. فلما وصلا إليه مسددَين قرونهما، لم تستطع هجمتهما أن تزحزحه عن مكانه قِيدَ أنمُلة، وكما يحدث في مصنع الحداد عندما يزأر الكير وتندلع النيران، تارةً في شرر متطاير، وتارةً أخرى تكُفُّ عن ألسنتها القوية، هكذا زأر الثوران بصوتٍ دونه زئيرُ الأسود، وضاعفا من الهجمات؛ نافثين نيرانهما طول الوقت في ألسنة تتراقص في الهواء لمسافة بعيدة. وكان وهَج اللهب المتقطع يلعب حول البطل كأنه البرق اللامع، ولكن السحر حفِظه من كل سوء وأذًى، وأخيرًا تقدم وأمسك بالثور الذي عن يمينه من قرنه الخارجي، وجذبه إليه بكل ما أوتي من قوة حتى سحبه إلى حيث النيرُ الحديدي، وهنا ضرب الأقدام البرُنزية، وأجبر الثور على افتراش الأرض وقد ثنى قوائمه، وبنفس الطريقة أخضع الثور الآخر الذي انقضَّ عليه في عنف وقوة، ثم رمى درعه الكبيرة بعيدًا، ومع أن النيران كانت تندلع ألسنتُها حوله وتتراقص في الهواء من مَنخِرَيهما، فقد أمسك بالثورين بكلتا يديه وقد خرَّا ساجدَين، وهنا وجد أبيتيس نفسه مرغمًا على الإعجاب بقوة البطل الخارقة … وعلى حسب خطة سابقة، قدم له كاستور

وبولوديوكيس النير، فربطه إلى عنقَي الثورين بيدين ثابتتين كأنه فلاح ماهر، وأخيرًا التقط النصل الحديدي وثبَّته في حلقة النير، عندئذٍ أسرع الشقيقان التوءمان بالابتعاد عن ذلك المكان؛ لأنهما لم يكونا محصَّنَين ضد النيران مثل جاسون، ثم أخذ البطل درعه ثانيةً وألقى بها خلف ظهره متدليةً من كتفه برباطها الجلدي المتين.

ذهب جاسون بعد ذلك إلى حيث الخوذةُ التي بها أسنان الأفعوان، وأمسك برمحه واستخدمه مِهمازًا ينخُس به الثورين، فاستطاع أن يجبرهما، وهما يزمجران غضبًا، على جر المحراث، فإذا بقوتهما الهائلة مضافًا إليها قوةُ المحراث، تُحدث بالأرض أخاديد عميقة، وتفتت كُتل الطين الضخمة، ثم سار بخطوات وئيدة ثابتة، وأخذ يبذِر الأرض المحروثة بالأسنان، وكان بين الفينة والفينة يتطلع إلى الوراء ليرى: هل قد نبت حصاد رجال التنين؟ وهل هم يلحقون به ...؟ فظل الثوران يتهاديان بالمحراث إلى الأمام بحوافرهما البرُنزية، وقد سيطر البطل عليهما سيطرة تامةً فلم يستطيعا فِكاكًا، واستسلما إليه في خضوع تام.

انسلخ من النهار ثلثاه، وكان الحقل كله في العصر البراق قد تم حرثه، مع أن مساحته كانت تزيد على أربعة أفدنة ... فلما انتهى جاسون من الحرث، رفع النير عن رقبتَي الثورين، ولوَّح لهما بأسلحته مهددًا، فجريا مذعورَين عائدين من حيث أتيا ... وعندئذٍ رجع البطل نفسه إلى السفينة؛ إذ إن الأخاديد لم تكن قد دبَّت فيها الحياة بالحصاد بعد.

أحاط الأبطال بزميلهم، يهتفون بصوت جَهْوري هتافات النصر والظفر، معجبين بشجاعته ومهارته، ولكنه لم يقل شيئًا واكتفى بأنْ ملأ خوذته بماء من النهر، وأطفأ أَوَار ظمئه المستعر في جوفه، فأحس النشاط يدبُّ من جديد في مفاصله وعضلاته، وبرغبة جديدة في القتال، فأخذ يعَضُّ على شفتيه بأسنانه؛ كما يفعل الخنزير البري وهو يستعد لمصارعة الصيادين.

امتلأ الحقل جميعُه بالمحصول المطلوب ... فإذا بحقل آريس كله يتلألأ بالدروع والرماح، ويتألق بالخوذات في بريق يخطَف بالأبصار، وتصل أشعته إلى عنان السماء، عندئذٍ تذكر جاسون حيلة ميديا، فأمسك بصخرة ضخمة، لا يستطيع أربعة من الرجال الأشداء أولي القوة أن يرفعوها من الأرض، ولكنه التقطها بكلتا يديه دون أي مجهود، وقذف بها بعيدًا وسط المحاربين النابتين من الأرض، وبجسارة يحوطها الحذر، ركع على إحدى ركبتيه، وغطى نفسه بدرعه، فصاح الكولخيون عاليًا كما تزمجر الأمواج العاتية

وهي ترتطم بالصخور الناتئة، عندئذٍ فغَر أبيتيس فاه مدهوشًا من تلك القذفة العجيبة التي تنمُّ عن قوة ليست من قوة البشر.

تكالب المحاربون الذين نبتوا من حقل آريس على الصخرة؛ كما تتعارك الكلاب على عظْمة كبيرة، وأخذ كل منهم يقتل زميله غاضبًا هائجًا في صيحات بالغة، ومن شدة ما أصابهم من الرماح، كانوا يتساقطون فوق الأرض؛ كما تسقط أشجار الزان أو البلوط، وقد نزعتها من جذورها زلزلةٌ عاتية أو ريح عاصفة هوجاء ... ولما بلغ القتال أشُدَّه، هجم جاسون وسطهم كالشهاب الساقط في بهيم الليل الداجي، كأنه نذير مرسَل من لدن الآلهة، واستل سيفه من غمده، وراح يضرب ذات اليمين وذات الشمال، يطعن هذا تارةً، ويُجندِلُ ذاك تارةً أخرى، ويضرب فريقًا قد همَّ بالنهوض لملاقاته، فيحصدهم حصدًا كما يقطع الحصاد عيدان القمح بمِنجَله، ويصرَع فريقًا آخر قد ظهر من أجسامهم ما لا يزيد على ما تحت الكتفين بقليل، فيتردَّون وهم في منابتهم، ثم ينبري فيقطع رءوس فئة أخرى قد جرت لتنضم إلى القتال الطاحن الدائر في تلك الحلبة، التي امتلأت أخاديدُها بالدماء، وغُطيت أرضها بجثث القتلى والجرحى المسجَّاة في كل جانب؛ على حين انغرس نفر عديد منهم في الأرض بنفس العمق الذي بذرهم به جاسون تقريبًا ...

رأى أبيتيس نجاح جاسون الباهر، فغلى مِرْجل غيظه وتجهَّم وجهه، وصار يَزفِر زفَراتٍ قوية؛ كالبحر المائج المضطرب وقد عصفت رياحه وتواثبت أمواجه، ولكنه لم يشأ أن يُظهر حَنَقه أمام شعبه الذي كان يتحمس للبطل المغوار، ويصفق له إعجابًا واستحسانًا؛ حتى علا صوت الهتافات إلى ما فوق السحاب، فكظَم أبيتيس غيظه الدفين الذي كاد يقطع نياط قلبه ويُشعل النار في صدره، وترك الشاطئ دون أن ينبِس ببنت شفة، وعاد إلى المدينة وهو لا يفكر إلا في طريق الخلاص من جاسون وفي إيذائه أيَّما إيذاء.

استغرقت هذه الأحداث النهار بأكمله ... وأقبل الغسق يتهادى بطيئًا، فخرج جاسون من ساحة الوغى وقد انتصر على الثورين وجيشِ المحاربين انتصارًا مبينًا، لم تشهد البلاد له مثيلًا منذ أن عرَفت الحياة، ثم خلع درعه ورجع إلى السفينة يحيط به رفاقُه الأبطال وهم يوسِعونه عناقًا وتقبيلًا، وقد عم الفرح والسرور جميع الطرقات، واختلطت هُتافات البحارة بهتافات الكولخيين.

ميديا تأخذ الجِزَّة الذهبية

ذهب الملك أييتيس إلى قصره يجر أذيال الهزيمة والشرر يتطاير من عينيه، فأمر باستدعاء جميع الشيوخ من النبلاء، وعقد مجلسًا للتشاور في طريق التغلب على بحارة الأرجو، بعد أن رماهم بكل ما في جَعبته من سهام فلم تُصب منهم مقتلًا، بل على العكس جلبت لهم الشهرة والمجد.

كان أييتيس على يقين تام من أن كل ما حدث في ذلك اليوم لم يكن في استطاعة أحد القيامُ به دون مساعدة ابنتيه، ورأت هيرا، ملكة الأرباب، الخطر المحدق بجاسون، فملأت قلب ميديا بالهواجس والشكوك؛ لدرجة أن فرائصها ارتعدت كما يرتعد الغزال في أعماق الغابة عند سماعه نباح كلاب الصيد. وفي الحال أحست أن أباها قد اكتشف الحقيقة، وخشيت كذلك أن تكتشف خادماتُها حقيقة الأمر، فيَشينَ بها ويبُحنَ بما رأين في المعبد قُبيل المعركة، فاحترقت الدموع تحت جفون ميديا، وامتلأت أذناها بالطنين، واسود الكون أمام ناظريها، وضاقت الدنيا في وجهها بما رحُبت ... فأرسلت شعرها مشعثًا وراء ظهرها، وانتابتها شتى الوساوس، وبدأ الحزن يجثم على صدرها فيسحق قلبها ... ولولا أن القدر يدخر لها مصيرًا آخر، لتجرعت السمَّ ووضعت نهايةً لآلامها في تلك الساعة بالذات، التي كانت أَحْلكَ ساعة مرت بها طوال حياتها، لقد أمسكت بيدها فعلًا حافة الكأس وكادت تتجرع ما فيها، إلا أن هيرا تدخلت فجددت شجاعتها وثَنَتْها عن بُغْيتها، فسكبت السم ثانيةً في القارورة، واستردت سيطرتها على أعصابها، وصممت على الهرب.

غمرت ميديا فراشها وأبواب مقصورتها بالقبلات، ثم لمست حوائط حجرتها لآخر مرة، وجزَّت خصلة من شعرها ووضعتها فوق فراشها؛ لكي يتذكرها بها أبوها وأمها، وبصوت تخنقه العَبرات قالت: «وداعًا! أمي العزيزة، وداعًا يا خالكيوبي، وداعًا يا جميع

من عاشرت في هذا البيت! أيها الغريب، كان من الأفضل أن تغرق سفينتك قبل المجيء إلى هنا؛ فيبتلعك اليم أنت ورفاقك!»

فرَّت ميديا من بيتها العزيز كما يفرُّ الأسير من معقِله، كانت أبواب القصر تنفتح على مصاريعها كلما تمتمت بالتعاويذ السحرية، فكانت تجري خلال الممرات الضيقة بأقدام عارية مُسدِلةً خمارها فوق خديها بيدها اليسرى؛ على حين ترفع بيمناها طرَف ثوبها كي لا يرتطم بالأرض؛ فيُحدث صوتًا يشي بها ويوقظ النيام من أهل البيت، فتحبَط خطتُها.

لم يلاحظ الحراس ميديا وهي تتسلل في ظلام الليل، وسَرعان ما اجتازت حدود المدينة وبلغت معبدًا قريبًا من طريق غير معروف؛ لأنها عندما كانت تجمع الجذور والأعشاب لعمل جرعاتها وسمومها، تمكنت من معرفة جميع الدروب في الحقول والغابات. وشاهدتها سيليني Selene، ربة القمر، وقد ملأت الأرض بنورها الفضي الهادئ، فابتسمت وقالت: «إذن هناك أخريات معذَّبات بالحب كما أتعذب أنا بحب إندوميون Endymion!... كثيرًا ما أقصيتني عن السماء بسحرك ... فها أنتِ ذي الآن تعانين تباريح الهوى شوقًا إلى جاسون، اذهبي إذن حيث يجب عليك أن تذهبي، ولكن لا تظني أن دهاءك سوف يفيدك في إنقاذ الجميع من الحزن المرير!»

هكذا قالت سيلينى لنفسها، ولكن ميديا ذهبت تسعى في طريقها ثم عرجت على الشاطئ؛ حيث ساعدتها النار العظيمة التي أشعلها بحارة الأرجو، وبقيت مشتعلةً طوال الليل تبجيلًا لجاسون، فلما بلغت الشاطئ وأصبحت في مواجهة السفينة، نادت فرونتيس Phrontis ابن صغرى شقيقاتها، فإذا هو وجاسون يتعرفان على صوتها، ويجيبان ثلاث مرات ردًّا على نداءاتها الثلاثة.

بدت الدهشة على وجوه الأبطال عندما سمعوا هذه النداءات، ولكنهم سرعان ما جدَّفوا للقائها والترحيب بها، وقبل أن ترسو السفينة، قفز جاسون إلى الشاطئ، وتبعه فرونتيس وأرجوس.

وما إن أبصرت الفتاة حبيبها وابني أختها يُهرعون إليها، حتى ركعت أمامهم وأمسكت برُكبهم وهي تصيح: «أنقذوني، أنقذوا أنفسكم! أنقذوني من أبي وانتقامه! لقد أُفشي سرُّ جميع ما فعلت من أجلكم، ولا سبيل إلى عمل شيء أو الصمودِ أمام غضبه الثائر الجامح، هيا بنا نهرُب بالسفينة قبل أن يستطيع اعتلاء ظهر جواده السريع ... سأحصل لكم على الجِزَّة الذهبية التي قَدِمْتُم من أجلها متجشمين المتاعب وراكبين الأخطار؛ بأن

أتلو تعويذةً تجعل الأفعوان الضخم الذي يحرسها يغِطُّ في سبات عميق ... وأنت أيها الحبيب، أَقْسِم لي بآلهتك وفي حضرة أصدقائك، إنك لن تنال من كرامتي عندما أصير غريبةً وحيدةً في بلادك.»

قالت هذا والدموعُ تنهمر من مآقيها فتنحدر على وجنتيها، ولكن جاسون ربَّت على ظهرها بلين ورفق، وحملها من ركبتيها واحتضنها قائلًا: «أي حبيبتي! ونور عيني! وأعزَّ مَن أحب وأتمنى! ليشهد عليَّ زوس وهيرا حليفة الزواج، بأنني سوف آخذك إلى بيتي كزوجتي الشرعية بمجرد عودتنا إلى بلاد الإغريق، وسوف تكونين معززةً مكرمة، حاكمة آمرة.» أقسم جاسون هذا القسم ثم وضع يده توكيدًا لمضمونه.

أمرت ميديا المجدفين الأبطال أن يسرعوا بالتجديف بشدة حتى يبلغوا الحقل المقدس، ويأخذوا الجِزَّة الذهبية في نفس تلك الليلة، فانطلقت السفينة كالسهم المارق في نور القمر الخافت فوصلت قبل انبثاق الفجر، فتركها جاسون ومعه ميديا، فشقَّا طريقهما بسرعة عبر المرج إلى أن أبصروا شجرة البلوط السامقة التي عُلقت على قمتها الجِزَّة الذهبية، تتلألأ وسط الليل البهيم كأنها سحابة من النار تخضِبها باكورة أشعة الشمس، وكان يجلس قُبالتَها تنين هائل لا يغمض له جفن، حاد البصر، تخترق عيونه الآفاق البعيدة وسط النور أو الظلام على السواء.

مدَّ التنين عنقه الطويل البغيض صوب القادمين، وأرسل صرخة مدوية ردَّد الفضاء صداها بين أجواز السماء وأشجار الغابة الفسيحة وشاطئ النهر، ثم وثب من مكانه مندفعًا نحو القادمين بسرعة دونها سرعةُ اندلاع ألسنة اللهيب وسط الهشيم في يوم ريح صرصر عاتية، مجلجِلًا المكان بصوت حراشيفه المتراكبِ بعضُها فوق بعض في صفوف متراصة، بيد أن ذلك لم يُخِف الفتاة أو يحرك منها شعرة واحدة، فسارت إليه في خطوات سريعة بجرأة نادرة، منشِدةً صلاةً جميلة اللحن بصوتها العذب الرخيم، لرب النوم؛ أقوى الآلهة؛ حتى يسلط على ذلك التنين المقيت سُباتًا يشُلُّ حركته ويغمض عينيه، كما توسلت إلى ملكة العالم السفلي العظيمة أن تبارك مهمتها، فتبعها جاسون يقتفي خطواتها؛ وقد بدأ الوجل يتطرق إلى نفسه، ولكن التنين كان يغالب النعاس والنعاس يغلبه حتى كوَّمه حيث هو، فاقدَ الحركة والوعي، فارتمى خافضًا احدِوْداب ظهره، وباسطًا تلافيف جسده الضخم، ولم يتحرك منه أيُّ عضو غير رأسه المخيف الذي بقي متيقظًا يهدد ميديا بفكيه المفتوحين؛ بيد أن الفتاة كانت مستعدة لمثل هذه الحركة، فقد كانت تحمل بين طيات ثيابها غصنًا من نبات سحري، نثرت به ندًى سحريًّا في عيون التنين؛ وهي تردد تعويذة

تتبع الرأس الجسد، فخَدَّرت رائحة السائل الزكية رأسه، فأرخى جفونه وأقفل شدقيه، وبسط طوله الحرشفي عبر الغابة، وراح يغط في نوم عميق ملء جفونه.

وبأمر من ميديا، التقط جاسون الجِزَّة الذهبية من فوق شجرة البلوط؛ على حين استمرت هي تذُرُّ على رأس التنين بمحلولها السحري، ثم أسرعا راجعين أدراجَهما وسط الحقل الكثيف يحملان الجِزَّة الذهبية العريضة، ينبعث منها بريق لَأْلاء ينعكس على شعر جاسون الأشقر فيضيء الممر المظلم بسنائه.

حمل جاسون الكنز المتألق فوق كتفه اليسرى، متدليًا من عنقه حتى عقبيه، ولكنه طواه بعد ذلك خشية أن يلتقي به إنسان أو إله فيسلبه حمله الثمين، فوصلا إلى السفينة وقد بدأ الصباح يتنفس، وأريج المرج الأخضر يشيع عاطرًا فيحمله النسيم إلى مسافات بعيدة، والسحائب الضاحكة تختال في جنبات السماء الصافية سكرَى من النور، وكل ما يخطر في موكب الفجر جميل رقيق عذب .. التف البحارة حول قائدهم وأبدوا إعجابهم بالجِزَّة التي كانت تبرق كإحدى صواعق زوس اللامعة، واجتاحت كلًّا منهم رغبةٌ ملحة في أن يلمس الجِزَّة بيديه ويتحسس خيوطها العسجدية البراقة، ولكن جاسون لم يسمح لهم بذلك وكان يخفيها تحت عباءته.

جلست ميديا عند دفة السفينة، ووقف جاسون يقول لزملائه: «والآن يا أصدقائي الأعزاء، هيا بنا نسرع بالرحيل إلى وطننا قبل أن يطاردنا الملك الجبار عندما يكتشف أننا حصلنا على ما كنا نهدف إليه بمساعدة ابنته، التي لا يمكننا أن نمجد فضلها في إنجاز مهمتنا وإنقاذ بلاد الإغريق وأبطالها؛ كما أنه لا يمكننا أن نوفيَها حقها من التقدير وعرفان الجميل، وفي مقابل ذلك سأتخذها زوجة لي شرعية، وأصحبها إلى بيتي لتكون سيدته، وأطلب منكم أيها الرفاق المخلصون والزملاء الأوفياء، أن تساعدوني على حمايتها والذود عنها؛ لأننا لم ننتصر إلا بمعونتها .. هذا فضلًا عن أنني لا أشك مطلقًا في أن أباها أييتيس سرعان ما سيكتشف أننا حصلنا على أثمن كنز كان يحتفظ به، ويمنعه عن العالم أجمع، فيسرع مع شعبه محاولًا منْعنا من مغادرة النهر قبل الدخول إلى البحر الفسيح، ومن ثَم دعُوا نصفنا يجدِّف بشدة وبسرعة؛ على حين أن النصف الآخر يحمل الدروع الكبيرة من جلود الثيران، ويقف على استعداد لصد هجوم العدو، فنصون انسحابنا. إن في وسعنا العودةَ إلى شعبنا، وإن بأيدينا أن نجلب المجد والشهرة لبلاد الإغريق، أو نُلحق بها الخزي والعار أبد الدهر، واعلموا أنني أحذركم أمرًا أنا عنه بنجوة، ولا أحملكم على خطةٍ أرخصُ متاع فيها النفوس إلا بدأت بنفسي، فسأقف في مقدمتكم وأذود عن حمانا إلى آخر قطرة من دمي.»

قال جاسون هذا ثم قطع بسيفه الحبال التي تربط السفينة بالشاطئ، وارتدى كامل عدته الحربية متسلحًا بالرمح والحسام، واحتل مكانه على ظهر السفينة بالقرب من ميديا، وبجوار أنكايوس مدير الدفة البارع، وما هي إلا برهة حتى ضربت المجاديفَ السريعةَ الأمواجُ، فانزلقت السفينة إلى مصب النهر.

مطاردة بحارة الأرجو

وفِرارهم مع ميديا

انبثق الفجر نحيلًا في صدر السماء يترقرق كالسحر، وبدأت الشمس تتدرج من خِدرها، وكان أييتيس لا يزال متيقظًا لم ينم تلك الليلة؛ إذ استمر اجتماعه بالشيوخ النبلاء حتى الصباح، واستيقظ كل من في القصر، فعلم بما زاده همًّا على هم، وانقباضًا على انقباض؛ لقد علم هو وجميع الكولخيين بقصة غرام ميديا مع جاسون كاملة؛ كما علموا بما قامت به من مساعدة مكَّنته من الانتصار في اليوم السابق، ثم بما هو أمرُّ وأدهى؛ بهروبها مع الغريب بعد سرقة الجِزَّة الذهبية، فجُن جنون الملك واضطرب ميزانه، وملأت سورة الغضب أوداجه فعصف بلُبِّه وأطار عقله، واجتمع برؤساء قومه في السوق العامة، وأمر بتسلُّح جميع الفرسان، فحضروا على عجَل بكامل أسلحتهم، وساروا جميعًا بعد ذلك إلى شاطئ البحر في جيش لَجِبٍ مثيرًا الغبار حتى أعالي الفضاء، وضوضاؤهم تصم الآذان، يتوسطهم أييتيس وقد امتطى عربته المتينة تجرُّها الجياد السريعة التي أهداها إليه رب الشمس، وحمل في يسراه درعًا مستديرة، وفي يمناه مشعلًا طويلًا، وكانت ترتكز إلى جانبه حربته الطويلة الثقيلة، وقد ركب إلى جانبه ابنه أبسورتوس ممسكًا بأعنة الخيول …

وما إن وصل القوم إلى مصب النهر، حتى كانت السفينة قد بلغت البحر الفسيح، منطلقةً بمجاديفها القوية في أقصى سرعة، تحركها السواعد الفتية، فسقطت الشعلة والدرع من أصابع الملك، ورفع يديه نحو السماء مناديًا زوس وأبولو؛ ليكونا شاهدَين على الجريمة التي اقتُرفت في حقه، ثم أنذر رعاياه بأنهم إن لم يلحقوا بابنته في البحر

ويحضروها إليه صاغرةً؛ لكي يشفي غليله بالانتقام منها، فإنه سوف يقطع رءوسهم أجمعين.

خاف الكولخيون تهديد مليكهم ووعيده، فجمعوا عددًا كبيرًا من السفن على وجه السرعة، وحملوها بالمؤن والأسلحة، وأقلعوا بحرًا ليلحقوا بسفينة الأرجو مقتفين أثر ميديا، وكان أسطولهم هذا تحت قيادة أبسورتوس بن أييتيس؛ البطل الشاب والمحارب المدرب.

تحرك أسطول الكولخيين في البحر كأنه قطيع من الطيور لا نهاية له، فملأ البحر حتى ضاق عنه، وقد أعمل أبطالهم المجاديف ونشروا الأشرعة لتزيد من سرعته.

أما سفينة الأرجو فقد واتتها الرياح فملأت أشرعتها ودفعتها بقوة؛ حتى وصلت في صبيحة اليوم التالي إلى نهر هالوس Halys، فألقوا مراسيَهم على شاطئ بافلاجونيا Paphlagonia حيث قدَّموا ذبيحة للربة هيكاتي منقذتهم، كما أمرت بذلك ميديا، وعندئذٍ تذكر قائدهم وبعض الزملاء أن فينيوس، العراف العجوز، كان قد أمرهم بالعودة من طريق آخر، ولم يكن أحد منهم يعرف تلك المناطق؛ بيد أن أرجوس بن فريكسوس جاء لنجدتهم؛ لأنه علم مما كتبه الكهنة أن عليهم أن يبحروا إلى نهر إستير Ister الذي ينبع من الجبال الريبية Rhipaean Mountains متفرعًا إلى عدة فروع تصب ثروته المائية في كل من البحر الأيوني Ionian Sea وبحر صقلية Sicilian Sea وما إن أشار عليهم أرجوس بهذا حتى انشقت السماء فجأة عن قوس قزح في الجهة التي كان مفروضًا أنهم سيبحرون صوبها، وهبَّت نَسَمة رقيقة وظلت العلامة مشرقة في السماء دون انقطاع، حتى نجوا ووصلوا إلى مصب نهر إستير، الذي يصب مياهه العذبة في البحر الأيوني.

برغم ذلك لم يكُفَّ الكولخيون عن المطاردة، ولما كانت سفنهم خفيفة تستطيع الإبحار بسرعة تزيد على سرعة الأرجو، فقد وصلوا إلى مصب نهر إستير قبل بحارة الأرجو، وتفرقوا بين الخلجان والجُزر المختلفة ينتظرون قدوم الأبطال؛ حتى يباغتوهم على حين غِرَّة ويسدوا عليهم طريق العبور إلى البحر، بعد أن أرسوا في دلتا النهر.

أبصر بحارة الأرجو سفين الأعداء في عداد الحصى، فذُعروا وتولَّتهم الدهشة، فأرسوا الأرجو على شاطئ إحدى الجزر واحتلوها، فتبعهم الكولخيون، وبدا وكأن معركة توشِك أن تنشِب بين الفريقين، وبدأ الأغارقة المَكْروبون في المفاوضة، وأخيرًا اتفق الطرفان على أن يحمل بحارة الأرجو الجِزَّة الذهبية، مهما حدث؛ إذ كان الملك أييتيس قد وعد بها جاسون نظير ما قام به من أعمال البطولة والمهام الخطرة، أما ميديا ابنة الملك أييتيس

فكان لابد من تركها على جزيرة أخرى في معبد الربة أرتيميس Artemis؛ حتى يقرر أحد الملوك المجاورين المشهور بعدالته؛ هل عليها أن تعود إلى أبيها أو ترافق الأبطال إلى بلاد الإغريق.

علمت ميديا بما اتفق عليه الفريقان، فثارت ثائرتها ورُوِّعت نفسها من الخوف، وانتحت جانبًا مع حبيبها في مكان لا يسمعهما فيه أحد من زملائه، وتوسلت إليه ودموعها تنحدر على وجنتيها وقالت له: «حبيبي جاسون! ماذا أنت فاعل بي؟ هل أنستْك نشوة الظفر والحظ السعيد ما أقسمت به لي عندما كنت في مسيس الحاجة إلى معونتي؟ آه! كم كنت عديمة التبصر والتفكير في العواقب عندما وضعت كل آمالي فيك، وعندما استرخصت شرفي وتركت أرض أجدادي وبيتي ووالديَّ وجميع ما كنت أحب وأعِزُّ! إنه لمن جزَّاء ما فعلتُ لك أنني أُحمل بعيدًا عن البحر المترامي الأطراف ... إن حماقتي هي التي أنالتك الجِزَّة الذهبية ... ولك استسلمت وقدَّمت بكارتي! ها أنا ذي أتبعك إلى بلاد الإغريق كتابعة لك، كزوجتك، فيجب عليك إزاء كل هذا أن تحميَني وتدافع عني، فلا تتركني هنا وحدي، ولا تجعل الملوك يتحكمون في مصيري، فلو أُرجعت إلى بيت أبي، لكان في ذلك الرجوع نهايتي ... وبعد ذلك كيف يتسنى أن تهنأ في عودتك؟ وكيف تستطيع هيرا زوجة زوس التي تتباهى بأنها نصيرتك وحليفتك وحاميتك أن توافق على مثل هذا الإجراء؟ فلئن هجرتني لسوف يأتي وقت تصبح فيه في محنة شديدة، فتفكر عندئذٍ في ميديا عندما تؤخذ منك الجِزَّة الذهبية كما لو كنت في حلم ... عندئذٍ تبتعد بك أرواح الانتقام عن وطنك، كما أنا بعيدة الآن عن وطني؛ بسبب دهائك وخبثك.»

هكذا تكلمت ميديا، وقد عصَف الحب بقلبها، وبرَّح بها الجوى، وكم كان يُسعدها لو أن النيران تشبُّ في السفينة، وتُحرق كل شيء فيها، ثم تلقي هي بنفسها في ألسنة اللهب إلى غير رجعة، فتستريح من ذلك العذاب الذي يَمُضُّ نفسها ويحزُّ في فؤادها فيهز كِيانها هزًّا عنيفًا تكاد تزهق معه روحها ...! فنظر إليها جاسون وهو حيرانُ لا يدري ماذا يفعل، فقد كان ضميره يؤنبه، ثم قال لها مستعطفًا: «املكي زمام نفسك يا حبيبتي، وسيطري على أعصابك! فإنني لم أكن جادًّا في إبرام ذلك الاتفاق، إنه من أجلك فقط، إننا نحاول تأجيل القتال؛ لأن عدونا يفوقنا عددًا وعُدة؛ فإنه في عداد الحصى أو بعدد الجراد في فصل الصيف القائظ، وفضلًا عن ذلك فإن جميع سكان هذه البلاد أصدقاء للكولخيين، وطبيعي جدًّا أنهم يساعدون أخاك أبسورتوس في القبض عليك والذهاب بكِ ثانيةً إلى والدكِ؛ حيث ينتظرك تعذيب وانتقام ما بعدهما تعذيب وانتقام، وبصرف النظر

عن كل هذا، فإننا إذا قاتلنا الآن، فسوف نهلِك جميعًا أسوأ هلاك، وعندئذٍ يصبح مصيرك في مهب الريح تعصِف به كيف شاءت، ومن البديهي أنكِ بعد موتنا ستسقطين في يد العدو فريسةً سائغة ... دعيني أقول لكِ إننا لم نبرم ذلك الاتفاقَ إلا كحيلة نأمَل بها تحطيم أبسورتوس، ويومَ نقضي على قائدهم يمتنع جيرانهم عن معونتهم.»

قال جاسون ذلك القول ليهدئ من روع ميديا الثائرة، ويبعث في روحها الأمل ... عندئذٍ قدمت ميديا نصيحتها إلى جاسون؛ باتباع خطة يشيب لها الوِلدان في عهد الرضاع؛ فقالت: «لقد حدث ذات يوم أنني تخليت عن واجباتي، وإذ أعماني الحب الذي يطمِس البصيرة، أقدمت على عمل شرير كانت نتيجته أنني لا أستطيع العودة، إذن فلابد من الاستمرار في إجرامي مهما كلفني؛ ومن ثَم فسألاطف أخي حتى يضع نفسه بين يديك ... أعد له وليمةً فاخرة، وأسرف له في الطعام والشراب، ولسوف أحاول إغراء الحراس بأن يتركوه وحده معي، وعندئذٍ تستطيع أن تقتله، فيصبح الكولخيون بدون قائد، فيمكن القضاء عليهم في سهولة ويسر.»

هكذا وضع الحبيبان خطة الفتك بأبسورتوس، فأرسلا إليه الهدايا الكثيرة، وكان من بينها رداء نادر الوجود كانت ملكة ليمنوس قد أهدته ذات مرة لجاسون، وكانت ربات الحسن قد نسَجْنه لديونيسوس بأيديهن من خيوط الأرجوان الرقيقة المشربة بروائح السموات العطرية؛ لأن ديونيسوس، إله الخمر نفسه، كان ثملًا دائمًا بشراب الآلهة، فنام في طيات ذلك الرداء.

حثَّت ميديا بمكرها ودهائها رسل أخيها على إحضار أبسورتوس إلى الجزيرة الأخرى عند معبد أرتيميس في منتصف الليل، وأخبرتهم أنها قد وضعت خطة سرية ليحصل أخوها على الجِزَّة الذهبية، دون علم الأبطال الأغارقة، ويعود بها إلى الملك أييتيس، واعتذرت لهم بأن الذي ساعد بحارة الأرجو في الحصول عليها هم أبناء فريسكوس، الذين كانوا يعرفون مكان الجِزَّة.

بعد أن أفلحت ميديا في خداع رسل السلام، نثرت في الفضاء مقدارًا كبيرًا من مسحوقها السحري؛ حتى إن رائحته القوية جذبت أكثر الحيوانات من أعالي الجبال، وبذا كان لها ما أرادت، فقد ركب أبسورتوس سفينة، مخدوعًا بوعود شقيقته، وتوجَّه إلى الجزيرة المقدسة، ولما التقى بميديا، حاول بمفرده أن يَسبُر غور مكنونات صدرها؛ ليعرف: هل كانت حقًّا ستدبر معه كمينًا للأغراب ... ولكن هيهات له أن يصل إلى قرارة نفسها، فكان في الأمر أشبه بصبي حدَثٍ يخوض مجرًى جبليًّا من المياه المتدفقة

بقوة يتعذر على الرجل الكبير اجتيازه، وبينما كان الشقيقان منهمكين في الحديث، خرج جاسون من كمين أُعدَّ من قبل، وهجم على أبسورتوس بسيفه البتار المسلول، فأطاح رأسه عن جسده، وكانت ميديا قد خبَّأت عينيها بخمارها؛ حتى لا ترى أخاها وهو يُقتل، وهكذا كان مصرع ابن الملك أييتيس بضربة واحدة جادت بها يد جاسون؛ كما لو كان ذبيحة فوق المذبح. فتلطَّخ رداء ميديا بدم أخيها، ولكن ربات الانتقام اللواتي لا تخفى عليهن خافية، كُنَّ لها بالمرصاد، فتطلعن من مسكنهن السري، بعيون مِلْؤها الحَنَق والغضب، وشاهدن ما جرى من عمل فظيع في ذلك المكان المنعزل.

نظَّف جاسون نفسه من دماء أبسورتوس، ودفن الجثة وغطاها بالثرى، ثم أعطت ميديا إشارةً بوساطة الشعلة إلى بحارة الأرجو؛ تبعًا لخطة موضوعة، فجاء هؤلاء بسفينتهم إلى جوار المركب الذي حضر فيه أبسورتوس إلى تلك الجزيرة، فانقضُّوا على أعوانه انقضاض البازي على أسراب اليمام، أو الأسود على الخراف، فأبادوهم على بكرة أبيهم، ولم ينجُ منهم رجل واحد، وعندما أقبل جاسون لمساعدة رفقائه لم تكن هناك حاجة إليه، فقد انتهت المعركة وبان مصيرها.

بحارة الأرجو في طريقهم إلى الوطن

اتبع الأبطال نصيحة بيليوس، وغادروا مصبَّ النهر بسرعة؛ حتى لا يهجُم عليهم بقية الكولخيين عندما يعلمون ما حدث لرفقائهم. ويمَّموا شطر البحر في طريقهم نحو الوطن، بَيْد أنه سَرعان ما اكتشف الكولخيون مصير قائدهم أبسورتوس ومن كانوا يرافقونه في السفينة، فاستشاطوا غضبًا، وأقلعوا يقتفون أثر الأغارقة، ولكن الربة هيرا عاقتهم بأن أشعلت وميض برق في السماء، فخشوا نذيره … ولما كانوا يخشون كذلك غضب مليكهم أييتيس لو عادوا إليه بدون ابنته وابنه، فقد مكثوا في جزر أرتيميس عند مصب النهر وأقاموا هناك.

استمر بحارة الأرجو في طريقهم مارِّين بسواحل عدة وجزائر كثيرة؛ من بينها تلك التي تتخذها الملكة كالوبسو Calypso بنة أطلس Atlas موطنًا لإقامتها، وكانوا قد ظنوا أنهم شاهدوا أعلى ذؤابات وطنهم ترتفع شامخةً في الأفق البعيد، غير أن الربة هيرا، من خوفها من خطط زوس، أثارت عاصفة هوجاءَ جرفت سفينة الأرجو إلى جزر آمبر Amber التي لا ترحب بالضيوف، وعندئذٍ أخذت قطعة الخشب المأخوذة من بلوطة دودونا، والتي وضعتها أثينا في حيزوم السفينة، أخذت تتكلم، فارتعدت فرائص الأبطال لسماع كلامها فَرَقًا وهلعًا … قالت البلوطة: «اسمعوا أيها الأبطال! يا من اقترفتم إثمًا ما بعده إثم، لن تُفلتوا من غضب زوس، ولسوف تظلون تَجوسون في البحر، وتمخرون عباب اليم إلى أن تطهِّرَكم الساحرة كيركي من دماء أبسورتوس الذي اغتلتموه في أبشع صور الاغتيال … لذا يجب على كاستورو بولوديوكيس أن يصلِّيا إلى الآلهة؛ كي يرشدوكم إلى الممرات التي توصلكم إلى كيركي ابنة رب الشمس وبيرسي Perse.»

هكذا تكلَّم حيزوم الأرجو ساعة الغسَق، فاستولت المخاوف على الأغارقة، وساورتهم الرهبة والقلق، وتملَّكهم ذعرٌ شديدٌ عندما سمعوا ما قيل لهم من أنباء ذلك الحظ

السيئ، وجلسوا دون حراك بجانب مجاديفهم كأن على رءوسهم الطير، وقد ألجم الخوف ألسنتهم فكانت تلتصق الألفاظ بحلوقهم، ما عدا كاستورو بولوديوكيس، اللذين قفزا من مقعديهما، وتجاسرا متوسلين إلى الآلهة الخالدة كي تحميهم، ولكن السفينة انزلقت إلى البقاع الداخلية من الإريدانوس Eridanus، حيث سقط ذات يوم إلى الماء فايثون Phaethon بعد أن احترق بعربة الشمس، وحتى تلك الساعة لا تزال جراحُه المكتوية تبعث نيرانًا ودخانًا من قاع النهر … لذا كان من العسير على أية سفينة أن تجتاز تلك المنطقة بسلام؛ لأن ألسنة النيران كانت تجتذبها إلى قلب أتونها المضطرم، وكانت تئن على الشواطئ أخوات فايثون المسميات هيلياديس Heliades، واللاتي تحولْن إلى أشجار حور تهبُّ عليها الرياح فيذرفن دموعًا براقة من الكهرمان تسقط على الأرض فتجففها الشمس ويجرفها النهر إلى تياره.

كان على سفينة الأرجو أن تمر من ذلك المكان المحفوف بالخطر، وكان لا بد من أن تلقى مصير آلاف السفن التي لقيت حتفها في ذلك الموضع، لولا أن بناء سفينة الأرجو كان متينًا سكينًا فقاوم أشد مقاومة، فاجتازت بسلام، ولكن البحارة فقدوا كلَّ شهية إلى طعام أو شراب، فنهارًا، كانت تُزكم أنوفَهم الرائحةُ الكريهة العفنة المنبعثة من اللحم المحروق، فلا يستطيع المرء لها احتمالًا. وليلًا، كانوا يسمعون بكاء الهيلياديس ونحيبهن، ويرون الدموع الذهبية تسري إلى مياه البحر كأنها نقاط من الزيت الثمين، فأخذ الأبطال يجدِّفون بقوة وعزيمة لا تعرف الكلل، على طول سواحل أريدانوس، حتى بلغوا مصب نهر رودانوس Rhodanus، وكادوا يُجرَفون إلى داخله فيلقَون المصير المشئوم، لولا أن ظهرت هيرا فجأة فوق صخرة عالية، وحذَّرتهم بصوتها المقدس الرنان أن يبتعدوا عن مكان الخطر بكل ما أوتوا من حوْلٍ وقوة … وهكذا أداروا وُجهتهم وأبحروا أيامًا عدة ولياليَ لا تُحصى، مجتازين كثيرًا من الأماكن التي تسكنها العائلات الكلتية، حتى وصلوا إلى البحر التوريني Tyrrhenian Sea، فأبحروا آمنين إلى أن بلغوا داخل ميناء جزيرة كيركي.

أرسى الأبطال السفينة إلى البر، ونزلوا إلى اليابسة منهوكي القوى، متعَبي الأجسام، فوجدوا الساحرة على الشاطئ متكئةً فوق البحر، تغسل وجهها في أمواجه المتلاطمة … وكانت قد رأت فيما يراه النائم، أن بيتها كله وحجرتها غارقان في الدماء المتدفقة، وأن نارًا متأججة قد أتت على جميع أعشابها وتراكيبها السحرية، التي اعتادت بها أن تسحر الأغراب الذين يطئون أرض جزيرتها، وأنها كانت تَعُبُّ من الدماء بحفنة يدها وتحاول إطفاء النار … فأزعجها هذا الكابوس، ودفعها إلى الشاطئ؛ حيث أخذت تغسل ملابسها وخصلات شعرها كما لو كانت فعلًا ملطخة بالدماء … وقد أتت الحيوانات المفترسة

الضخمة تتبعها جماعات جماعات؛ كما تتبع الماشية الراعي من حظائرها، وكانت تلك الحيوانات تختلف عن الحيوانات المعروفة تمام الاختلاف، فكانت أطرافها لنوع من الحيوان وجسدها لحيوان آخر.

وقف الأبطال مشدوهين مأخوذين؛ لأنهم ما كادوا ينظرون إلى كيركي حتى عرفوا أنها شقيقة أييتيس الشرير، فلما انتهت الربة من الاغتسال من مفازع الليل، عادت أدراجَها إلى بيتها، ونادت الحيوانات المفترسة، وراحت تربِّت على ظهورها ورءوسها كأنها تدلل كلابًا.

أمر جاسون جميع البحارة بالبقاء في السفينة، ونزل هو وميديا وحدهما إلى الجزيرة ... ثم أخذها وهي محجمة إلى قصر كيركي، ولما كانت الساحرة لا تدري سبب مجيء الغريبين، فقد أمرتهما بالجلوس على مقاعد فاخرة، ولكنهما جلسا إلى جوار المدفأة حزينين مهمومين، ولزما الصمت، وقد وضعت ميديا رأسها بين راحتيها، كما رمى جاسون سيفه الذي قتل به أبسورتوس إلى الأرض، ثم وضع راحته فوقه، وأسند ذقنه إلى مقبضه دون أن يرفع عينيه ... فأدركت كيركي أن الماثلين أمامها متضرعان أقبلا إليها بُغيةَ التكفير عن ذنب عظيم ... وتبجيلًا لزوس، حامي حمى المتضرعين، قدمت الذبيحة اللازمة؛ بأن نحرت خنوصًا لا تزال أمه على قيد الحياة، واستدعت زوس الذي يمنح التطهير ... ثم أمرت خادماتها النياد Naiads، بجمع كل وسائل التكفير التي في المنزل، كما ذهبت هي بنفسها إلى الموقد وأحرقت فرابين من الكعك، وهي تصلي طول الوقت لتهدئ من غضب ربات الانتقام، وتتوسل إلى الآلهة أن تصفح عن الذين لطخوا أيديهم بالقتل ... فلما انتهت من كل شيء، أجلست الغريبين أولًا على مقاعد فاخرة وثيرة، وجلست هي قبالتهما، ثم سألتهما عن هدفهما من تلك الرحلة، ومن أين جاءا، ولماذا رسَوا عند جزيرتها، وكيف حدث أنهما طلبا حمايتها؛ لأنها تذكرت حُلمها وما فيه من مجاري الدماء الغزيرة، فلما رفعت ميديا رأسها لتجيب، وهي تنظر إلى وجه محدِّثتها، اصطدمت عينا كيركي بعينَي ميديا؛ إذ كانت ميديا مثلها منحدرة من رب الشمس الذي تبرُق عيون جميع نسله بالذهب.

عندما لاحظت كيركي أن هذه الفتاة تبرق عيناها بالذهب وأنها إحدى قريباتها، طلبت منهما أن يتكلما بلغة وطنهما، فبدأت ميديا تتكلم بلغة الكولخيين، وقصَّت على مسامع كيركي جميع ما حدث بين أييتيس والأبطال، بمنتهى الصدق، لم تَزِدْ واقعة ولم تنكر حادثة، ولم تُخْفِ عنها غير موضوع قتل أخيها أبسورتوس؛ بيد أن الساحرة عرفت ما أخفته ميديا، فأشفقت على قريبتها قائلة: «أيتها الفتاة المسكينة، ما أشقاك وما أتعسك! لقد هربتِ من وطنكِ تاركةً وراءك اسمًا ملطخًا بالعار، كما أنك اقترفت جريمة لا تُغتفر،

وما من شك في أن أباك سيتوجه إلى بلاد الإغريق، ويقيم الدنيا ويقعدها؛ حتى ينتقم منك لمقتل ابنه ... أما من جهتي أنا، فلن أُلْحق بكِ أدنى أذًى لأنك متضرعة؛ فضلًا على أنك إحدى قريباتي، والآن يجب عليك أن ترحلي مع هذا الأجنبي مهما كانت شخصيتُه؛ لأنني لا أستطيع الرضاء عن خططك أو فرارك المخزي.»

سرى الحزن بين جوانح ميديا عند سماعها كلمات كيركي، وغمرها بلواعجه، فغطَّت رأسها بخمارها، وانخرطت تبكي بحرقة وتذرف دموعًا حارة، إلى أن أمسك جاسون بيدها وقادها خارج قصر كيركي، فتبِعته مترنحة بخطوات متعثرة ... غير أن هيرا أشفقت على من وقع عليهم اختيارها ومن حَبَتْهم حمايتها، فبعثت إيريس رسولتها، عن طريق قوس قزح الكثير الألوان؛ لتنادي ثيتيس Thetis ربة البحر ... فلما أقبلت جعلت السفينة في عهدتها، فما كاد جاسون وميديا يعتليان ظهر الأرجو، حتى هبت ريح مواتية رُخاء، فرفع الأبطال المرساة بقلوب أخف حملًا، ونشروا الأشرعة، فجرت السفينة بسرعة على صفحة الماء المتلألئة، وما هي إلا عشية وضحاها، حتى رأوا جزيرة جميلة خضراء يانعة الزهور، تبرز من وسط المحيط في الأفق البعيد، وكانت هذه الجزيرة موطن السيرينيات المخادعات اللواتي يجذبن المارين في البحر بأصواتهن الشجية، وأغنياتهن العذبة الرخيمة؛ فيقضين عليهم.

كانت السيرينيات أنصاف طيور وأنصاف عذارى، وكان من عادتهن أن يقْبعن في انتظار فريسة جديدة، وما كان في مقدور أحد، ممن يقترب من جزيرتهن، أن ينجو من شرهن، فإذا رأين الفريسة أخذن يرسلن في الفضاء أغنياتٍ رقيقةً جذابة ... فلما أبصرن سفينة الأرجو والأبطال الأفذاذ على ظهرها يجدِّفون بسواعد فتية قوية، بدأن يُنشدْن ألحانًا عذبة حلوة؛ كأنها السِّحر ينساب متخللًا الهواء، وكان أبطال الأرجو وقتئذٍ على وشْك إلقاء المرساة بسفينتهم على شاطئ تلك الجزيرة المشئومة، لولا أن المغني التراقي أورفيوس، نهض من مقعده وطفِق يعزف أغنيات رائعة، انبعثت ألحانها شجيةً من أوتار قيثارته المقدسة، فإذا بصوتها يعلو، فيخفي صوت السيرينيات الذي يحمل معه الموت لسامعيه، وفي الوقت نفسه أرسلت الآلهة ريحًا دافعة صوب دفة السفينة، جعلتها تعود ثانيةً إلى البحر، وتشق طريقها في اليم مبتعدة عن تلك الجزيرة ... غير أن أحد الأبطال ويُدعى بوتيس Butes بن تيليون Teleon، كان هو الشخص الوحيد الذي يستطيع مقاومة إغراء هاتيك السيرينيات، وإغراء أغنياتهن الفتَّاكة، فقفز من مقعد التجديف، وغطس في البحر، وأخذ يَسبح صوب الأصوات الساحرة، وكاد يهلك، لولا أن

أفروديتي، التي كانت تحكم جبل إيروكس Mount Eryx في صقلية، جذبته من الدوامة، وألقت به على الشاطئ فوق ربوة في الجزيرة؛ حيث ظل يعيش هناك منذ ذلك الحين إلى الآن ... فبكاه الأبطال كأنه مات، واستمروا بعد ذلك في رحلتهم بالأرجو إلى مغامرات أخَر.

وصل الأبطال بسفينتهم المكينة إلى مَضيق يحُدُّه من أحد الجانبين سكولا؛ وهي صخرة شاهقة تبرز في البحر، خُيل إلى الأبطال أنها ستحطم السفينة وتمزقها إرْبًا إرْبًا .. ومن الجانب الآخر خاروبديس؛ تلك الدوامة القوية التي تمتص المياه إلى أسفل، مهددة بابتلاع السفينة، وكان سطح الماء بين هاتين المصيبتين، يعِجُّ بقِطع الصخور الطافية، التي نُزعت من الأعماق. وقد كان هيفايستوس الحداد يشعل هذا المكان بمحل حدادته، في وقت من الأوقات، أما الآن فلا يُرى غير الدخان يتصاعد من خلال الماء فيُكسب الفضاء قتامةً وسوادًا.

وما إن اقترب الأبطال من ذلك الموضع حتى خرجت فجأةً، من سائر الجهات، حوريات البحر؛ بنات نيريوس Nereus يستقبلنهم، وأمسكت ثيتيس ملكتُهن الدفة بيدها؛ على حين سبحت الحوريات حول السفينة. وكلما اقتربت السفينة من الصخور الطافية، قذفت بها إحداهن إلى زميلتها؛ كما تلعب الفتيات بالكرة، فكانت السفينة تعلو تارةً فوق الأمواج حتى تبلغ السحاب، وتهبط أخرى إلى قرار مَكين حتى لَتكاد تغرق، ومن فوق ذؤابة إحدى الصخور العالية، كان هيفايستوس يحمل مطرقته فوق كتفه يراقب المشهد من كَثَب، كما شاهدته هيرا زوجة زوس من السماء المزينة بالنجوم المتلألئة، ولكنها أمسكت بيد أثينا؛ لأنها لم تستطع أن تشاهد ما تراه دون أن يصيبها الدُّوار والخَوَر.

وأخيرًا نجا الأبطال من ذلك الخطر، ويمَّموا بسفينتهم عبر بحر فسيح، حتى بلغوا جزيرة الفياكيين التي يحكمها الملك الطيب الأحدوثة ألكينوس.

الكولخيون يواصلون المطاردة

استقبل ألكينوس بحارة الأرجو بالترحاب، وأكرم وِفادتهم، وأعد لهم جناحًا خاصًّا يستريحون فيه في قصره المنيف، وأمر بتقديم أسمى فروض الضيافة لهم ... وبينما كان الأبطال يمرحون في قصر الضيافة، إذ ظهر فجأةً أسطول كولخي، قادمًا من طريق آخر، وما إن رسا على شاطئ الجزيرة حتى أنزل جيشًا من المحاربين، يطلب من الملك ألكينوس أن يسلمهم ميديا ابنة مليكهم ليعيدوها إلى أبيها ... أما إذا رفض مطلبهم، فإنهم سيقاتلون الأغارقة في الحال، وهددوا الأبطال بأنه في حالة الرفض، سيحضر الملك أييتيس نفسُه على رأس جيش لَجِب، يفوق جيشهم عددًا وعُدة ... وكاد الكولخيون يشتبكون مع الإغريق في القتال، لولا أن الملك الحكيم ألكينوس ساس الأمر بحكمته، وتمكن من كبح جماح الكولخيين، قائلًا إنه يريد فض النزاع بالطرق السلمية، ولا حاجة مطلقًا لإراقة الدماء.

ركعت ميديا تحت قدمَي أريتي زوجة ألكينوس، وأمسكت بركبتيها متضرعةً وقالت: «إنني أتوسل إليك أيتها الملكة الطيبة ألا تدعيهم يعيدونني إلى أبي، إنك أيضًا تَمُتِّين إلى الجنس البشري؛ ذلك الجنس الذي ينحرف إلى الخطيئة بمنتهى البساطة، وينغمس في المآسي الفجائية دون وعي، لقد تصرفتُ بلا بصيرة ولا تفكير ... ومع كلٍّ، فإنه لم يكن من الطيش أني هربت مع هذا الرجل، بل لمحض خوفي من أبي، إن جاسون سيأخذني معه إلى بلاده ليتزوجني، ومن ثَم أرجو أن ترحميني، ولعل الآلهة تهَبُ لكِ الحياة الطويلة الهانئة، والأطفالَ الكثيرين السعداء الذين تقَرُّ بهم عينك، وتضفي على مدينتك هذه جمالًا رائعًا يبقى ملازمًا لها أبدَ الدهر.»

ثم نهضت ميديا وأخذت تسجد عند أقدام الأبطال، واحدًا بعد واحد، وكان كل بطل يُطمئنها ويطلب منها أن تتشجع، ثم يلوح برمحه وسيفه ويَعِد بمساعدتها لآخر قطرة من دمه؛ فيما لو حاول ألكينوس تسليمها إلى أعدائها.

أقبل الليل بجحافله الزَّنجية، فأوى ألكينوس وزوجته إلى مخدعهما، وتشاورا في أمر فتاة كولخيس، فتوسلت أريتي من أجلها، وأخبرت زوجها أن جاسون قد عزم على الزواج من الفتاة زواجًا شرعيًّا، وكان ألكينوس رجلًا طيب القلب، فازداد قلبه رقَّةً وعطفًا عندما سمع هذا الحديث، فأجاب زوجته بقوله: «سأسعى لإنصاف هذه الفتاة بكل ما أوتيت من قوة وسلطان، وبنفس راضية، أستطيع إبعاد هؤلاء الكولخيين بحد السيف وأُقصيهم بعيدًا عن الجزيرة، من أجل هذه الفتاة، ولكني مع ذلك أرفض أن أكسر قانون زوس للضيافة؛ هذا فضلًا على أنه ليس من الحكمة والحزم أن أغضب وأعكِّر صفو السلام مع أييتيس القوي الشكيمة، الشديد البأس، حتى ولو كان يعيش نائيًا عني ... إنه قادر على شن الحرب على جميع بلاد الإغريق ودحْرِهم والاستيلاء على مدنهم ... وقد استقر رأيي على أنه إذا كانت الفتاة لا تزال عذراء، وجب إعادتها إلى أبيها، أما إذا كانت زوجة جاسون، فلن أقصيَها عن زوجها بأية حال من الأحوال؛ لأنها في هذه الحالة تَمُتُّ إلى زوجها أكثرَ مما تَمُتُّ إلى أبيها؛ هذا رأيي وقراري، وسأعمل على تنفيذه بجميع الوسائل، رضي الطرفان أم رفضا.»

رُوِّعت أريتي عندما سمعت قرار زوجها، ولما كانت ترغب في مساعدة الفتاة المسكينة التي استجارت بها، فقد أرسلت في نفس تلك الليلة رسولًا إلى جاسون، يفضي إليه بمضمون هذا القرار، وينصحه بالزواج من ميديا قبل شروق شمس اليوم التالي ... فذهب جاسون إلى رفقائه، وعرض الأمر عليهم، وطلب رأيهم في ذلك الاقتراح المفاجئ، فأيدوه بالإجماع قائلين إنه عين الحكمة، وإنه من تدبير السماء لا من تدبير البشر، ولما علمت ميديا بما أقره الجميع، سُرَّت أيَّما سرور. وفي مغارة مقدسة، وسط أنغام الموسيقى التي عزفها أورفيوس على قيثارته، وبحضور جميع الأبطال كشهود، تم زواج جاسون بميديا ...

تنفس الصبح بالسعادة واليُمن، وصحا كل راقد في المدينة وهَبَّ إلى استقبال اليوم الجديد، وأترع الصباح كل قلب بالأمل والتفاؤل، وأصبحت الحياة في هذه المدينة تدبُّ دبيب الفرح، وتعِجُّ عجيجًا صاخبًا، وتدرجت الشمس من خدر أمها، فتلألأت شواطئ الجزيرة والحقول، وكان الفياكيون يملئون شوارع مدينتهم، كما وقف الكولخيون عند الطرف الآخر من الجزيرة مدجَّجين بالسلاح، على أتم استعداد للقتال.

أقبل ألكينوس من قصره، على حسب وعده، يحمل في يده صولجانه الذهبي؛ كي يدلي بحكمه على الفتاة، وكان يرافقه أنبل رعاياه ... وأقبلت النساء أيضًا يُظهرن إعجابهن

بأبطال الإغريق، كما احتشد جمع عظيم من الشعب؛ لأن زوس كان قد نشر النبأ في جميع أرجاء المعمورة ... استعد الجميع عند حوائط المدينة، وكان الدخان يتصاعد من الذبائح فيصل إلى عنان السماء، وكان الأبطال واقفين ينتظرون منذ مدة طويلة، فلما استوى الملك على عرشه، تقدم جاسون وأقسم على صحة أقواله، معلنًا أن ميديا ابنة الملك أييتيس كانت زوجته الشرعية، كما شهد جميع الأبطال بذلك، فلما سمع ألكينوس هذا الإقرار وشهادةَ جميع من حضر حفل الزواج، أقسم قسمًا لا حِنثَ فيه، إنه لن يسلم ميديا إلى الكولخيين، وأنه سيحميها ويحمى ضيوفه. وعبثًا حاول الكولخيون الاعتراض، فقد خيَّرهم الملك إما بالبقاء في بلاده كمواطنين مسالمين وإما بالرحيل في سفنهم إلى وطنهم.

ولما كان الكولخيون يخشون العودة إلى أييتيس بدون ميديا، فقد آثروا الاقتراح الأول ... وفي اليوم السابع، غادر بحارة الأرجو الجزيرة، فودَّعهم ألكينوس، وقدم إليهم هدايا سخية، فتقدم جاسون وميديا، وشكرَا لألكينوس حمايته لهما، ثم اعتلوا جميعًا ظهرَ السفينة، وضربوا في عرض اليم ليُتموا رحلتهم إلى بلادهم.

آخر مغامرات بحارة الأرجو

رحل الأبطال بسفينتهم مارِّين بأراضٍ كثيرة وجزر عدة، وما كادوا يلمحون شاطئ وطنهم أرض بيلوبس من بُعد، حتى هبت عليهم ريح صرصر عاتية، مقبلة من الشمال، هبطت على السفينة وراحت تدفعها تسعة أيامٍ وتسع ليالٍ في طريق مجهولة عبر البحر الليبي، وفي نهاية هذه الفترة، جرفهم التيار صوب صحاري أفريقيا، وقذف بهم في أحد خلجان سورتيس Syrtis، وكانت الأعشاب الكثيفة تغطي مياهه، ويعلوها زَبد راكد، فكان ذلك الخليج عبارة عن مستنقع خطر، ولم يكن يحيط بالمكان سوى الرمال المترامية الأطراف؛ فلم يوجد هناك طيور ولا حيوانات.

أخذت السفينة تقترب من الشاطئ حتى انغرس قاعها في الساحل الرملي، فنزل الأبطال إلى اليابسة وهم في غاية الفزع؛ إذ رأوا الأرض المترامية تمتد أمامهم من كل جانب إلى ما لا نهاية، وكان الفَلا الواسع خاويًا كالفضاء ... لم يكن هناك ينبوع ماء يروي ظمأهم، ولا طريقٌ يدلُّهم على وجود الحياة في تلك البقاع، ولا مأوًى يُظلهم، بل كان يخيم على المكان صمت مُطبِق دونه صمتُ القبور.

دبَّ الهلع في قلوب الأبطال، فراحوا يبكون وينتحبون، وهم يقولون: «يا ويلنا، ما هذا المكان؟ وما اسم هذا البلد؟ وإلى أين قذفت بنا الرياح؟ هل بعد كل ذلك العناء وتكبُّدِ المشاقِّ نصل إلى هذا المكان المقفر الموحش؛ لنلقى حتفنا جوعًا وظمأً في حرارة الشمس اللافحة؟ يا ليت سفينتنا كانت تحطمت وسط الصخور الطافية! ليتنا كنا فعلنا شيئًا واحدًا ضد إرادة زوس ثم هلكنا في مغامرة واحدة مجيدة!»

فقال مدير الدفة: «نعم، لقد تركنا التيار بعيدًا، ولن يعود أدراجَه إلينا ثانية، لقد ضاع كل أمل في الإبحار والعودة إلى الوطن، فليحاول أي واحد منكم أن يدير الدفة لو استطاع!» قال هذا ثم رفع يده عن الدفة، وجلس في السفينة يبكي. وكقوم في مدينة تفشَّى

فيها الطاعون وصار ينهَش فيها الأبدان، غمرهم حزن عميق، وظلوا كذلك في انتظار الموت المحقق، هكذا أيضًا حزِن الأبطال وتسللوا عبر الشاطئ المجدِب المقفِر، فلما أقبل المساء بظلامه، أمسك كل واحد منهم بيد زميله مودعًا، ثم رقدوا فوق الرمال على الطَّوى، وقد التفوا جيدًا بعباءاتهم وانتظروا أن يهبط إليهم الموت إبان الليل الطويل المؤرِّق، وبالقرب منهم التفت الخادمات الفياكيات — اللواتي أهداهن ألكينوس إلى ميديا بمناسبة زواجها — حول سيدتهن وأخذن في الأنين كأنهن بَجَعاتٌ تلفظ النفَس الأخير، وتبعث في الفضاء آخر صوت لها في الحياة. ومما لا شك فيه، أن الجميع، رجالًا ونساءً، كادوا يموتون دون أن يبكيهم أحد، لولا أن أشفقت عليهم أنصافُ الرَّبَّات الثلاث اللواتي يحكمن ليبيا.

حضرت أنصاف الرَّبَّات في لَظَى الظهيرة القائظ، متدثِّرات بجلد الماعز من العنق حتى العقب، وأمسكن بعباءة جاسون التي غطى بها رأسه، وسحبْنها من فوق صُدْغيه، فانتصب قائمًا مذعورًا، وما إن وقع بصره على الرَّبَّات حتى انحني أمامهن في احترام وإجلال، فخاطبنه بقولهن: «أيها الرجل السيئ الحظ، المنكود الطالع، إننا نعلم جميع ما أصابك وما يُتعبك، والآن نخبرُك أن متاعبك قد وقفت عند هذا الحد، ولن تلقى مخاطرَ بعد اليوم. فعندما تُخلِّي ربة البحر الجيادَ عن عربة بوسايدون، قدِّمْ قرابين الشكر لأمك التي حملتك طويلًا في بطنها ... ومن ثَم تعود سالمًا إلى بلاد الإغريق السعيدة المتلألئة، وتهنأ بعد ذلك بحياة هادئة.»

قالت الرَّبَّات هذا ثم اختفين، فوقف جاسون مبهوتًا فترةً من الوقت لا يدري أطالت أم قصرت، وبعد أن أفاق من غَشيته، ذهب إلى رفاقه وأعلمهم بالأنباء السارة برغم ما فيها من ألغاز ... وبينما هم يَجوسون هنا وهناك، ظهرت لهم معجزة أخرى لا تقل عن سابقتها غرابة ... فقد انبثق من البحر جواد جميل، قد انسدلت مَعرَفتُه الذهبية على جانب عنقه، وراح ينفُض الزَّبد عن جنبيه، ثم اندفع في الفضاء كما لو كان ينقل الرياح ... عندئذٍ صاح بيليوس في غبطة وسرور، وقال: «لقد حُل الجزء الأول من اللغز؛ فإن ربة البحر قد خلَّت جوادها عن عربتها، أما الأم التي حملتنا طويلًا في بطنها فهي سفينتنا، فيجب علينا إذن أن نقدم لها قرابين الشكر التي فرضتها علينا أنصافُ الرَّبَّات، هيا إذن نُخرج الأرجو من البحر ونحملها على أكتافنا فوق الرمال، في طريق الجواد البحري؛ لأنه لن يختفي في الأرض، بل سيدلُّنا على الطريق إلى بقعة صالحة لتعويم السفينة.»

نفَّذ الأبطال ما أشار به بيليوس، فحملوا السفينة فوق أكتافهم، وظلوا يئنُّون تحت عبئها اثني عشر يومًا واثنتي عشرة ليلة، استمروا يسيرون فيها خلال صحراوات لا ماءَ

فيها ولا عشب، ولو لم يهَبْ لهم أحد الأرباب القوة، لَلقيَ جميعهم مصرعه منذ اليوم الأول. وأخيرًا بلغوا خليج تريتونيس في نشاط لا مثيل له؛ حيث أنزلوا العبء عن كواهلهم. ولما كان الظمأ قد ألهب أفواههم وبرَّح بأجسامهم، فقد راحوا يبحثون عن عين ماء، وهم يجْرون هنا وهناك كالكلاب المسعورة، وبينما هم يبحثون عن الماء، التقى ذوات الحناجر العذبة الصوت، واللواتي يَقْطُنَّ في الحقل المقدس، المغني أورفيوس بالهيسبيريديس Hesperides، الحوريات؛ حيث يقوم التنين لادون Ladon بحراسة التفاحات الذهبية، فتوسل إليهن أورفيوس ليُرشدْنه إلى بئر، فاهتزت مكامن الشفقة في قلوب الحوريات، وأفضت إليه أيجلي Aegle، وهي أكثرهن رشاقة وعظَمة، بأمر في غاية الغرابة ... فقالت: «إن اللص الجريء الذي ظهر هنا أمس، والذي قتل التنين، وأخذ تفاحاتنا الذهبية، لا بُدَّ أنه قد جاء لمعاونتكم، إنه لرجل متوحش، تقدح عيناه شررًا، ويغلي مِرْجل الغضب تحت حاجبيه، لقد كان يعلِّق على كتفه جلد أسد، وفي يديه هِراوة من خشب الزيتون والسهام التي قتل بها التنين، وكان ذلك اللص على ظمأ أيضًا بعد أن سار طويلًا خلال هذه الصحاري والقِفار، فلما عجز عن الحصول على الماء، ضرب الصخرة بعقبة، فتفجرت المياه منها متدفقةً كما لو كانت مستها يد سحرية، فانبطح ذلك الرجل القوي على الأرض، وصار يَعُبُّ الماء بحفنته، حتى ارتوى وافترش الأرض كثور انطفأ الأُوَار المستعرُ في جوفه.»

هكذا أخبرت أيجلي أورفيوس بوجود عين ماء تتدفق من الصخر الجلمود، وأشارت إلى مكانها، فجرى الأبطال نحوها يتزاحمون حولها، فأَلِفوا المياه تتدفق منها عذبة باردة صافية، فأخذوا يرْوون ظمأهم كما شربت النساء أيضًا، فلما روَوا، عاد إليهم السرور والمرح من جديد.

ثم تقدم أحد الأبطال وشرب جَرعةً أخيرة من الماء يبرد بها شفتيه الملتهبتين، وقال: «ما هذا الرجل الذي تتكلم عنه الحورية سوى زميلنا هرقل، وبالرغم من أنه كان قد فارقنا منذ زمان طويل، فإنه أنقذ حياتنا، ليتنا نستطيع مقابلته في أي مكان في رحلتنا المقبلة!» ومنذ تلك اللحظة أخذوا يبحثون عنه وسط الفيافي والقفار، وقد تفرقوا إلى جماعات؛ كل جماعة ذهبت تبحث عنه في جهة، فلما اجتمع شملهم ثانية، لم يكن أحد منهم قد عثر عليه أو رآه، ما عدا لونكيوس الحاد البصر الذي أعلن أنه لمح هرقل من بعيد، في صورة فلاح يعتقد أنه قد أبصر القمر الجديد من خلف السحب المتراكمة، وأكد لزملائه أنه من المستحيل عليهم أن يلحقوا به.

قضت بعض الأحداث المؤلمة على زميلين من أبطال الأرجو، فقام رفقاؤهما بدفن جثتيهما بالمراسم اللائقة بهما، وبعد ذلك اعتلى الجميع ظهر السفينة، وظلوا مدة طويلة يحاولون الخروج من الخليج إلى البحر الفسيح، ولكن الريح كانت ضدهم، فما كانت الأرجو تكاد تتقدم إلى الأمام حتى تردها الريح ثانية إلى الخلف؛ كثعبان يسعى دون جدوى إلى مغادرة مخبئه، فيمرُق برأسه هنا وهناك، وبناءً على نصيحة أورفيوس، اتجهوا صوب الشاطئ، وكرَّسوا لآلهة هذا المكان أكبر ركيزة ثلاثية القوائم كانوا يملكونها في السفينة، وفي طريق عودتهم قابلوا تريتون رب البحر، وكان متنكرًا في صورة صبي، فأخذ قطعة من طين الأرض اليابسة وقدمها إلى يوفيموس Euphemus؛ علامة على الترحيب والتكريم، فأخذها منه البطل وخبأها في صدره.

قال رب البحر: «لقد أرسلني أبي لحراسة مياه هذه المناطق، انظروا؛ هل ترون تلك البقعة التي بدا فيها الخليج معتمًا وعميقًا وراكدًا؟ جدِّفوا إلى هناك، تجدوا ممرًّا ضيقًا بين الخليج والبحر الفسيح، وسأبعث لكم بريح مواتية تدفعكم بسرعة إلى شبه جزيرة البليبونيز.»

ركب الأبطال سفينتهم وهم يطيرون فرحًا واغتباطًا، وعندئذٍ حمل تريتون الركيزة المثلثة القوائم فوق ظهره، واختفى بين الأمواج، وبعد بضعة أيام، وصلوا إلى ساحل كارباثوس Carpathus الصخري، ومن هناك قرروا الذهاب إلى جزيرة كريت الجميلة، بيد أنه كان يحرس تلك الجزيرة عملاق ضخم مخيف يُدعى تالوس Talos، كان هو الوحيد الذي بقي حيًّا من نسل الجيل البرُنزي المنحدر من أشجار الزان، ثم عيَّنه زوس حاجبًا على أوروبا، وأمره أن يدور حول الجزيرة بأقدامه البرنزية، ثلاث مرات كل يوم. كان جميع جسم ذلك العملاق من البرُنز لا تؤثر فيه الجروح أو يتطرق إليه الأذى، ما عدا جزءًا صغيرًا من أحد عقبيه؛ كان من اللحم تتخلله أعصاب وعرق ودم، فلو أُصيب في ذلك الجزء لخرَّ صريعًا لتوِّه؛ لأنه لم يكن من الخالدين. فلما اقترب الأبطال من الجزيرة، كان العملاق يقوم بالحراسة والمراقبة فوق ربوة قريبة من شاطئ البحر، فما كاد يراهم، حتى بدأ يحطم كتلًا ضخمة من الصخور، ويقذف بها نحو السفينة، فجدَّف أبطال الأرجو مبتعدين عن الجزيرة، والفزعُ يملأ نفوسهم، وأوشكوا أن يغضُّوا النظر عن فكرة الرُّسوِّ في كريت، برغم أنهم كانوا يعانون من جديدٍ حُرقةَ الظمأ الشديد، ولكن ميديا نهضت وأمرتهم أن يتحلَّوا بالشجاعة وينفُضوا الجبن عن أفئدتهم؛ فقد ظل العالم أجمع يتحدث بشجاعتهم وقوتهم ومغامراتهم طوال السنين الماضية، فكيف يتطرق إلى قلوبهم الإحجامُ والجبن وقد صاروا قاب قوسين أو أدنى من وطنهم!

أردفت ميديا تقول: «إنني أعرف كيف أُخضع هذا الوحش، وما عليكم إلا أن تبتعدوا بالسفينة عن مرمى صخوره.» ثم رفعت طيَّاتِ ثوبها القرمزي إلى فوق، وسارت بطول السفينة يقودها جاسون، وأخذت تتلو تعويذةً سحرية بصوت خافت مناديةً ثلاث مرات ربابَ القدر اللواتي يقطعن خيط الحياة، وكلابَ العالم السفلي التي تعدو بسرعة خلال الفضاء فتقتنص الأحياء.

أجبرت ميديا، بتعاويذها السحرية، جفون تالوس على أن تظل مغمضة، كما بعثت إلى روحه بأحلام سوداء؛ فكان يترنح من شدة وطأة النوم، وهو ينحني ليرفع صخرة يدافع بها عن الميناء، ولكن عَقِبَه اللحمي أُصيب من صخرة ذات نتوءات، فتدفق الدم من الجرح كأنه رصاص مصهور، وكإحدى أشجار الزان قطعها الحطَّاب من منتصفها فسقطت على الأرض عند أول هبَّة من الريح؛ هكذا ترنَّح تالوس فوق قدميه، ثم قفز إلى البحر يزأر كالرعد.

استطاع بحارة الأرجو أن يرسوا سفينتَهم بعد ذلك بسلام آمنين، ونزلوا إلى البر فألِفوا الجزيرة كثيرة الثمار، يانعة الأزهار، تجري في أنحائها جداول الماء الفرات، وهي غنية بالخيرات. فسار الأبطال في طرقاتها، وروَوْا ظمأهم من مياهها العذبة، وتناولوا طعامهم من الفاكهة الطازجة، ومكثوا في الجزيرة يمرحون حتى الصباح، فلما انبثق الفجر الوردي في جنبات السماء، وشق حجب الظلام بسيفه اللامع، أخذ الأبطال يملئون أوعيتهم من ماء الجزيرة، وينقلونه إلى السفينة استعدادًا للرحيل، وما إن بزغ قرص الشمس الذهبي من تحت الأفق، حتى اعتلوا ظهر مركبهم الميمون، وأقلعوا في عرض البحر بالمجاديف والشراع، وما كادوا يتركون جزيرة كريت، حتى قابلتهم مغامرة جديدة خطيرة … فقد وجدوا أنفسهم وسط ظلام دامس يخيِّم على الكون، لا أثر فيه للقمر، ولا يتلألأ فيه نجم واحد فيبعث ولو ضوءًا خافيًا ينير الطريق أمامهم، بل كان الفضاء حالكًا كما لو كانت جميع ظُلمة الدنيا قد تركزت في ذلك المكان، أو كأنما نشر زَنجي الظلام أجنحته على البسيطة فلفَّها في كِلَّةٍ سوداء قائمة.

لم يعرف الأبطال: هل كانوا يسيرون على صفحة الماء في البحر، أو جرَفتهم تيارات تارتاروس Tartaros في خِضَمِّها المتلاطم، فرفع جاسون يديه وتوسل إلى فويبوس أبولو Phoebus Apollo أن يخلصهم من ذلك الظلام المقيت، وكانت دموع الفزع تنحدر على خديه، وقدر نذرة أن يقدم إلى الرب ذبائح لا تُقدر بثمن، فاستجاب رب الشمس لدعائه، وهبط من أوليمبوس Olympos، وقفز فوق صُقْعٍ، وأمسك بقوسه الذهبية وصوَّب

سهامها من اللجين فوق المنطقة، فأضاءت السماء، واستطاع البحارة، بمساعدة ذلك الضوء المفاجئ، أن يروا جزيرة صغيرة، فجدَّفوا صوبها؛ حيث ألقوا مراسيهم وانتظروا هناك حتى مطلع الفجر … وبينما هم يركبون البحار العالية في ضوء الشمس العريض، تذكر يوفيموس حلمًا جاءه في تلك الليلة … فقد بدت الكتلة الطينية التي قدمها له تريتون، والتي حملها في صدره طيلة تلك المدة، كأنها امتلأت باللبن من تلقاء نفسها، ثم دبَّت فيها الحياة، وأخذت تنمو شيئًا فشيئًا حتى أصبحت عذراء جميلة، خاطبته بقولها: «أنا ابنة تريتون، وموطني ليبيا … أعطني ابنة نيريوس؛ كي أستطيع أن أعيش في البحر قريبًا من أنافي Anaphe … بعد ذلك سأعود ثانية إلى الشمس؛ لأنه مكتوب لي أن أعول حفدتك.»

تذكر يوفيموس جميع ذلك؛ لأن اسم الجزيرة التي كانوا في انتظارها منذ الصباح هو أنافي … وما إن أدلى يوفيموس بما تضمنه حلمه لجاسون، حتى أدرك في الحال ما ينطوي عليه ذلك الحلم؛ ومن ثَم نصح صديقه أن يقذف بالكتلة الطينية التي يحملها في صدره إلى البحر، فلما أتم ذلك، حدث ما بهر عيون الأبطال وشغل بالهم، فقد خرجت من البحر جزيرة مخصبة زاهية، مزينة بالأزهار والثمار، فأطلق عليها الأبطال اسم كاليستي Calliste؛ أي: «أجمل الجميع»، وفي السنوات التي أعقبت ذلك عمَرها يوفيموس بأولاده.

كانت هذه هي آخر مغامرة للأبطال الأغارقة بحارة الأرجو، وسَرعان ما وصلوا إلى جزيرة أيجينا Aegina، ومن هناك جدَّفوا صوب وطنهم، وساروا بسفينتهم داخل ميناء أيولكوس … وفي مضيق كورنثة Corinth، كرَّس جاسون السفينة لبوسايدون … فلما تحولت إلى رماد، وضعتها الآلهة في السموات فراحت تتلألأ في القبة الجنوبية كأنها نجم متألق.

نهاية جاسون

وصل جاسون إلى وطنه يحمل الجِزَّة الذهبية بعد أن لاقى ما رأينا، ولكنه لم يتمكن من اعتلاء عرش أيولكوس، الذي من أجله قام هو وأشهر أبطال الإغريق بهذه الرحلة الشاقة المليئة بالمغامرات الخطيرة، ولما كان قد أخذ ميديا من أبيها، وقتل أخاها أبسورتوس بالخداع ... فقد اضطر إلى ترك العرش لأكاستوس Acastus بن بيلياس، والفرار مع زوجته الشابة الفاتنة إلى كورنثة، حيث عاشا في سعادةٍ ما بعدها سعادةٌ عشرَ سنوات، أنجبا خلالها ثلاثة أبناء أكبرهم توءمان سمياهما ثيسالوس Thessalus وألكيمينيس Alcimenes، والثالث تيساندر Tisander، ويصغُر أخويه بكثير.

طوال هذه السنوات العشر تمتع الزوجان بكئوس الحب مُتْرَعةً، وخلعا عذارهما، وأرسلا للهو عِنانهما، فكانت ميديا تسيطر على جَنان جاسون، وتتحكم في قلبه وفؤاده، فأنزلها من نفسه أحسن منزلة، ليس لجمالها الفتان فحسب، بل لسرعة بديهتها وعقلها الراجح.

بعد هذه المدة عصف الدهر بسعادتهما وألقى بحبهما في مهب الريح، فقد وقع جاسون في حبائل غرام فتاة جميلة صغيرة تُدعى جلاوكي بنة كريون ملك كورنثة؛ إذ كانت خارقة الأنوثة، سامقة القوام، بارعة الجمال، وفوق ذلك كانت فتاة لَعوبًا، رنَتْ إليه بلحظها فسقط في الشَّرَك، وصار يتردد عليها خلسةً دون علم زوجه، يسترق ساعات الحب الحلوة وميديا لا تعرف، وسَرعان ما علم والدُ الفتاة بأمرهما، فوافق على زواجهما وحدد يومًا للزفاف، عند ذلك فقط أخبر جاسون زوجته وطلب إليها أن توافق على زواجه بمن خلبت لُبَّه وملكت شِغاف قلبه، قائلًا إن هذا الزواج ليس لأنه قد سئم زوجته التي سيكون لها حبُّه الأول، وإنما لما في هذا الزواج من فائدة لأبنائه عندما يغدو نسيبًا للبيت المالك.

استقبلت ميديا رغبة جاسون بحقد ثائر، وبغضب هائج، فنادت الآلهة لتشهد على حِنْثه بالوعود التي أقسم لها بها عندما كان في حاجة إلى معاونتها، ولكن جاسون تجاهل ثورتها وصمَّم على المُضي فيما هو مقدِم عليه.

هامت ميديا في رحاب قصر زوجها بعد أن يئست من أن تُثنيه عن عزمه، وكانت تصيح قائلة: «ويحي! ويحي! ما أشقاني! ليت صاعقةً تهبط من السماء فتصرعني وتقضي عليَّ! ما فائدة الحياة بعد ذلك؟ أوَّاه! لو أن الموت يرحمني! أيْ أبي الذي خالفتُه! أي وطني الذي تركتُه وأنا ملطخة بالعار! أي أخي الذي قتلته من أجل ذلك الذي خانني! إن دمه المسفوك ظلمًا لَيهاجمني الآن، ليس لزوجي جاسون أن يكون هو من يعاقبني على ما اقترفت من آثام وخطايا، إنني من أجله أجرمت، أي ربةَ العدالة، الآن يحق لي أن أناديك وأطلب منك أن تحطميه هو وعروسه الشابة.»

ذهب الملك كريون إلى ميديا وهي ثائرة تحوم في حجرات القصر وساحاته، وقال لها: «أنت يا ذات العيون الخابية، يا من تصبِّين جام غضبك على زوجك، إنني آمُرك أن تأخذي أولادك وتغادري بلادي فورًا، في هذه اللحظة، فلن أعود إلى قصري إلا بعد أن أكون قد أقصيتك خارج حدود بلادي.»

كظمت ميديا غيظها وأجابت بجأش رابط قائلة: «لِمَ تخشى الآن مني الأذى ولم يسبق لك أن أسأتَ إليَّ قط ولستَ مدينًا لي بشيء؟! لقد أعطيت رجلًا حاز إعجابك ابنتك، فكيف أصبح شاغلك الشاغل؟ إنني أمقت الآن زوجي الذي يدين لي بكل شيء، ولكن ما حدث قد حدث، ولا بد مما ليس منه بُدٌّ، دعهما يعيشان الآن معًا، زوجًا وزوجة، ودعني أقيم في وطنك؛ لأنه برغم ما لحقني من أذًى بالغ، فسوف ألزم الصمت وأخضع لمن هم أقوى مني.»

أبصر كريون علامات الحقد تتجلى واضحةً في عينيها، فلم يثق بها، حتى عندما أمسكت بركبتيه وتوسلت إليه باسم ابنته جلاوكي غريمتِها، فقال لها: «اذهبي بعيدًا عن مملكتي وخلِّصيني من القلق.» بيد أنه عندما طلبت منه أن يؤجل رحيلها يومًا واحدًا فقط حتى تبحث عن مأوًى لأبنائها، أجاب: «لست فظًّا غليظ القلب، وكثيرًا ما استسلمت في حُمْق مخدوعًا بشفقةٍ ليست في وضعها وتصرفت تصرفًا ضارًّا، والآن كذلك أُحس بأنني لا أتصرف بحكمة، ومع ذلك، فلك ما تشائين.»

ما إن أُجيبت ميديا إلى طلبها، حتى جُنَّ جنونها، وأعدت العُدة للقيام بعمل وضعت خطته سرًّا، ولم تكن قد فكرت في ذلك العمل من قبل، ومن ثَم، قبل أن تُقدم على

فَعلتها، حاولت محاولة أخيرة أن تقنع زوجها بالعدول عن عدم وفائه وظلمه قائلة: «لقد خدعتني، وستتخذ زوجة أخرى دون أن تهتم بالحقيقة الواقعة من أنني قد أنجبت لك أبناء، كان يحق لك ذلك لو كنت بغير أطفال، وكنت عندئذٍ أستطيع أن أصفح عنك، وكان من الممكن أن يكون لك بعضُ العذر، وحيث إن لك أبناء، فلا عذر لك على الإطلاق، هل تعتقد أن الآلهة التي تحكم العالم والتي شهدت على قَسَمك لي بالوفاء والإخلاص، لم تعد موجودة؟ أو أن الناس أصبحوا يعيشون وَفقَ قوانين جديدة، حتى تحنَث في وعدك، وتحطم بيت الزوجية بيديك؟ خبِّرني، كما لو كنتُ صديقًا لك، إلى أين تنصحني أن أذهب؟ هل أعود إلى أبي الذي خدعتُه وقتلت ابنَه من أجل حبي لك؟ أو إلى أي ملجأ آخر تقترحه عليَّ؟ حقًّا إن تشرُّد الزوجة الأولى وأولادك منها خلال العالم كشحاذين سيضيف مجدًا إلى الزوجين الجديدين!»

بيد أن جاسون تركها كمن تَهذي، فندمت على كلماتها الأخيرة هذه، لا لأن هدفها قد تغير، بل لأنها خافت أن يضع عينًا عليها ويراقبها، فيحول بينها وبين تنفيذ خطتها الآثمة ... فأرسلت تستدعيه من جديد، وتظاهرت بشيء من الرقة واللطف والدَّعَة بمعسول الألفاظ قائلة: «أيْ جاسون، أرجو أن تصفح عما بدر مني، لقد أعماني الحقد والغضب، أما الآن فإنني أرى جيدًا أن كل ما فعلته يهدف إلى خير النتائج، لقد قَدِمنا إلى هذه البلاد لاجئين معدِمين، وبزواجك الجديد هذا، تتوقع أن تسد حاجة نفسك وحاجة أولادك، وحتى حاجتي أنا ... وعندما نبتعد عنك فترة وجيزة، ستتذكر أبناءك، وتُرسل تستدعيهم ليشاركوك الثروة المنتظرة؛ تعالوا يا أبنائي، وتناسوا شكواكم من أبيكم كما فعلت أنا.»

انطلى البهتان على جاسون، وصدَّق أنها خلعت من فؤادها كل ضغينة وحقد، فسُرَّ سرورًا عظيمًا وبالغ في الوعود لها ولأطفالها، ثم رحلت ميديا لتزيد في إقناعه بولائها وإخلاصها له، ولكي تحظى بحب جلاوكي وأبيها، ولتبرهن على نقاء ضميرها، أخرجت ثيابًا ثمينة موشَّاة بالذهب، كانت تحتفظ بها، وقدمتها لجاسون كي يأخذها هدية لعروسه، فتردَّد جاسون بادئَ ذي بدء، ولكنه قَبِل أخيرًا، فأمر خادمًا بحمل الهدايا لزوجته الجديدة.

كانت هذه الثياب الجميلة مصنوعة من منسوج نُقِع في السم، وعندما ودعت ميديا زوجها وداعًا حارًّا ظلت تنتظر قلقةً عودةَ الرسول الذي حمل الملابس؛ ليخبرها كيف استقبلت هداياها ... وأخيرًا أقبل وناداها قائلًا: «أسرعي يا ميديا، واركبي سفينتك وانجي بحياتك وحياة أولادك، فقد ماتت غريمتك هي وأبوها ... وقد حدث عندما دخل أبناؤك

القصر إلى جانب أبيهم؛ أن هللنا نحن الخدم بانتهاء الصراع، وتلقت الأميرة الصغيرة زوجك بشفاه باسمة، ويد مرحبة، ووجه يتهلل بِشرًا وبهجة وسرورًا؛ بيد أنها ما إن شاهدت الأبناء حتى غطت عينيها بخمارها وأشاحت بوجهها عنه؛ كما لو كانت تستنكر وجودهم، ولقد حاول جاسون تهدئتها وأثنى على خلق أبنائه، ثم قدم إليها الهدايا، فملأ منظر الثياب الخلابة قلبَها غبطة وسرورًا، فرقَّت شمائلها، ووعدت زوجها بأن توافق على جميع رغباته، فلما تركها زوجك وأبناؤك، هرعت في شوق جارف إلى الثوب الجميل الأنيق، ووضعت الوشاح الذهبي على كتفيها، وتوَّجت رأسها بإكليل الذهب، وراحت تنظر في سرور إلى الطيف المشرق نحوها من مرآتها الصافية، ثم جعلت تمشي بعد ذلك في ساحات القصر؛ فخورًا بتلك الثياب كما يفخر الطفل بردائه الجديد ... غير أنه سرعان ما تغيرت ملامحها وامتُقع لونها، وارتعشت أطرافها، وترنحت أقدامها، وقبل أن تستطيع الوصول إلى مقعد، سقطت على الأرض بلا حراك، وذَوى اللونُ من وجهها، وغارت عيناها وانقلبتا فلم يعد يُرى منهما غير بياضهما، كما تراكم الزَّبَد حول شفتيها، ودوَّى القصر بالصراخ والعويل، فأسرع بعض الخدم إلى الملك ينبئونه بالخطر المحدِق بها، كما هرع البعض الآخر إلى زوجها يطيِّرون إليه الخبر ... وفي نفس الوقت اشتعل إكليل النار السحري حول رأسها، وتراقصت منه ألسنة اللهب عاليةً في الفضاء، وراح السم والنيران يتصارعان على لحمها، وكان أبوها قد حضر فارتمى عليها ليخلصها مما هي فيه، وهو يصرخ صراخًا عاليًا، ولكنه لم يجد غير جثة مشوهة، وفي نوبة من اليأس ألقى بنفسه فوقها، فأعمل فيه السمُّ مفعوله، فتردَّى حيث هو ... أما جاسون فلست أعلم عنه شيئًا.»

كان يجب أن تخفَّ حدة حقد ميديا عند سماع تلك الأنباء، ولكنها على العكس زادتها حقدًا، وأشعلت نيران البغضاء في قلبها، وكَرَبَّة من ربات الانتقام، خرجت لتصوب الضربة القاضية إلى زوجها وإلى نفسها.

كان الليل قد أقبل، فأسرعت إلى حجرتها حيث كان أولادها نائمين، وتمتمت قائلة: «تجلَّدْ يا قلبي، لِمَ ترتجف من فعل الشر الذي لابد منه؟ امحُ من مخيِّلتك أن هؤلاء أولادُك الذين حملتهم، انسَ ذلك لمدة ساعة فقط، وبعد ذلك لتبكِ عليهم أبد الدهر ... إنك تقدم لهم خدمة جليلة، فبيدي لا بيد أعدائي.»

أسرع جاسون إلى بيته يطلب قاتلة عروسه لينتقم منها، فسمع صيحات أبنائه، فجرى مسرعًا إلى حجرتهم ليجدهم مضرَّجين بدمائهم وقد ذُبحوا كما تُذبح التَّقْدِمات على المذبح، ولم يرَ ميديا في أي مكان .. غير أنه عندما ترك بيته، سمع صوتًا مقبلًا من

فوق، فرفع بصره، فإذا هو يراها في عربة يجرُّها تنين ضخم، استطاع فنها السحري أن يحصل عليها، فركبت الريح بعيدًا عن مسرح انتقامها.

لقد نجت ميديا من انتقام زوجها، الذي امتلأ قلبه باليأس وتذكر كيف قتل أبسورتوس، فاستل سيفه البتار، وقتل نفسه على عتبة داره.

ملحق خاص

بأسماء الأعلام والبلدان الواردة بهذه القصة

أبسورتوس Absyrtus

ابن الملك أييتيس ملك كولخيس، وشقيق ميديا التي عندما هربت مع جاسون، زعيم بحارة سفينة الأرجو، مزقت أبسورتوس أخاها إربًا إربًا، وأخذت ترمي أشلاءه في البحر واحدًا واحدًا؛ حتى إذا ما توقف والدها ليلتقط هذه الأشلاء من الماء تعطَّل على مطاردتها.

وثَمة أسطورة أخرى تقول إن أبسورتوس احتمى في معبد لأرتيميس ولقي حتفه بيد جاسون.

أبولو Apollo

أحد آلهة الإغريق الكبار، ابن زوس من ليتو التي، تبعًا للأسطورة التي هي أكثر شيوعًا، ولدته هو وأخته التوءم أرتيميس «ديانا» في جزيرة ديلوس. يظهر أبولو أولًا كرَبٍّ للضوء في كل من تأثيره النافع وأثره المدمر، وهو رب الضوء عمومًا، ليس ضوء الشمس وحده؛ لأن أوائل الإغريق كانوا يعتبرون الرب الجالب ضوء النهار هو هيليوس Helios؛ الذي لم يعترف بأنه هو أبولو إلا بعد مضي شيء من الزمن. وبرغم أن معنى اسمه أبولو غير محقق، فإن لقبَيه فويبوس Phoebus ولوكيوس Lucius يفسران معناه بوضوح على أنه الساطع مُعطي الحياة، واللقب الأول يعني أيضًا النقيَّ المقدس؛ لأنه كرَبٍّ للضوء النقي، عدو الظلام بكل ذريته غير النظيفة والفظَّة وغير المقدسة. ثم إن عيد ميلاده ليس هو

اليوم السابع من كل شهر فحسب، بل واليوم الأول من كل شهر أيضًا؛ أي: من كل قمر حديث الولادة، فيكرس له كما يكرس لجانوس رب الضوء الروماني، وتبعًا لوجهة النظر السائدة في كثير من مراكز عبادته، كان ينسحب في زمن الشتاء، إما إلى لوكيا Lycia المشمسة، أو إلى سكان أقصى الشمال، ما إلى يعيشون في ضوء مستمر بأقصى الشمال، ثم يعود في الربيع ليطرد قوات الشتاء بأشعته.

وتروي القصة أنه بعد ولادته مباشرة، أطلق أول طلقة من قوسه فقتل التنين بوثون، بن جيا، الأرض، الفظيع وحارس وحي دلفي. وما يبدو ملاحظًا هو انتصار رب الربيع على الشتاء الذي كان يملأ الأرض بالمستنقعات الفاسدة وبالضباب، وهو كرب للضوء تُقام أعياده في الربيع أو في الصيف، ولا يزال كثير منها يُبدي في مظاهر أكيدةٍ خصائصَه الحقيقية الأصلية، وهكذا فإن عيد الدلفينيا الذي يُعقد بأثينا في شهر أبريل، يُذكرنا بهدوء بحر الشتاء بعد عواصف الاعتدال الربيعي، واستئناف الملاحة تبعًا لذلك. ولما كان هذا العيد تكريمًا لإله الربيع كذلك كان عيد الثارجيليا Thargelia الذي يُقام في أثينا في الشهر التالي تكريمًا لإله الصيف.

تُشير بعض طقوس عبادته وبعض روايات قصته إلى أنه كان كأخته أرتيميس يُعتبر حامي حيوانات وطيور الصيد الصغيرة، وقاتل الوحوش الضارية، وأَخَصُّها الذئب عدو القطعان، ورمز قوة هذا الرب الذي يرسل الضر حينًا ويمنعه حينًا آخر. ويهب أبولو الصحة والرفاهية للإنسان نفسه. وكرب لقوة متنوعة النواحي، كانوا يتوسلون إليه عند الزواج، وكمشرف على الرجولة الغضة ومدرب للشباب، كانوا يكرسون له ولحوريات الينابيع أول تَقْدِمات من خصلات شعر الرأس.

كان يُعبد مع هيرميس وهرقل في ملاعب الرياضية البدنية وملاعب المصارعة والملاكمة؛ لأنه كان يهب قوة الاحتمال في الملاكمة مع خفة حركة الأقدام وملاءمتها.

وكَرَبٍّ للحرب ومساعد في القتال، كان الإسبرطيون يقدمون إليه أمجادًا خاصة في عيدهم المسمى كارنيا Carneia، وكذلك كان يفعل الأثينيون بقدر ما في عيدهم المسمى بويدروميا Boedromia.

وكان يُكرَّم أيضًا في عيد أثيني آخر كعاقد لروابط الاتحاد بين الجيران، وفي كثير من الأماكن، وفي مقدمتها أثينا، كانوا يعبدونه كرب الشوارع والطرق، الذي كان رمزه القبيح عمودًا مخرطيًّا مدبَّبَ الطرف يُقام عند أبواب الشوارع وفي الأفنية لمراقبة خروج ودخول الناس، وليسمح بدخول الأخبار ومع الأشرار، وكان يُحمل بهدايا التكريم التي يقدمها الأهلون، مثل الأشرطة وأكاليل الريحان والغار ونحو ذلك.

كان أبولو مرشدًا في البحر وفي البر، ولا سيما باسم دلفينيوس Delphinius المشتق من اسم صديقه وحليفه الدلفين رمز البحر الصالح للملاحة.

وبمعنًى أرقى، كان أبولو معتبرًا شافيًا ومخلِّصًا، ومنذ عصر غابر، امتزجت صفاته الجسدية البحتة بصبغة قوية من الصفات الأخلاقية، وبذا صار إله الضوء ربًّا للطهارة العقلية والخلقية.

وتبعًا لهذا غدا إله النظام والعدالة الشرعية في الحياة البشرية، وبهذه الصفة يضرب على أيدي المذنبين ولا يرحمهم.

لما كان أبولو إله الضوء الذي ينفُذ خلال الظلام، فهو إله العرافة التي كانت في حالته ذات أهمية أخلاقية بحتة؛ إذ إنه كعراف لوالده زوس ورسول له، يعلن مشيئته على الملأ، ويعمل على اتساع حكمه في الدنيا؛ كان يقرر الحقيقة دائمًا، غير أن عقل الإنسان المحدود لم يستطع دائمًا فَهْم معاني أقواله، إنه حامي كل نوع من أنواع التنبؤ، ولا سيما ما يبعث به عن طريق الوسطاء من البشر؛ وخصوصًا النساء عندما يكنَّ في حالة ذهول أو غيبوبة، ومهما كان عدد المشتغلين بإيحائه عظيمًا في بلاد الإغريق، فإن أشهرهم جميعًا وأسطعهم ضوءًا هو وحي دلفي.

يقوم أبولو بنفوذ إيحائي مستديم على الذهن كرب للموسيقى، التي برغم أنها لا تختص به وحده أكثر من التفكير والتنبؤ؛ فإنها مادته الباهرة.

لما كان لأبولو جميع هذه الصلات المتنوعة، بالطبيعة وبالبشر، فإنه يحظى بمكانة سامية في ديانة الإغريق.

تتناسب رموز أبولو الكثيرة الأنواع مع خِضَمِّ صفاته الكثيرة، وأكثر هذه الرموز شيوعًا هي القيثارة أو القوس؛ تبعًا لاحتمال أنه يُعتبر رب الأغاني أو القوَّاس الضارب من بُعد، ويُرمز إلى أبولو البوثي صاحب التنبؤ الدلفي بالركيزة الثلاثية الأرجل، التي كانت كذلك التَّقدِمة المحبوبة لمحاريبه. ومن النباتات، الغار الذي كرس له لأغراض التكفير.

كان يُصوَّر في الفن القديم كشاب طويل الشعر، عديم اللحية، فارع الطول، قوي البنية، جميل التقاطيع، كانت تماثيله وصوره كثيرة منتشرة في كل مكان كعبادته، وأشهر تمثال باقٍ له هو أبولو بلفدير في الفاتيكان، الذي يمثله إما وهو يقاتل التنين البوثي أو وهو ممسكٌ بتُرْسه؛ ليخيف الأعداء الذين يهددون باقتحام معبده.

أبولونيوس روديوس Apollonius Rhodius

أو الرودسي، عالم إغريقي وشاعر لقصائد البطولة من العصر السكندري، وُلد بالإسكندرية في حوالي سنة ٢٦٠ق.م.، وكان تلميذ كاليماخوس Callimachus، نظَم قصيدةً طويلةً من شعر الأبطال باسم «أرجوناوتيكا Argonautica» في أربعة كتب، انتقل فيها من ذوق أستاذه لشعر العلماء والشعر الصناعي، قاصدًا بساطة هوميروس.

أتالانتي Atalante

بطلة إغريقية من نوع أرتيميس، وهناك روايتان تختلفان في قصتها اختلافًا يسيرًا؛ إحداهما شائعة في أركاديا، والأخرى في بيوتيا:

(١) الرواية الأركادية: أتالانتي، بنت زوس وكلوميني Clymene، تخلَّص منها والدها الذي لم يكن يرغب إلا في ذرية من الذكور فحسب، فأرضعتها دبَّةٌ حتى عثرت عليها فئةٌ من الصيادين، فأخذتها وتولت تربيتها، فكبِرت في رعاية أولئك الصيادين، وصارت صيادةً ماهرة وسريعة وجميلة، اشتركت في صيد الخنزير الكالودوني، فكانت أول من أصاب ذلك الخنزير، فأعطاها مليلاجر رأس وجلد ذلك الوحش مكافأةً لها على انتصارها، كما أنها على علاقة برحلة سفينة الأرجو، وقد أصمَّت أذنيها عن توسلات عاشقيها، غير أنها هدَّأت من غضب أفروديتي بأن بادلت ميلانيون Melanion الجميل حبًّا شريفًا بحب مثله؛ إذ أخذ يتبعها بإصرار وتألُّم وقد ناضل من أجلها، فأنجبت له بارثينوبايوس، أحد السبعة ضد طيبة.

(٢) الرواية البيوتية: هي ابنة سخوينيوسShoeneus، ابن أثاماس؛ اشتهرت بجمالها الفتَّان وسرعة قدميها، وقد حذرها وحي من الزواج، ولذلك عاشت عيشة العزلة في الغابة، كانت تقابل مخاطبة عاشقيها بأن تطلب منهم مباراتها في الجري، فتلحق بهم وتطعنهم برمحها من الخلف، وأخيرًا تغلب عليها هيبومينيس الذي كان في أثناء السباق يرمي ثلاث تفاحات ذهبيات أعطته إياها أفروديتي، فكانت أتالانتي تنحني وتلتقط التفاح، وبذا خسرت السباق، فنسي هيدومينيس أن يقدم الشكر لأفروديتي؛ ولذلك غضبت تلك الربة وجعلت هذين الزوجين يجولان في معبد الكوبيلي Cybeli؛ حيث تحولا إلى أسدين.

أثاماس Athamas

ابن أيولوس ملك تساليا وأيناريتي، وشقيق كريثيوس وسيسوفوس وسالامونيوس، ملك الميناي في أورخومينوس البيوتية. كان زوج ربة السحب نيفيلي Nephele والدة فريكسوس وهيلي، التي تركته عندما تزوج امرأة من الشر، هي إينو بنة كادموس، وإذ كانت نيفيلي في حالة غضب، جلبت على البلاد الجفاف والقحط، وعندئذٍ حاولت إينو، بوساطة وحي غير حقيقي، أن تضحي بابن زوجها فريكسوس على مذبح زوس لافوستيوس Laphystius، غير أن نيفيلي حملت الطفلين في الهواء فوق كبش ذي جِزَّة ذهبية، وفي أثناء الرحلة سقطت هيلي في البحر الذي سُمي بعد ذلك باسمها هيليسبونت، غير أن أخاها وصل بسلام إلى قصر أييتيس ملك أيا، الذي زوَّجه ابنته خالكيوبي. وبعد ذلك، كاد الشعب يضحي بأثاماس نفسه إلى زوس لافستيوس، غير أنه نجا بمجيء كوتيسوروس بن فريكسوس، الذي أخبره بأن فريكسوس لا يزال على قيد الحياة، بيد أن نجاته جلبت غضب ذلك الإله على خَلَفِه؛ فأول مولود من جنسه يكون معرَّضًا لأن يُضحى به إلى زوس لافوستيوس إذا دخل حجرة اجتماع المجلس ولم يُفسح الطريق في الوقت المناسب، وبعد ذلك أُصيب أثاماس بالجنون على يد هيرا؛ لأن إينو ربَّت ديونيسوس ابن شقيقتها سيميلي، وفي نوبة جنونه قتل ابنه ليارخوس واضطهد إينو، التي قفزت إلى البحر مع ابنها الآخر ميليكيرتس، حيث صارت ربة البحر ليوكوثيا Leucothea؛ كما صار ابنها رب البحر بالايمون، وعندما شُفي أثاماس من جنونه، أمره وحي بأن يعيش في مكانٍ تعامله الوحوشُ فيه بكرم. وفي ناحية من تساليا سُميت باسمه «السهل الأثامانياني»، وصل إلى الذئاب، فاستقر في ذلك الموضع وتزوج ثيميستو Themisto. لا شك في أن هذه القصة مبنية على عادة الميناي القديمة؛ بأن يقدموا أول طفل ولد لجنس أثاماس إلى زوس لافوستيوس؛ في حالة عدم استطاعته الفرار كما فعل فريكسوس.

أثينا Athena

أوبالاس أثينا، ربة إغريقية هي مينيرفا الرومانية، وتبعًا للقصة التي هي أكثر شيوعًا، هي ابنة زوس الذي كان قد ابتلع أولى زوجاته ميتيس Metis (النصيحة) ابنة أوقيانوس؛ خشية أن تلد له ابنًا أقوى منه، فشق هيفايستوس (أو تبعًا لرواية أخرى بروميثيوس) رأس زوس بفأس، فقفزت منه أثينا بكامل عُدَّتها الحربية، وهي الربة العذراء إلى الأبد، غير

أن لقبها القديم «تريتوجينيا Tritogenea (المولودة من تريتون أو الفيضان الصاخب) يشير إلى الماء (أي: إلى أوقيانوس) كمنشأ وجودها؛ وعلى ذلك كانت عبادة أثينا وقصة مولدها متصلةً بكثير من مجاري المياه والبحيرات في شتى الأقاليم؛ وخصوصًا في بيوتيا وتساليا وليبيا التي يتصل بها اسم تريتون.

منذ البدء، تحتل أثينا مكانة سامية في الديانة الشعبية لدى الإغريق، وتصوِّرها التراتيل الهوميرية محبوبة والدها الذي لم يرفض لها طلبًا. إذا أراد الإغريق أن يحلفوا يمينًا مغلَّظة، قرنوا اسم أثينا مع اسمَي زوس وأبولو بطريقة تدل على أن هؤلاء الأرباب الثلاثة يمثلون كامل السلطة الإلهية، وباستثناء هذين الإلهين، لا يوجد إله آخر حظيت شخصيته الأصلية، كسلطة للطبيعة، بتقدم خلقي سامٍ مثل ما حظيت به أثينا. تتصل كلتا الفكرتين عن أثينا، الطبيعية والخلقية، معًا اتصالًا وثيقًا في ديانة أتيكا، التي سُميت عاصمتها أثينا Athens باسم الربة أثينا، وكانت أعظم مراكز عبادتها الهامة. كانت أثينا في الأصل ابنة رب السماء العذراء؛ الأثير الرائق الشفَّاف، التي يبدو صفاؤها في تألق غير مقنع خلال السحب المحيطة بها. وكَرَبَّة للجو، هي سيدة الرعد والبرق مع زوس، وتحمل، مثل زوس، ترس البروق المسمى «أيجيس»، وبوسطه رأس الجورجونة رمزًا للعاصفة وأهوالها، وعلى ذلك صُورت في كثير من التماثيل وهي تقذف الصاعقة، ومع ذلك، فهي ترسل من السماء إلى الأرض الضوء والدفءَ والندى المنضِج للثمار، ومع كل هذا الرخاء للحقول والنباتات. وتمثلها مجموعة من الحكايات الخرافية والعادات الخاصة بالديانة الأثينية، كمساعدة وحامية للزراعة.

اعتُبرت أثينا ربة الحرب، وهذه كانت سائدة في الأزمنة القديمة، وذات صلة بالاعتقاد بأنها كأبيها تستطيع إرسال الزوابع والطقس الرديء، وبهذا المعنى تظهر في القصص كصديقة لجميع المحاربين الجريئين؛ مثل بيرسيوس وبليروفون وجاسون وهرقل وديوميديس وأوديسيوس، بيد أن جرأتها جرأة حكيمة، ليست تهورًا أعمَى كتهوُّر آريس؛ ولذلك تُصوَّر دائمًا متغلبةً عليه.

وإذ صُورت أثينا بعدة تماثيل متباينة، فهي ذات قوام يوحي بهيئة الرجال أكثر من الهيئة الأنثوية؛ فوجهها بيضاوي الشكل، ذو جبهة واضحة ناصعة، وعينين مفكرتين، وشفتين مضغوطتين، وذقن ثابت، وشعر مرسل إلى الخلف بغير اهتمام. ومن خواصها العادية؛ الخوذة، وتُرس البروق الذي يغطي الصدر أو تستعمله كدرع للذراع، والرمح، والترس المستدير ذو رأس الجورجونة، وغصن الزيتون والبومة.

أثينا Athens

عاصمة أتيكا، تبعُد عن شاطئ البحر بثلاثة أميال، وتحيط بالأكروبول حصن المدينة ومعقلها الذي يقوم على هضبة صخرية يبلغ ارتفاعها ٢٠٠ قدم ويمتد مسافة ١٠٠٠ قدم من الشرق إلى الغرب، ومسافة ٤٦٠ قَدمًا من الشمال إلى الجنوب.

أجاكس الأصغر Ajax The Less

ابن لوكريان Locrian ملك أويليوس، ولذلك سُمي اللوكرياني؛ أي: أياس الأصغر، على نقيض التيلاموني. قاد جنود لوكريان في أربعين سفينة إلى طروادة، حيث شهر نفسه، على الرغم من عتاده الخفيف، إلى جانب من يحمل نفس اسمه، ولا سيما في معركة السفن والمعركة حول جثة باتروكلوس. اشتهر بقذف الرمح وبأنه أسرع عدَّاء بعد أخيل، وفي رحلة العودة إلى وطنه تحطمت سفنه؛ إرضاءً لغضب الربة أثينا، على الصخور الجورايانية تجاه شاطئ جزيرة موكونوس، أو (تبعًا لقصة أخرى) عند أقصى نقطة جنوبية في أيوبيا، والحقيقة أن بوسايدون أنقذه فوق الصخور، غير أنه عندما زها بأنه نجا من الهلاك برغم مشيئة الآلهة، ضرب ملك البحار الصخرة التي كان يجلس عليها بعصاه الثلاثية الشعابِ، فابتلعته الأمواج وغرق. وتقول الروايات اللاحقة: إن غضب الربة أثينا حلَّ به لأنه عند سقوط طروادة، عندما التجأت كاساندرا إلى محرابها واحتضنت تمثالها، جذبها منه بالقوة حتى سقط التمثال على الأرض. وبرغم أن أجاممنون أخذ الفتاة منه، فإن الأغارقة تركوا غضب الربة بدون عقاب؛ ولذلك أنزلت غضبها بالأسطول كله وهو عائد إلى الوطن، ويُقال إنه، كالأبطال الآخرين، ما زال حيًّا مع أخيل في جزيرة ليوكي Leucé، فعبده اللوكريون كبطل، وكانوا يتركون له مكانًا شاغرًا دائمًا في صف القتال.

أجينور Agenor

ابن أنتينور، من ثيانو Theano كاهنة أثينا، وأحد أشجع الأبطال الطرواديين. وفي هوميروس، يقود الطرواديين في اقتحام خنادق التحصينات الإغريقية، وينقذ هكتور عندما طرحه أجاكس أرضًا، وقد كان في قائمة من قاتلوا أخيل، بيد أن أبولو أنقذه من الخطر الداهم، وتقول الأسطورة بعد الهوميرية، إنه مات بيد نيوبتوليموس.

أخيل Achilles

ابن بيليوس ملك المورميدون، من الحورية ثيتيس، وحفيد أياكوس، ابن حفيد زوس. وتبعًا لهوميروس؛ ربته والدته حتى بلغ مبالغ الرجال، وكان صديقًا حميمًا لابن عمه الأكبر باتروكلوس Patroclus، ابن مينويتيوس؛ الأخ غير الشقيق لأياكوس، تعلَّم أخيل فنون الحرب والفصاحة على يد فوينيكس، كما تعلم فن العلاج على يد القنطور خيرون جد أمه، بيد أن الأساطير اللاحقة لهذه تضيف أشياءَ أخرى لقصة شبابه. ولكي تجعله أمه خالدًا كانت تدهنه بالأمبروسيا نهارًا وتضعه فوق النار ليلًا؛ لتُتلفَ فيه أي عنصر بشري ورِثه عن أبيه، حتى إذا كان ذات ليلة جاء بيليوس فوجد ابنه يُشوى فوق النار فأقام الدنيا وأقعدها، فغضبت الربة لإحباط خطتها، فهجرت الزوج والابن وعادت إلى بيتها مع النيريديات Nereids. وتبعًا لأسطورة لاحقة لهذه، غطَّست ثيتيس طفلها في مياه نهر ستوكس، وبذا أعطته مناعةً ضد الجروح ما عدا عَقِبه التي أمسكته منها، فلم تعطها مناعة ضد الجروح؛ إذ لم يمَسَّها الماء. بعد ذلك أخذ بيليوس ابنه العديم الأم إلى خيرون فوق جبل بيليون، فأخذ هذا يطعم الطفل أمعاء الأسود والخنازير البرية ونخاع عظام الدِّببة، ودرَّبه على جميع فنون الفروسية والرشاقة، فلما بلغ ذلك الطفل السادسة من عمره كان قويًّا وسريعًا؛ حتى كان يقتل الخنازير البرية والأسود ويصطاد الوعول بغير شِراك ولا كلاب صيد. أما عن دوره في الحملة الطروادية، فتختلف الأساطير فيه اختلافًا بينًا؛ فتبعًا لهوميروس؛ يلبي أخيل وباتروكلوس من فورهما نداء نستور وأوديسيوس، ويسمح لهما والداهما عن طيب خاطر بالذهاب مع الحملة بمصاحبة الرجل العجوز فوينيكس.

وتقول أسطورة لاحقة، إن ثيتيس رُوِّعت بنبوءة كالخاس القائلة بأن طروادة لن تسقط بغير أخيل، وإذ علمت أنه سيُقتل في تلك الحرب، أخذته وهو في التاسعة من عمره إلى جزيرة سكوروس Scyros؛ حيث ارتدى ملابس الفتيات وتربى وسط بنات الملك لوكوميديس، فأنجب من إحداهن، المسماة ديداميا، ولدًا سُمي نيوبتوليموس، غير أن كالخاس يخونه ويفشي مكان وجوده، فذهب أوديسيوس، وبموافقة ديوميديس كشف الحجاب عن ذلك البطل الشاب، فتنكر أوديسيوس في زي تاجر، وعرض كثيرًا من الحلى النسائية أمام الفتيات، كما عرض ترسًا ورمحًا، وفجأة سمع صوت البوق ينادي بالإسراع إلى القتال، فهربت الفتيات، على حين أمسك أخيل بالأسلحة وأعلن عن لهفته إلى القتال، وعند أول نزول الأغارقة على الساحل الآسيوي، جرح أخيل تيليفوس، وفي ثاني نزول

لهم على شاطئ طروادة جرح كوكنوس، وقد جعله هوميروس رئيس أبطال الإغريق في طروادة، الذين جعلهم عطفُ هيرا وأثينا وكفاية أخيل فوق مستوى صديق وعدو، لقد خُص بجميع صفات البطولة؛ في مولده وجماله وسرعته وقوته وشجاعته. كان منقطع النظير، فما كان أحد يستطيع مقاومته، فإن مجرد رؤيته كانت تلقي الرعب في قلب عدوه، وإذا غضب ثار، وإذا حزن لم يكن معتدلًا في حزنه، بيد أن طبيعته من وراء ذلك كانت تميل إلى الرحمة والمحبة والكرم حتى مع أعدائه، وكانت محبته لوالديه بالغة وخصوصًا لوالدته، كما كان وفيًّا لأصحابه. قاد الأغارقة في السنوات التسع الأولى للحرب في رحلات للسلب والنهب حول طروادة، وخرَّب إحدى عشرة مدينة داخلية واثنتي عشرة مدينة ساحلية. أما أحداث السنة العاشرة فجعلته يحقد على أجاممنون الذي انتزع منه بريسايس، فكان هذا الحقد موضوع إلياذة هوميروس، فلما انسحب هو ورجاله من القتال، تقدم الطرواديون في هجومهم دون أن يلقَوا مقاومة، واستولوا على معسكر الإغريق وأحرقوا سفنهم، وفي حدة الغضب، أعار باتروكلوس الأسلحة التي أعطاه إياها والده، وجعله يقود المورميدون إلى ساحة القتال، فطرد باتروكلوس الطرواديين، غير أن هكتور قتله، وفُقدت أسلحته ولو أن جثته استُعيدت. وأخيرًا تغلب على أخيل حزنُه على صديقه وتعطُّشُه للانتقام، فنسي حقده على أجاممنون. وإذ أمده هيفايستوس بأسلحة جديدة رائعة، كطلب ثيتيس، ومن بين تلك الأسلحة الترس ذو الصنعة العجيبة، خرج إلى القتال ضد هكتور وهو يعلم حقَّ العلم أنه سَرْعان ما سيسقط عدوه، فأحدث فوضَى بالغة في صفوف العدو؛ حتى لم يبقَ هناك من يجرؤ على مواجهته خارج الأسوار سوى هكتور، وحتى هذا، ارتد على عقبَيه فزعًا عندما أبصر أخيل، وبعد أن طارده ثلاث مرات حول المدينة، لَحِق به أخيلُ وغيَّب رمحه في جسمه، وجرَّه خلف عربته إلى المعسكر؛ حيث ترك جثته فريسةً للطيور والكلاب، ثم وضع جثة صديقِ شبابه، في أبهى مظاهر العظمة، فوق نفس كومة القبر التي ستضم رفاتَه هو نفسه، وأقام مباريات رياضية جنائزية تكريمًا له. وفي الليلة التالية جاء بريام إلى خيمته سرًّا، وقدَّم إليه هدايا ثمينة كفدية لاستعادة جثة هكتور، غير أن أخيل — الذي ذكَّره الملك العجوز، الشديد الحزن لدرجة الانهيار، بوالده — أرجع إليه الجثة بدون فدية، ومنحه هدنة قدرها أحد عشر يومًا كي يدفنها. وبعد أن قام بكثير من أعمال الشجاعة، لحقه المصير الذي اختاره هو لنفسه؛ إذ خُير بين موت مبكر وشهرة خالدة، وبين عمر طويل مع حياة غير مجيدة، فأصابه، قريبًا من الباب السكاياني، سهم باريس يقوده أبولو. وتبعًا لأسطورة لاحقة؛ جاءت الضربة

في العَقِب الوحيدة القابلة للجرح، في معبد أبولو الثومبرياني؛ حيث ذهب غير مسلح لكي يعقد زواجه على بولوكسينا بنة بريام. اقتتل الطروواديون والأغارقة قتالًا عنيفًا طوال اليوم حول جثته، حتى أرسل زوس عاصفة أنهت القتال.

أدميتوس Admetus

ابن فيريس Pheres ملك فيراي Pherae بتساليا، الذي اشترك في صيد الخنازير البرية الكالودونيانية، وفي رحلة سفينة الأرجو، وقد خدمه أبولو مدةً كَراعٍ؛ إما بدافع المحبة وكمكافأة له على تقواه وصلاحه، أو للتكفير عن جريمة عظيمة، وعندما غازل أدميتوس ألكيستيس Alcestis بنة بيليوس، ولم يرضَ والدها إلا بأن يزوجها الرجل الذي يستطيع وضع النير على أعناق الأسود والخنازير البرية، ويربطها إلى العربة؛ أنجز هذا العمل بمساعدة أبولو. والحقيقة أن هذا الرب ألحَّ على المويراي ليخلصه من الموت؛ على شرط أن يتطوع أحد ما بأن يموت بدلًا منه، وأخيرًا أصابه مرض قاتل، ورفض والداه العجوزان أن يتنازلا له عن الجزء الباقي من حياتهما، بيد أن ألكيستيس ماتت من أجل زوجها، ولكن بيرسيفوني أعادتها ثانيةً إلى العالم العلوي، أو تبعًا لقصة أخرى أنقذها هرقل من يدي هاديس.

أرتيميس Artemis

هي الربة العذراء ابنة زوس وليتو، وتُجمِع الروايات على أنها وُلدت أختًا توءمًا لأبولو، وقبله مباشرة، في ديلوس. وتقول أسطورة أخرى: إن مسقط رأسها كان في أورتوجيا، وقد تُرجمت على أنها ديلوس، ولو أن هناك أمكنة أخرى انتشرت فيها عبادة أرتيميس منذ زمن بعيد، تجعل لهذا الاسم وشهرته الأسطورية معنًى غير هذا، ولا سيما جزيرة أورتوجيا الشهيرة الواقعة تجاه سوراكوز. عُبدت هي وأخوها وأمها معًا في ديلوس ودلفي وجميع الأماكن التي هي أكثر تبجيلًا حيث يُكرَّم أبولو، وتتسلح مثله بقوس وسهم، وتتجه مثله نحو العمالقة والمتوحشين، ومن ثَم كان نشيد البايان Paean يُنشد لها كما يُنشد له، كانت سهامها، كسهام أبولو، تُعتبر سبب الموت المفاجئ، ولا سيما للعذارى والزوجات، غير أنها كانت أيضًا ربةً خيِّرة ومساعِدة، وكما أن أبولو هو رب النهار المضيء، فهي أيضًا بمشعلها ربة الضوء بالليل، وبمرور الزمن صارت تمثل شخصيات جميع الرَّبَّات الممكنة

للقمر وللَّيل، ومجال عملها الخاص بها هو الطبيعة بتِلالها وأوديتها وغاباتها ومراعيها وأنهارها وينابيعها؛ حيث تكون وسط حورياتها أجملهن وأطولهن، وهي صيادة بارعة، تطارد الوحوش الضارية أحيانًا، وأحيانًا أخرى ترقص أو تلعب أو تستحم مع رفيقاتها، ويُظن أن مسرح نشاطها المفضل هو جبال وغابات أركاديا؛ حيث لها في كثير من الأمكنة محاريب وأمكنة صيد مكرَّسة وحيوانات مقدسة. وكرَبَّة، تقدِّس لها وتعزِّز جميعُ وحوش الغابات والحقول، وفي الواقع جميع حيوانات الصيد، بيد أن حيوانها المفضل في جميع أرجاء بلاد الإغريق هو الظبية، ونسبةً إلى هذا الحيوان المقدس وصيده، أطلق الأغارقة على الشهر الذي كانوا يسمونه أرتيميسون أو أرتيميسيوس «مارس وأبريل»، وخصوصًا أهل أثينا، كما أُطلق على عيدها — كرَبَّة للصيد وحيواناته؛ حيث كانوا يقدمون الظباء أو كعكًا بشكل الظباء — اسم الإفيبوليا Ephebolia. وكرَبَّة للمطاردة، كان لها نفوذ في الحرب أيضًا. وكان الإسبرطيون يطلبون عطفها قبل البدء في القتال، فيقدمون لها عنزة؛ كذلك فعل ميلتياديس قبل موقعة ماراثون؛ إذ نذر أن يذبح لها معيزًا بقدر عددِ مَن يسقط من الأعداء في ميدان القتال، غير أنه لما كان عدد القتلى كبيرًا جدًّا بحيث يتعذر الوفاء بالنذر، كان يذبح لها ٥٠٠ عنزة في كل عيد سنوي تذكارًا للنصر، كذلك كانت تُعبد كثيرًا كرَبَّة للقمر. وفي مونوخيا بأتيكا، كانوا يصنعون أرغفة كبيرة مستديرة ويضعون الأنوار فيها بحذاء حافتها من الداخل، في ليلةِ استدارة القمر بدرًا في شهر مونوخيون (أبريل–مايو)؛ رمزًا لضوئها، وتُحمل في موكب وتُقدم لها، وكذلك كان يُعمل في عيد النصر بسالاميس في قبرص؛ لأن الربة أضاءت في تلك المناسبة بكامل بهائها على الأغارقة.

كانت أرتيميس تُعتبر عدوة لكل فعلٍ غير شرعي، وتتصل بصفاتها — كربة للقمر ومساعدة على النمو الصحي، ولا سيما في الأجسام الأنثوية — فكرة مساعدتها عند ولادة الأطفال. وفي غابر الأزمنة كانوا يقدِّمون لها ضحايا بشرية، ومن بقايا ذلك، تلك العادة السنوية التي تلاحَظ في إسبرطة؛ إذ يساط الصبيان حتى تدمي جسومهم فوق مذبح آلهة غير معروفة في أي مكان آخر.

تظهر أرتيميس في أعمال الفن كنموذج لجمال الفتيات العابس، فارعة الطول، تحمل على كتفها قوسًا وجَعبة، أو تمسك مِشعلًا في يدها، وعادةً تقود أو تحمل ظبية، أو راكبة عربة تجرها الظباء، أكثر صفاتها شيوعًا هي كصيادة، وكان شكلها في الأزمنة الأولى أكمل وأقوى، والملابس أكثر كمالًا، أما في الأعمال اللاحقة فكانت تُصوَّر أنحف جسمًا وأخف أقدامًا، وشعرها مرسل، والثوب مرتفع إلى أعلى، وتنتعل في قدميها حذاء كريتيا.

أرجو Argo

سفينة رحلة البحارة المشهورين باسمها، سُميت باسم صانعها أرجوس. أبحر بحارتها بقيادة جاسون للبحث عن الجِزَّة الذهبية، ويقال إن أثينا أشرفت على بناء هذه السفينة، وإنها وضعت فيها كتلةً قُطعت من شجرة بلوط دودونيا لها القدرة على الكلام والتنبؤ. بعد الإبحار كرَّس جاسون الأرجو إلى بوسايدون.

أرجوس Argus

ابن فريكسوس وخالكيوبي بنة أييتيس. يقال إنه أتى إلى أورخومينوس موطن والده، وبنى سفينة الأرجو التي سُميت باسمه، وتبعًا لرواية أخرى تحطمت سفينته مع إخوته عند جزيرة أريتياس Aretias؛ وهم في طريقهم إلى بلاد الإغريق، ومن ثَم نقَلهم بحارة الأرجو إلى كولخيس.

إرجينوس Erginus

ابن كلومينوس ملك أورخومينوس. هجم إرجينوس على طيبة وانتصر عليها، ثم فرض عليها الجزية؛ وهي عبارة عن مائة رأس من الماشية تُقدم له كل سنة لمدة عشرين عامًا؛ وسبب ذلك أن رجلًا طيبيًّا قتل كلومينوس بحجر في أثناء ألعاب بوسايدون، فاستقبل هرقل سفراء إرجينوس وهم يجمعون الماشية، وبتر آذانهم وأنوفهم، وربط أيديَهم خلف ظهورهم، وأعادهم ثانية إلى بلادهم، فلما شن إرجينوس الحملة من جديد، ساعد هرقل الطيبيين وقتله، فاضطربت صفوف جيشه، وأنزل على شعبه ضريبة مضاعفة.

إروس Eros

يسميه الرومان كوبيدو أو أمور، إله الحب، وتقول أقدم الأساطير إن إروس مثل جيا؛ أي: أحد المخلوقات الأولى التي نشأت من خاوص، ويمثل مبدأ الاتفاق والاتحاد في بناء العالم ومخلوقاته.

وقد اعتُبر فيما بعدُ ابن أفروديتي إما من آريس أو من هيرميس، والرفيق الدائم الصحبة لأمه. ظل طيلة عمره طفلًا يملؤه المرح والحزن، ولكنه مع ذلك كان لا يعرف

الرحمة، تصعب مقاومته، ليس لسلطانه حد على الآلهة والبشر سواءً بسواء، كان مسلحًا بقوس وجعبةٍ مملوءة بالسهام، وشعلة كي يتمكن من أن يطعن أو يشعل قلوب ضحاياه. وهبت له أجنحتُه الذهبية سرعة الحركة كما دفعته عيناه اللتان لا تبصران إلى أعمال تهورية لا تُحمد عقباها، وكان شريكًا لأخيه أنتيروس إله الحب المتبادل، وبوثوس إله الشوق، وهيميروس إله الشهوة، وبايثو ربة الإقناع، وربات الفنون، والخاريتيس «أي: ربات الظَّرف والجمال»، ثم نشأت بعد ذلك فكرة عدد من الإيروتيس أو المحبين.

إريدانوس Eridanus

إله نهر وُجد الكهرمان على شاطئيه. تقع جزر الكهرمان عند مصب نهر بادوس (أي: البو)؛ حيث أُصيب فايثون ببروق زوس.

آريس Ares

الاسم الإغريقي لإله الحرب. ابن زوس وهيرا، الذي اعتقد هوميروس أنه ورِث حب المشاغبة عن والدته، واشتد ولعه بالعراك؛ حتى إنه لم يعُد يسُرُّه شيء ما غير القتال وسفك الدماء، وقد جعله تعطشه للدماء مكروهًا من والده وسائر الآلهة الآخرين وخصوصًا أثينا، ومأواه المفضل هو أرض التراقيين المحبين للحرب، كان المثل الأعلى للأبطال المحاربين في الصورة والمعدات؛ ومن ثَم أُطلق عليهم اسم «شبيهو آريس» و«أعزَّاء آريس»، وتبعًا لهوميروس، يتقدم آريس — تارةً سائرًا على قدميه، وتارةً أخرى راكبًا عربة حربية تجرها الجياد الجميلة، وتصحبه شقيقته المتعطشة للدماء مثل أيرس Iris — «النزاع» وأبناؤه ديموس وفوبوس «الخوف والفزع»، وإينو؛ ربة المعارك ومخربة المدن، مندفعًا في غضب أعمَى فيقتل بغير تمييز.

كان ضخمًا مفتول العضلات، سريع العدْو، جهوري الصوت، ذا وجه مروع في قبعته المريشة وعُدَّته الحربية ودرعه ورمحه. ومن مستلزماته الشعلة المتَّقدة والرمح، ومن الحيوانات المحبوبة لديه النَّسر والكلب، أما الأماكن المتصلة به فهي تراقيا وطيبة وأثينا، وكانت عبادته بين الإغريق أقل من عبادة مارس بين الرومان.

أطلس Atlas

أي «الحامل»، ابن التيتان يابيتوس Iapetus وكلوميني (أو آسيا؛ تبعًا لرواية أخرى)، وشقيق مينويتيوس وبروميثيوس وأبيميثيوس، ويُسمى في هوميروس (الأوديسة)، الأغنية الأولى، (٥٢) «المفكر بالشر»، الذي يعرف أعماقَ البحر كله، ويشرف على الأعمدة التي تُبعد السماء عن الأرض. وفي هسيود، يقف عند الطرف الغربي للأرض قريبًا من مسكن الهسبيريديات، يحمل السماء العريضة فوق رأسه وبيديه العديمتي الكلال. وتقول رواية لاحقة: إن زوس أجبره على ذلك عقابًا له على الدور الذي قام به في معركة التيتان. إنه والد البلياديس من حورية المحيط بليوني Pleione؛ كما أنه والد الهواديس Hyades من أيثرا. ويقول هوميروس: إن الحورية كالوبسو ابنته أيضًا، وهي التي تقيم في جزيرة أوجوجيا Ogygia سرة البحر. ويجعله المؤلفون اللاحقون والد الهسبيريديات من هسبيريس Hesperis، وقد هربت إليه أمفتريتي عندما طاردها بوسايدون، وعندما اتسعت معارف الإغريق عن الغرب، نقلوا مسكن أطلس إلى الجبل الإفريقي الذي يحمل نفس الاسم. ولا شك في أن القصص المحلية عن جبل يسند السماء؛ تقوِّي فكرة إقامته على ذلك الجبل، وفي عصور لاحقة صوِّر أطلس كملك ثري يملك حديقة الهسبيريديات وقد حوله برسيوس إلى جبل صخري بوساطة رأس الجورجونة؛ جزاءَ عدم كرمه. ويصوَّر في أعمال الفن حاملًا السماء، أو (بعد اكتشاف كروية الأرض) حاملًا الكرة الأرضية.

أفاريوس Aphareus

زوج أريني Arene ووالد إيداس ولونكيوس وبيسوسPisus.

أفروديتي Aphrodite

ربة الحب الإغريقية. وتضم اختصاصاتها كثيرًا جدًّا من المظاهر الشرقية، ولا سيما الفينيقية الأصل التي لا بُدَّ أن يكون الإغريق قد خلطوها مع آرائهم القومية في غابر العصور المتغلغلة في القِدم. تظهر هذه الطبيعة المزدوجة بسرعة في القصص المتناقضة عن منشئها، فكان أقدم الأغارقة يعتبرونها ابنة زوس وديوني (وأحيانًا تسمى هي نفسها بهذا الاسم)، ومع ذلك، فتظهر منذ عصر قديم باسم «المولودة من الزبد» و«أناديوميني»؛ أي:

«التي صعدت» من البحر، وخطت إلى شاطئ قبرص التي كان الفينيقيون قد استعمروها في زمن لا يعلمه إلا الله. وحتى في عهد قديم قد يرجع إلى هوميروس، هي «كوبريس» الكوبرية. وتثبُت نفس قصة خروجها من البحر والنشأة الشرقية لعبادتها من أسطورة جزيرة كوثيرا Cythera التي يُعتقد أنها نزلت إلى شاطئها أولَ ما نزلت عند خروجها من قوقعة البحر.

وتحدد الفكرة العامة عنها كرَبَّة للحب وساطتها إلى محيط الحياة البشرية، ولكنها، في نفس الوقت، قوة من قوى الطبيعة، تعيش وتعمل بثلاثة عناصر؛ هي الهواء والتراب والماء. وكرَبَّة للعاصفة الكاسحة، والجو الكثير التغير؛ هي أفروديتي أورانيا؛ أي «السماوية»، وتتوِّج معابدَها — بعدة أماكن في بلاد الإغريق وفي آسيا — المرتفِعاتُ والرءوس الممتدة إلى داخل البحر، وتشرف على حصون طيبة وكورنثة وجبل إيروكس بصقلية. وكرَبَّة للعواصف والبروق، تُصَوَّر مسلحة؛ كما في إسبرطة وكوثيرا، وربما فُسر هذا السبب في جمعها مع آري Are (مارس) في كل من العبادة وفي الأساطير، وعبادتِها كرَبَّة للنصر.

تبدي أفروديتي قوتها في حياة الآلهة والبشر بصفتها الرَبَّةَ الذهبية ذات الابتسامة الحلوة، للجمال والحب اللذين تعرف كيف تحتفظ بهما أو تطردهما. ولا شك في أنها تبُذُّ سائر الرَّبَّات الأخريات في بهائها ورشاقتها، وقد جمعت في حزامها كلَّ المفاتن السحرية التي يمكن أن تَسحَر أكثر الناس حكمة وعقلًا، وتُخضِع الآلهة نفسها. وتتألف حاشيتها من إيروس (كيوبيد) والساعات والجراكيات وبيثو (الإغراء)، وبوثوس، وهيميروس (تمثيل للشوق والحنين). وإذ ربطت بين الأجيال برباط الحب؛ صارت رَبَّة الزواج والحياة العائلية، ونتيجةً لهذا كانت ربة المجتمع كله تقريبًا.

أكاستوس Acastus

ابن بيلياس ملك أيولكوس، انضم إلى حملة سفينة الأرجو؛ إذ كان صديقًا لجاسون، ولو أن اشتراكه في هذه الحملة كان ضد رغبة والده، ولما مات أبوه أقام مباريات رياضية جنائزية كانت موضع أفكار قدامى الشعراء والفنانين، ومثَّل بيليوس فيها بالاشتراك في الألعاب، واشترك في صيد الخنزير الكالودوني Calydonian، بيد أن زوجته أستواميا Astydomeia وقعت في غرام بيليوس، فجلب هذا الغرام الخرابَ على الزوجين، وكانت ابنته هي لاوداميا Laodameia المشهورة بحبها الرقيق لبروتيسيلاوس Protesilaus.

ألكيستيس Alcestis

ابنة بيلياس المشهورة بحبها الشديد لزوجها أدميتوس، وبموتها الاختياري بدلًا منه.

ألكينوس Alcinus

ملك الفياكيين الذين لجأ إليهم أوديسيوس، وفي أسطورة لاحقة لجأ إليهم جاسون وميديا.

إلياذة Iliad

ملحمة شعرية كتبها هوميروس شاعر الإغريق الأول؛ وذلك في عام ٨٥٠ق.م.، وتُعتبر من روائع الأدب العالمي، وتقع في أربعة وعشرين كتابًا، وتحكي قصة حصار الأغارقة لمدينة طروادة الذي دام عشر سنوات.

الأمازونيات Amazones

أي: عديمات الأثداء. أمة أسطورية من النساء المحاربات، تحدد أولَيات الأساطير الإغريقية مقرَّهن الرئيسي في ثيميسكورا Themiscyra، الواقعة على الثيرمودون Thermodon على الشاطئ الجنوبي لإيوكسين Euxine. ويظهرن في أساطير لاحقة في القوقاز وعلى جبل دون Don؛ حيث يُعتقد أن الأمة المعروفة باسم الساوروماتاي Sauromatae نشأت من اختلاطها بالسكوثيين Scythians. لم تقبل الأمازونيات وجود أي رجال بينهن، أما الأبناء الذين يُولدون نتيجة لاتصالهن بالأمم المجاورة لهن، فإما أن يقتلْنهم أو يرسلْنهم لآبائهم، وأما البنات فيربينهن لينشأْن محاربات، ويُحرقن الثدي الأيمن لكي يستطعن استعمال القوس على خير وجه، ويُقال إن آلهتهن الرئيسية آريس وأرتيميس التاورية Taurian، وحتى في هوميروس يأتي ذكرهن، فيقول إنهن قمن بتَجوالات طويلة في المناطق الآسيوية، وغزا جيش منهن لوكيا Lycia، غير أن بيليروفون Bellerophon مزَّقه وأباده، وأسرع بريام لمساعدة الفروجيين ضدهن، ولهن قدم راسخة في الأغاني والقصص الإغريقية عن طريق أركتينوس الميليتوسي Arctinus of Miletus؛ الذي يقول في منظومته إن ملكتهن بنثيسيليا Penthesileia ابنة آريس، قد شدت ضغطها على الإغريق كحليفة لبريام، وظلت كذلك إلى أن قتلها أخيل، وبعد ذلك صارت الأمازونيات موضوعًا محبوبًا لدى الشعراء والفنانين.

أمفيراوس Amphiraus

ابن أويكليس وهوبيرمنيسترا. كان زوج أريفولي الذي أنجب منها ألكمايون وأمفيلوخوس، وُهبت له القدرة على التنبؤ، كما لعب دورًا خطيرًا في الصيد الكالودوني وحملة بحارة سفينة الأرجو، وكان أحد القواد السبعة ضد طيبة. طرد أدراستوس من أرجوس، ولكنه اصطلح معه أخيرًا وتزوج شقيقته أريفولي، بعد وعْده أن يعهد إليها بالفصل فيما يقوم بعد ذلك من نزاع.

أموكوس Amycus

ابن بوسايدون. ملك البيبروكيين العظيم، وهم الذين تقع دولتهم على الساحل البيثوني، وكان يجبر كل أجنبي ينزل هناك على أن يلاكمه، وعندما أراد بحارة سفينة الأرجو أن يأخذوا ماءً من ينبوع في مملكته، منعهم، غير أنه هُزم وقُتل في نزال مع بولوديوكيس Polydeuces.

إندوميون Endymion

ابن أيثليوس وكالوكي. كان ملكًا على أليس. أحبته سيليني فأنجبت منه خمسين ابنة، وحقق زوس رغبته في أن ينام إلى الأبد، وفي أن يظل صغيرًا طيلة عمره، وأن يكون خالدًا. وبعض الأساطير الحديثة تقول: إن إندوميون كان صيادًا صغيرًا جميلًا أو راعيًا على جبل لاتموس في كاريا؛ حيث رأته سيليني ربة القمر نائمًا ذات ليلة، فأحبته لجماله وتسللت لتُقبِّله، واستمرت على هذا الأمر لدرجة أنه لم تمر ليلةٌ دون أن تزوره لتُقبِّله في نومه، ويقال إن زوس خيَّره بين الموت والنوم الأبدي، فاختار إندوميون النوم الأبدي، على أن هناك من يفسر ذلك بأن سيليني هي التي أعطته النوم؛ لتتمكن من تقبيله وهو نائم دون علمه، أو أنها طلبت من زوس أن يجيب له طلبًا، فطلب النوم الأبدي والشباب الأبدي والخلود.

أنكايوس Ancaeus

ابن لوكورجوس وأحد الأرجوناوتيس. يلي هرقل قوةً، وقد اشترك في الصيد الكالودوني وفي قتل خنزير بري.

أوجياس Augeas

ابن هيليوس، وتبعًا لرواية أخرى، ابن فورباس Phorbas وهيرميوني. كان ملكًا على الإبيانيين Epeians في أليس، وواحدًا من بحارة الأرجو، كان يملك كنوزًا كثيرة بنى لها أجاممنون وتروفونيوس خزانة خاصة، وعلاوة على ذلك كان يملك قطيعًا «ضخمًا» من الأغنام والثيران، منها اثنا عشر ثورًا أبيض مكرَّسة للشمس، وعندما جاء هرقل لينظف حظائره بأمر من يوريسثيوس وعده أوجياس بأن يعطيه عُشرَ قطيعِه في نظير ذلك العمل، غير أنه بعد تنظيفها نكث أوجياس وعده ورفض إعطاءه الجائزة؛ بحجة أن ذلك العمل تَم في خدمة يوروسيثينس، فما كان من هرقل إلا أن أرسل جيشًا لمقاتلته هُزم في ممرات أليس على أيدي يوروتوس Eurytus وكتياتوس Cteatus ولدَي موليوني Molione، غير أن هرقل ذهب إلى ميدان المعركة فقتل ولدَي موليوني، كما قتل عمهما أوجياس وأبناءه.

أوديسة Odessey

ملحمة هوميروس الخالدة التي تحكي مغامرات البطل أوديسيوس في أربعة وعشرين كتابًا ... وتمتاز برشاقة الأسلوب وسلاسته، مع جلال الشعر وروعته.

أوديسيوس Odysseus

هو أولوسيس، ويسميه الرومان أوليكسيس Ulixes بن لايرتيس ملك إيثاكا وأنثيكليا. تزوج بينيلوبي وأنجب منها ابنًا اسمه تيليماخوس، وتذهب بعض الروايات إلى أنها أنجبت له أبناءً آخرين، وأنها أثناء غيابه في سياحاته أنجبت كيركي وكالوبسو، وأن بعض نساء أخريات أنجبن له أطفالًا. كان أوديسيوس أشهر أبطال الإغريق؛ إذ فاقهم في الصيت وبُعد الشهرة.

وقد قتل في شبابه خنزيرًا أثناء الصيد الذي اشترك فيه عند زيارة جدَّيه في بارناسوس، فجرحه الخنزير في ركبته أثناء صراعه معه فترك أثرًا في جسمه. وقد أرسله أبوه لايرتيس إلى لاكيدايمون في سفارة؛ حيث أهدى له صديقه المضيف إيفيتوس قوس يوروتوس المشهورة التي ساعدته كثيرًا في مناسبات طيبة.

ولقد قامت الحرب الطروادية لما خطِف باريس هيلينا من زوجها مينيلاوس، وبالرغم من محاولاته السابقة لحماية مصالح هيلينا وزوجها، كان أوديسيوس غير راغب

في الذهاب إلى الحرب، فتظاهر بالجنون، وصار يحرُث مع الحيوانات التي لا يمكن وضْعُ النير فوق أعناقها، وأخذ يبذِر الملح كأنه بذور، ولكن بالاميديس أدرك هذه الحيلة واتهم أوديسيوس بادعاء الجنون، وبرهن على صحة قوله بأنْ وضع تيليماخوس في طريق المحراث؛ ليرى هل سيتفادى أوديسيوس من ابنه، وترتب على ذلك أن ذهب أوديسيوس إلى الحرب تطِنُّ في آذانه النبوءةُ المحزنة القائلة بأنه لن يرجع إلى بلده إلا بعد عشرين عامًا، ويكون وحيدًا مُعوِزًا، مجهول الشخصية، فاقدًا جميع سفنه ورفاقه.

أورفيوس Orpheus

ابن أوياجروس وكاليوبي ربة الفن. كان شاعرًا خرافيًّا، ولد من النهر هيبروس Hebrus في تراقيا، وكان لأغانيه سحر يبعث السرور في الحيوانات المفترسة، ويدفع الأشجار والأحجار إلى متابعته، ويحتِّم على الأسماك أن تترك مياهها، وعلى الطيور أن تتجمع حول رأسه زرافاتٍ ووُحدانًا. شجع زملاءه أثناء حملة الأرجوناوتيس، وساعدهم في كثير من الأخطار بسحر موسيقاه.

أوقيانوس Oceanus

ابن أورانوس وجيا، وزوج تيثوس، ووالد الأوقيانيديس أو حوريات المحيط، وربات الأنهار. كان أوقيانوس نفسُه هو ذلك النهر العظيم الذي يجري في دائرة حول نهاية العالم التي منها وإليها تشرق وتغرب الشمس والنجوم. نشأ أوقيانوس من جميع البحار والبحيرات والأنهار والينابيع.

أوليمبوس Olympus

جبل في تساليا كانت تعيش على قمته آلهة السموات، ويقوم فوق أعلى ذؤاباته قصر زوس، تجاوره من جميع الجهات المنازلُ التي بناها هيفايستوس للآلهة الآخرين، وتقوم فوق السحب مدينة الآلهة التي تفصلهم عن الأرض، وكان يحتفظ بها كأبواب بوساطة الساعات، وهناك كانت تُعقد اجتماعاتهم وتُقام مآدبُهم، ثم صارت قمة الجبل تُعرف رويدًا رويدًا بالسماء.

أويليوس Oileus

ملك اللوكريين ووالد أجاكس الصغير من أريوبيس، وقد اشترك في حملة بحارة الأرجو.

أيا Aea

مملكة الملك الأسطوري أييتيس، وظُنت بعد ذلك أنها كولخيس الواقعة على نهر أيوكسيني.

أياكوس Aeacus

هو جد أسرة الأبطال الأياكيداي Aeacidae، ابن زوس من أيجينا Aegina، ابنة رب النهر أسوبوس Asopus، في فليوس Phlius التي حملها ملك الآلهة في صورة نسر إلى الجزيرة المسماة باسمها؛ حيث ولدت ابنها. ولما كان ملكًا على أيجينا حكم المورميدون الذين خلقهم زوس بناءً على طلبه من النمل؛ ليسكنوا جزيرته، التي، تبعًا لإحدى القصص، لم تكن مأهولة، وتبعًا لأخرى أصابها وباء، ولما كان محبوبًا من الآلهة لتقواه، فعندما أقحلت جميعُ بلاد الإغريق، أرسل زوس المطر إلى مقره، وبنى له الأغارقة، المعترفون بفضله، معبدًا في أيجينا يحيط به سور من الرخام. ويقول بندار إنه ساعد بوسايدون وأبولو على بناء حوائط طروادة، فشيَّدا ذلك الجزء الذي تسلقه فيما بعدُ ابنه تيلامون وحفيده نيوبتوليموس، وبسبب عدله صار قاضيًا، بعد موته، في العالم السفلي، وقد عبده القوم في أيجينا وأثينا كنصف إله، أما ولداه من ابنة خيرون إنديس Endeis فهما تيلامون وبيليوس، والدا أجاكس وأخيل، وأما ابنه الثالث فوكوس Phocus الذي أنجبه من الحورية بساماثي Psamathe، فقتله أخواه غير الشقيقين، وبسبب ذلك نفاهما أبوهما.

أيجلي Aegle

ابنة هيليوس وكلوميني. تحولت أيجلي هي وأخواتها إلى أشجار الحور؛ حزنًا على أخيهم فايثون.

أيجينا Aegina

حورية، ابنة إله النهر أسوبوس Asopus وزوس، ووالدة أياكوس الذي أنجبته في جزيرة تحمل اسمها. وأرسلت هيرا من فرط حقدها جيوشًا من النمل إلى الجزيرة؛ كي تعاقبها هي وابنها.

أيجيوس Aegeus

ابن باندیون وبیلیا. وإذ اغتصب أتيكا بمساعدة إخوته؛ لوكوس وبالاس ونيسوس، من أبناء عمه ميتيون، الذي كان قد طرد أباه؛ قبض على زمام الملك كله، ولما خلعه أخوه بالاس وأبناؤه، أنقذه ابنه ثيسيوس وأعاد إليه عرشه، ولما قتل أندروجيوس Androgeos بن مينوس، هزمه ذلك الملك وأجبره على أن يرسل إلى كريت سبعة شُبان وسبع فتيات كل تسع سنوات؛ ليكونوا طُعمة للمينوطور Minotaur. ولما ذهب ثيسيوس ليخلص بلاده من هذه الجزية، اتفق على أنه في حالة نجاحه سيغير شراع سفينته الأسود بآخر أبيض، ولكنه نسي أن يفعل هذا، فلما أبصر أيجيوس الشِّراع القديم في السفينة العائدة اعتبر ابنه مفقودًا، فألقى بنفسه في البحر الذي يُظن أنه سُمي باسمه «بحر إيجه»، وكان له بطلة أو محراب في أثينا، وإذ لم يكن له ذرية من زواجَيه السابقَين، ونُسب هذا الأمر إلى غضب أفروديتي، فقد قيل إنه أدخل عبادتها في أثينا.

إيداس Idas

ابن أفاريوس وأريني وشقيق لونكيوس. كان الشقيقان مخلصين تمامًا مثل خاليهما كاستور وبولوديوكيس، وقد خطف إيداس ماربيسا التي أحبها أبولو أيضًا، في عربة مجنحة كان قد أعطاه إياه بوسايدون، فلما هاجمه أبولو، أوشك أن يطلق على الإله سهمًا لولا تدخُّل زوس، وترك الأمر لماربيسا لتختار أحدهما، فاختارت إيداس لأنها خافت أن يهجرها الرب يوم أن يخُطَّ المشيب شعرها. وقد اشترك إيداس ولونكيوس في الصيد الكالودوني وفي الحملة الأرجوناوتيكية، وكذلك في غارة بالماشية مع كاستور وبولوديوكيس.

إيدويا Idyia

ابنة أوقيانوس وتيثوس، وزوجة أييتيس الكولخي التي أنجبت منه ميديا.

أيرس Iris

ربة الشِّقاق، يسميها الرومان ديسكورديا Discordia، شقيقة وخادمة آريس Ares، يقول هسيود إنها ابنة نوكس Nux ووالدة الشرور بجميع أنواعها، كان يسُرُّها النزاع

والظلم والقتال وسفك الدماء، وهي الوحيدة من بين الرَّبَّات التي لم تُدع إلى حفلة عرس بيليوس وثيتيس، فلما غِيظت من هذا الإهمال ألقت بين الجموع تفاحة الشقاق مكتوبًا عليها «إلى أجمل النساء»، وبذلك أقامت باريس حاكمًا وتسببت في الحرب الطروادية.

أيسون Aeson

ابن كريثيوس من تورو، ملك أيولكوس. خلعه أخوه غير الشقيق بيلياس، وقُتل في أثناء غياب ابنه جاسون في رحلة سفينة الأرجو.

إينو Ino

ابنة كادموس وهارمونيا من طيبة، وشقيقة سيميلي، وقد جلبت على نفسها كراهيةَ وحقد هيرا؛ لأن ديونيسوس بن زوس وسيميلي قد عُهد إليها تربيته وتقويته، وصارت إينو زوجة أثاماس بعد أن تركته نيفيلي؛ لأنه فضَّل إنسانًا عليها، وقد أنجبت منه طفلين ليارخوس وميليكيرتيس. وقد وضعت خطة تهديم فريكسوس بن نيفيلي، ولكن نيفيلي أنقذته مع أخته هيللي؛ بأن وضعته فوق كبش ذهبيٍّ الجِزَّة عبَر بهما البحر، ثم بعد ذلك أصابت هيرا أثاماس بالجنون فقتل ليارخوس، وبذلك اضطهد إينو؛ حتى إنها ألقت بنفسها في البحر مع ابنها ميليكيرتيس، فتحول الابن وأمه إلى ربات، وحملت إرينو اسم ليوكوثيا وميليكيرتيس اسم بالايمون، وكان الرومان يعتبرون ليوكوثيا أنها هي ماتوتا Matuta.

أيولوس Aeolus

حفيد ديوكاليون بن هيلين من الحورية أورسايس Orseïs، وشقيق دوروس وكسوثوس، وملك ماغنيسيا Magnesia بتساليا، والجد الأسطوري للجنس الأيولي، فكان أبناؤه مؤسسي البلاد الأيولية المنتشرة في جميع أرجاء بلاد الإغريق، وكان له سبعة أبناء من زوجته إيناريتي؛ هم: كريثيوس مؤسس إيولكوس، والذي تزوج تورو Tyro فأنجب منها أيسون والد جاسون وفيريس ولوكورجوس وأماثاءون Amythaon وسيسوفوس، ووالد جلاوكوس، وجد بيليروفون، وأثاماس ملك أورخومينوس، ووالد فريكسوس وهيلي، وسالمونيوس مؤسس سالموني في أليس، ووالد تورو، وديون ملك فوكيس ووالد أكتور، وفولوكوس، وكيفالوس، وماجنيس، وبولوديكتيس الذي استعمر جزيرة سيريفوس، وبيرييريس Pe rieres ملك ميسينيا ووالد أفاريوس وليوكيبوس.

أييتيس Aeetes

ابن هيليوس وحورية المحيط برسايس، وشقيق كيركي Circe وباسيفاي ملك «أيا»، ووالد ميديا وأبسورتوس من حورية المحيط إيدويا. كان ملك كولخيس عندما جاء إليها جاسون طالبًا الجِزَّة الذهبية، فطلب من البطل ما كان يعتقد أنه حجر عَثْرة في سبيل الحصول على الكنز، وعندما قابلهم جاسون وتسلل ليلًا حاملًا معه الجِزَّة وميديا وأبسورتوس، ركب أييتيس سفينته وأخذ يتابع الهاربين بقوة وعزم، فما كاد يحدِق بهم حتى مزقت ميديا جسد أبسورتوس، وأخذت تلقي أشلاءه من فوق ظهر السفينة؛ وبذا شغلته عن تعقُّبهم لأنه صار يجمع أشلاء ابنه، ورجع بها إلى كولخيس ليدفنها بالاحتفال اللائق به.

باتروكلوس Patroclus

ابن مينويتيوس وسيثينلي … ولقد قتل وهو صبيٌّ ابنَ أمفيداماس عفوًا، فترك لوكريس وذهب إلى بيليوس في فثيا Phthia؛ حيث نشأ مع أخيل فتولدت بينهما صداقة كانت مضرب الأمثال، وعندما انسحب أخيل من القتال في طروادة وتوالت الهزائم على الإغريق، أقنع باتروكلوس أخيل أن يعيره درعه؛ ليجدد القتال ويزعج الطرواديين بظهوره في القتال على أنه أخيل، فوافق أخيل وكان النصر حليف باتروكلوس فترةً من الزمان، قتل خلالها كثيرًا من الأبطال ودفع بالطرواديين أمامه إلى التقهقر، ولكن هكتور قتله أخيرًا؛ ومن ثم قام نزاع هائل حول جثته، فلما حمل أنتيلوخوس الأخبار إلى أخيل، جَزِع البطل في أول الأمر جزعًا لا مثيل له، ثم استولت عليه فجأةً غريزةُ حب الانتقام، فعاد إلى الميدان من جديد يُنزل بأعدائه الموت والدمار.

باجاساي Pagasae

إحدى بلدان تساليا، تقع على ساحل ماغنيسيا وعلى الخليج الذي سمُي باسمها فيما بعد. كانت الميناء البحري لإيولكوس ثم لفيراي فيما بعد. اشتهرت في الأساطير بأنها المكان الذي بنى فيه جاسون سفينته الأرجو، كما أن جاسون نفسه يُسمى باجاسايوس Pagasaeus.

بافلاجونيا Paphlagonia

مقاطعة بآسيا الصغرى استطاع كرويسوس Croesus أن يُخضع أهلها تحت سيطرته. ضُمت فيما بعدُ وأصبحت جزءًا من الإمبراطورية الفارسية.

بالاس أثينا Pallas Athena

انظر أثينا.

بروماخوس Promachus

لقب لأثينا كمحاربة للأثينيين في ماراثون.

بروميثيوس Prometheus

ابن التيتان أيابيتوس والربة ثيميس، وشقيق أبيميثيوس وأطلس ومينويتيوس، ووالد ديوكاليون. يميزه الاسم بروميثيوس كرجل ذي بصيرة؛ على حين أن الاسم أبيميثيوس يشير إلى رجل قصير البصر. كان يُعتبر بروميثيوس أعظم محسن عرَفه البشر، وبطل الأموات ضد دكتاتورية زوس. أتى إليهم بهدية النار، فمهَّد بذلك الطريق لتقدم مدنيتهم وعلومهم وفنونهم، كان يُنظر إليه أيضًا كخالق للإنسان؛ صنعه من الطين في هيئة الآلهة، ومنحه بعض صفات الحيوان.

بندار Pindar

أعظم الشعراء الغنائيين عند الأغارقة. وصلنا من أغانيه ٤٤ أغنية، وهي الأغاني الأوليمبية والبوثية والنيمية، وكل منها تُنسب إلى المكان الذي كانت تقام فيه الألعاب، وكانت تُغنى لاستقبال الفائز عند عودته منتصرًا من السباق. عاش من ٥٨١ حتى ٤٣٨ق.م.

بوتيس Butes

بطل صقلي، تجعله القصة بوتيس الأثيني، أما بوتيس بحارة الأرجو فأغراه صوت غناء السيرينيات، فقفز إلى البحر، غير أن أفروديتي أنقذته وأحضرته إلى ليلوبايوم Lilybaeum بصقلية، فأنجب منها إيروكس Eryx.

بورياس Boreas

هو الريح الشمالية، في علم الأساطير الإغريقية، ابن أسترايا وأيوس، وشقيق زيفوروس Zephyrus ويوروس Eurus ونوتوس Notus، وكان يسكن في سالموديسوس Salmydessus التراقية الواقعة على البحر الأسود؛ حيث حمل إليها أوريثويا Orithyia من مباريات الألعاب اليسوسية عندما رفض والدها أريختيوس ملك أثينا أن يزوجه إياها، فأنجبا كاليس وزيتيس المسمى بوريادوي Boreadoe، وكليوباترا زوجة فينيوس، وخيوني Chione معشوقة بوسايدون. كانت هذه العلاقة هي التي أشار إليها الوحي إلى الأثينيين عندما اقترب من سواحلهم أسطول إكسيركسيس «بأنه يجب عليهم الالتجاء إلى زوج شقيقتهم.» فاستجاب بورياس إلى صلاتهم وذبيحتهم بأن حطم جزءًا من أسطول العدو على جبل سيبياس Sepias الذي بوسط البحر؛ حيث بنوا له محرابًا على شواطئ الأليسوس.

بوسايدون Poseidon

هو نبتونوس عند الرومان، ابن كرونوس وريا، ورب البحر. له سلطان على العواصف والرياح، ويرسل الخراب أو يهب السلامة للملاحين، ويشرف على جميع العمليات البحرية كالصيد والتجارة البحرية. كان له قصر ذهبي بجوار أيجاي في إيوبيا Euboea في أعماق البحر وعلى سطح المياه؛ حيث كان يسود الهدوء عند قدومه، وكان يركب عربة عسجدية تجرُّها جياد سريعة العَدْو، ذاتُ حوافر برُنزية وعروق ذهبية، تصحبها سائر مخلوقات البحر. وكان سلاحه الشوكة ذات الشُّعَب الثلاث، يخبط بها الأرض فتتزلزل أركانها، والصخورَ فتنشق رواسيها، وكان يُعتبر على سطح الأرض إله المياه العذبة والبحيرات والأنهار والينابيع، ولما كانت المياه ضرورية للحياة، فقد كان يُنظر إليه كرب نمو الخضراوات والقطعان، كما كان يُعتبر رب الجواد الذي خلقه من إحدى الصخور بضربة من شوكته الثلاثية الشُّعَب، ويرجع إليه الفضل في تعليمه الإنسان كيف يسوق الخيل بالأعنَّة، كما أنه حامي الجياد في السباق، وكانت تُقام الألعاب الأتروسكية تكريمًا له، ومنه تنحدر العائلات والمدن والأجناس، فهو شخصية عظيمة المنزلة، ولكنه كان مع ذلك دائم التقلب كالبحر.

بولوديوكيس Polydeuces

هو بولوكس عند الرومان. شقيق كاستور، ويُسميان أحيانًا بالاسم ديوسكوري، كانا يُعبدان كآلهة وأبطال.

بولوفيموس Polyphemus

ابن بوسايدون والحورية ثووسا وأحد الكوكلوبيس والعمالقة ذوي العين الواحدة الذين يقطنون الكهوف المجاورة للبحر، ويقتاتون على تربية الأغنام والماعز. وقد كان بولوفيموس أكثر قوةً، ويُحسن استعمال هراوة بطول الصاري، ويستطيع إلقاء قمم الجبال في البحر.

بونتوس Pontus

مقاطعة في الشمال الشرقي من آسيا الصغرى تحاذي البحر الأسود.

البيبروكيون Bebrycians

شعب خرافي عاش في بيثونيا، وينحدر من أصل تراقي.

بيثونيا Bithynia

مقاطعة بآسيا الصغرى تحُدها غربًا موسيا، وشمالًا بونتوس يوكسينوس Pontus Euxinus، وشرقًا بافلاجونيا، وجنوبًا فروجيا إبيكتيتوس Phrygia Epictetus. كانت في العصور القديمة تحت سيطرة القبائل التراقية التي وفدت عليها من البلاد المجاورة، ثم خضعت فيما بعد لسيطرة اللوديين.

بيرسي Perse

ابنة أوقيانوس، ووالدة أييتيس وكيركي وباسيفاي وبيرسيس من هيليوس؛ إله الشمس.

بيرسيفوني Persephone

وتسمى أيضًا كورا، ويسميها الرومان بروسيربينا، وهي ابنة زوس وديميتير، وزوجة هاديس أو بلوتو، وتُعتبر ربة الموت لأنها ملكة العالم السفلي، وربة الإخصاب والخضراوات لأنها ابنة ديميتير، كان يُجمع بينها وبين ديميتير عند العبادة؛ لأنهما كانا أبرز الشخصيات في الأسرار الأليوسينية، وكثيرًا ما كان يُخلط بينها وبين هيكاتي كربة الظلام وأرواح الموتى.

ولما كانت بيرسيفوني بنة ديميتير، فقد كانت تُصور كعذراء جميلة صغيرة، من مستلزماتها الإخصاب، ولما كانت زوجة بلوتو فإنها تُصور كملكة عابسة شديدة العزم، من مستلزماتها الرماية.

بيريثوس Pirithous

ابن ديا من إكسيون أو زوس، وملك اللابيثاي، وزوج هيبوداميا. لما تقابل هو وثيسيوس في القتال أُعجب كل منهما بالآخر إعجابًا شديدًا؛ حتى إنهما طرحا ما كان بينهما من عداء جانبًا، وأقسما يمين الصداقة الأبدية.

بيريكلومينوس Periclymenus

ابن بوسايدون وخلوريس، وأحد المدافعين عن طيبة ضد القواد السبعة، قتل بارئينوبايوس، وكاد يقتل أمفياراوس لو لم يشقَّ زوس الأرض لاستقباله.

البيلوبونيز Peloponnesos

الجزء الجنوبي من بلاد اليونان أو بالأصح شبه الجزيرة التي كان يربطها بهيلاس Hellas مباشرة خليج كورنثة، يقال إنها اشتقت اسمها من بيلوبس Pelops الأسطوري.

بيلياس Pelias

ابن بوسايدون وتورو، وشقيقٌ توءمٌ لنيليوس، كانت تورو قد تخلصت من هذين التوءمين فعثر عليهما أحد الرعاة وقام بتربيتهما.

استعاد بيلياس حكم أيولكوس وتزوج أناكسيبيا فأنجبت له أكاستوس وألكيسنيس، وبينما هو يحتل العرش أخبره الوحي أن يَحْذَر رجلًا بنعل واحد، فلما جاءه جاسون بعد عشرين عامًا لابسًا جلد نمر ونعلًا واحدًا، تذكر بيلياس النبوءة وأعد العُدَّة للخلاص منه.

بيليوس Peleus

ابن أياكوس، وشقيق تيلامون، ووالد أخيل من ثيتيس، وقد قتل بيليوس وتيلامون صهرهما فوكوس فطُردا من أيجينا، فذهب بيليوس مع المورميدون إلى فثيا في تساليا؛ حيث طهَّرهم يوروتيون.

كتبت الآلهة لبيليوس أن يتزوج ربة البحر ثيتيس، فاستشار خيرون كيف يمكنه أن يفوز بها، فأخبره أنه يجب عليه أن يقبض على الربة وهي تغط في النوم، ويمسكها جيدًا دون أن يهتم بتحولها إلى نار أو ماء أو ثعبان أو سمكة حتى تعِدَه أن تتزوجه، ففعل كذلك واحتفل بالزواج في كهف خيرون فوق جبل بيليون، وقد دُعي إلى هذا الحفل جميع الآلهة يحملون الهدايا ما عدا إيريس، فاغتاظت لإهمالهم إياها، وألقت بين المدعوين تفاحة الشقاق بعد أن كتبت عليها «إلى أكثر الحاضرين جمالًا»، فتسببت في حكم باريس وقيام الحرب الطروادية.

بيليون Pelion

سلسلة جبال في تساليا بها كهف القنطور خيرون، ولقد كوَّم العمالقة بيليون فوق أوسا أثناء محاولتهم الوصول إلى أوليمبوس.

بينيلوبي Penelope

ابنة إيكاريوس، وزوجة أوديسيوس، ووالدة تيليماخوس. تقدم إليها الكثيرون وهي عذراء يطلبون يدها، ولكن والدها إيكاريوس رفض أن يزوجها إلا من يفوز في سباق على الأقدام، ففاز أوديسيوس، إلا أن إيكاريوس أراد أن يحنث في وعده، فاقترح أوديسيوس أن يترك الأمر لبينيلوبي تفصِل فيه، فأبدت رغبتها في أن تذهب معه بعد أن أخفت حمرة الخجل تحت النَّصيف، وعندما سافر أوديسيوس إلى الحرب الطروادية كانت بينيلوبي لا تزال فتاة في ريعان الصبا كما كان تيليماخوس طفلًا، فانتظرته عشرين عامًا استغرقت الحربُ منها عشر سنين، وكان يتجول في السنين العشر الأخرى.

تارتاروس Tartaros

هُوَّة سحيقة جدًّا تبعُد عن هاديس بقدر ما تبعد الأرض عن السماء. إذا سقط شيء فإنه يستغرق تسعة أيام لكي يصل من الأرض إلى تارتاروس، كانت مكانًا حالِكَ الظلمة يحيط به حائط برُنزي، ولو أن البعض يقول إنه محاط بثلاثة حوائط، وكذا بمجرى فليجيثون المحدِق ببوابات من الحديد وعتبات من البرونز.

تالوس Talos

ابن كيريس، وجد رادامانثوس، أو خُلق بيد هيفايستوس لأجل مينوس. كان عملاقًا ضخمًا حيًّا من البرونز، يشبه أخيل؛ لا يستطيع أحد أن يجرحه، وكان يصوَّر أحيانًا بأجنحة لِمَا امتاز به من سرعة فائقة، ولَّما كان يقوم بخدمة مينوس، فكان عليه أن يحمي كريت، وبهذا كان عليه أن يقوم بالدوران حول الجزيرة ثلاث مرات كل يوم، وكان يُعتبر أحيانًا حامي القوانين التي كان يحملها معه فوق ألواح برونزية، وكان يرافقه كلب، وكانت الأحجار أسلحته، كان يحرق أعداءه الذين يمسك بهم أو يشوي جثثهم على النار، ويحتضن أعداءه احتضانًا مميتًا.

تريتون Triton

ابن بوسايدون وأمفيتريتي، إله بحر قليل الشأن، وأقل مرتبة من زوس وبريتوس، صوِّر في هيئة رجل حتى الحَرْقَفتين، ولكن كان له ذيل سمكة مفرد أو مزدوج بدلًا من الساقين، أما شعره فكان مائجًا، وعضلات ظهره وكتفيه يمسك بعضها ببعض، وتارة يحمل خُطَّافًا ذا ثلاث شُعَب، يرفع الصخور من البحر ويخلق منها الجزر، وكانت لديه موهبة التنجيم مثل آلهة البحار الأخرى، يناديه البشر باسمه عندما يُقسمون.

توديوس Tydeus

ابن أوينيوس، ملك كالودون وبيريبويا. عندما بلغ سن الرشد قتل أخاه أولينياس، فاضطر أن يهجر وطنه، ووُفِّق إلى مأوًى جديد مع ملك أرجوس أدراستوس؛ الذي زوجه ابنته دايبولي فأنجبت له ابنًا ذا شهرة يُسمى ديوميديس، رافق توديوس أدراستوس في حملة السبعة ضد طيبة، وأثناء الحصار أسَر إسميني عندما قابلت حبيبها بيريكلومينوس بالقرب من نافورة خارج المدينة وقتلها.

تورو Tyro

ابنة سالمونيوس، ملك أليس وألكيديكي، اشتهرت بمهارتها، أساءت معاملتها زوجةُ أبيها سيديرو فلجأت إلى بيت خالها كريثيوس تطلب حمايته، وقعت في غرام أنيبيوس فتشكَّل بوسايدون في صورة أنيبيوس وخدعها، وأنجبت منه توءمين بيلياس ونيليوس، اضطر

تورو أن يتخلص منهما ولكنهما أُنقذا، ولما كبِرا انتقما لأمهما بأن قتلا سيديرو. تزوجت تورو فيما بعدُ كريثيوس وأنجبت له ثلاثة بنين؛ أيسون وأماثاوون وفيريس.

تيفوس Tiphys

ابن هاجنياس. انضم إلى حملة بحارة سفينة الأرجو، واحتل مركز القيادة، فقاد الأرجو في سلام وسط أخطار بحرية عدة، ومرض ومات عند بلاط الملك لوكوس في ماريياندونوم في بيثونيا.

تيلامون Telamon

ابن أياكوس وإندايس، وشقيق بيليوس وفوكوس، والد تيوكير وأجاكس، وملك جزيرة سلاميس. اشترك مع بيليوس وهو شاب وقتل أخاه فوكوس، وربما كان هذا عن غير قصد، فنفاهما أبوهما أياكوس من وطنهما إلى أيجينا، فشق تيلامون طريقه إلى سلاميس؛ حيث تزوج الأميرة جلاوكي، ولما مات والد الملك كوخريوس دون أن يترك بنين، اعتلى تيلامون العرش. تزوج بيريبويا ابنة ملك ميجاديس بعد موت جلاوكي، فأنجبت له أجاكس.

ثواس Thoas

ابن ديونيسوس وأريادني، ملك جزيرة ليمنوس. عندما وضعت النساء الليمنيات الخطط لقتل جميع الرجال فوق الجزيرة، هرب ثواس وحده شفقةً على ابنته هوبسيبولي؛ التي خبأت أباها المسنَّ مؤقتًا في محراب ديونيسوس، ثم قادته فيما بعد متدثرًا كتمثال إله إلى الشاطئ؛ حيث وضعته فوق مركب حمله بعيدًا في أمان.

ثيسيوس Theseus

ابن أيجيوس ملك أثينا وأيثرا في ترويزن. قال البعض إنه ابن الإله بوسايدون، ترك أبوه ترويزن وذهب إلى أثينا قبل أن يولد ثيسيوس، وعند رحيله وضع سيفه ونعليه تحت صخرة، وقال لأمه أيثرا إنه متى استطاع الفتى أن يرفع الصخرة، فله أن يأخذ السيف والصندل ويُبحر إلى أثينا؛ كي يبحث عن والده. فنشأ ثيسيوس تحت رعاية أمه ووالدها

بيتيثوس ملك ترويزن العاقل. علَّمه خيرون الصيد، كما تدرب على مختلِف التمارين الرياضية والبدنية؛ حتى ظُن فيما بعد أنه مبتكر رياضة المصارعة.

انضم ثيسيوس إلى حملة الأرجوناوتيس، وأدى دورًا في الصيد الكالودوني.

جاسون Jason

ابن أيسون ملك أيولكوس في تساليا. طُرد أبوه بوساطة صنوه بيلياس، وتُرك جاسون في رعاية القنطور خيرون، ولما كبِر وترعرع رحل إلى إيولكوس يطلب استرجاع مملكة أبيه، وساعد في طريقه امرأة عجوزًا اتضح فيما بعدُ أنها هيرا، وأراد أن يعبُر مجرًى صعبًا، وفي أثناء كفاحه مع التيار فقدَ أحد نعليه، فلما وصل إلى إيولكوس ظهر في حضرة بيلياس وعرض مطلبه، فلما لاحظ بيلياس أن القادم لا يرتدي في قدميه إلا نعلًا واحدًا، تذكر تحذير الكاهن له من رجل يلبَس نعلًا واحدًا، وقبِل أن يجيبه إلى طلبه لو أحضر له الجِزَّة الذهبية من مملكة أييتيس في كولخيس. ولما كان جاسون محبًّا للمغامرات، فإنه قبِل الشرط وأعد العُدة للقيام بحملة بحارة سفينة الأرجو، التي اشترك فيها كثير من أشهر أبطال الإغريق تحت إمرته، فأبحروا تحت رعاية هيرا وبمساعدة أثينا في سفينة الأرجو إلى رحلة مِلؤها الأخطار والمغامرات.

جلاوكوس Glaucus

حاكم اللوكيين الذين حاربوا من أجل بريامو‌س في الحرب الطروادية. لما تقابل جلاوكوس مع ديوميديس في معركة حربية، تذكَّر الأخير روابط الضيافة التي تربطهما معًا، فاقترح أن يتبادلا عُدَّتهما الحربية بدلًا من القتال؛ حفظًا على صداقتهما، فوافق جلاوكوس على ذلك، وأخذ في مقابل عدته الذهبية عدة أخرى برونزية، فصار يُضرب المثل بهذا الاستبدال عن دهاء أحد المتساومين وغباء الآخر المفرط. ولقد اشترك جلاوكوس في القتال على جثة باتروكلوس فقتله أجاكس التيلاموني.

جلاوكي Glauce

ابنة كريون، ملك كورنثة. عندما هجر جاسون ميديا ليتزوج جلاوكي التي كانت تُسمى كريوسا أحيانًا، أرسلت ميديا إلى جلاوكي ثوبًا كهدية عرس، فعندما ارتدته جلاوكي ألحق بجسمها حروقًا أودت بحياتها.

حرب طروادة Trojan War

اندلعت نيران هذه الحرب في طروادة، وقد أشعلها الإغريق بقيادة أجاممنون وشقيقه مينيلاوس، وكان الدافع لهما استعادة هيلينا زوجة مينيلاوس، التي أغراها الأمير الطروادي باريس بن برياموس الملك على مغادرة وطنه، وقد استمرت هذه الحرب الضَّروس عشر سنين كاملة، فأودت بحياة ما لا يُحصى من الأبطال العظام، قبل أن تسقط في العام العاشر، وقد ذكر هوميروس، أشهرُ شعراء الحماسية الأقدمين، هذه الحربَ في إلياذته؛ كما ذكرها كثير من شعراء الرومان والإغريق الأقدمين.

خاروبديس Charybdes

ابنة بوسايدون وجيا. وقد عاشت أسفل الصخرة الضخمة التي تحمل اسمها في الجانب الصقلي للمَضايق بين صقلية وإيطاليا، في الجهة المضادة لسكولا. ألقى بها زوس في البحر تحت الصخرة بصاعقة من صواعقه؛ لأنها سرقت بعض ماشية هرقل، وكانت تتبع سياسة الجشع في هذا المكان؛ حتى إنها كانت تبتلع فيضانًا هائلًا من الماء ثلاث مرات يوميًّا ثم تُفرغه ثانية؛ وبذلك سببت الدوامات الخطرة على الملاحين، وابتلعت سفينة أوديسيوس بعد تحطيمها، غير أن البطل أمسك بشجرة التين التي كانت فوقه، وظل معلقًا بها إلى أن ظهرت المركب من جديد عندما لِفظتها فركبها بسلام.

خالكيوبي Chalciope

ابنة أييتيس، وأخت ميديا، وزوجة فريكسوس.

خيرون Chiron

ابن كرونوس وفيلوريا، ووالد كاروستوس وإندايس من خاريكلو، كان قنطاورًا يشتهر بحكمته وعدالته ومهارته في كثير من الفنون التي علَّمه إياها أبولو وأرتيميس، وله أصدقاء كثيرون من بين البشر، وقد كان معلمَ كثيرٍ من الأبطال العظماء في القصة الإغريقية، وكان صديق بيليوس بالذات، وأنقذه من القنطوري؛ كما ساعده على كسب يد خطيبته ثيتيس.

الدريوبيس Dryopes

شعب بيلاسجي كان يعيش في بادئ الأمر في تساليا.

دودونا Dodona

كاهن زوس وديوني في إبيروس، وهو من أقدم كهنة بلاد الإغريق، كان يعطي إجاباته بوساطة حفيف أشجار البلوط والزان الصادر عن هبوب الريح، وكانت تُعلق أوانٍ نُحاسية فوق الأشجار حتى يصبح الصوت قويًّا عندما تصطدم الواحدة بالأخرى.

ديميتير Demeter

في الميثولوجيا الإغريقية، ابنة كرونوس وريا. ويدل اسمها على أنها الأم الأرض؛ أي: ربة الزراعة والحضارة التي تعتمد عليها. وأولادها من ياسيون: بلوتوس رب الثراء، ومن شقيقها زوس ابنة تُدعى بيرسيفوني. وتدور عبادتها حول ديميتير وهذه الابنة والأساطير الخاصة بها، فقد خطف هاديس بيرسيفوني، وظلت ديميتير تبحث عنها مدة تسعة أيام في جميع أنحاء الأرض، حتى علمت الحقيقة في اليوم العاشر من الشمس التي ترى كل شيء ... فغضبت من زوس لسماحه بأعمال العنف هذه، فزارت أوليمبوس وجالت بين البشر في صورة سيدة عجوز باسم ديو Deo أو الباحثة، حتى استقبلها أخيرًا في اليوسيس بأتيكا الملكُ كبليوس، وسَرَّه أن تُعنى بابنه الحديث الولادة ديموفون، وإذ فاجأتها أم الطفل وهي تحاول أن تجعله خالدًا بوضعه في النار، أظهرت شخصيتها وأمرت بأن يُبنى لها معبد تستسلم فيه لأحزانها، وفي حموة غضبها أجدبت الأرض حتى هددت البشر بالهلاك جوعًا؛ إذ لم تسمح لثمار الأرض أن تنمو إلا بعد أن سمح لابنتها بأن تقضي معها ثلثي السنة، وعند عودتها إلى أوليمبوس تركت هدية القمح، وهدية الزراعة، وهدية أسرارها المقدسة لمضيفها؛ تذكارًا لمعروفه. وعلى هذا عُبدت ديميتير كربة الزراعة ومؤسسة القانون والنظام، ولا سيما الزواج، في جميع البقاع التي يسكنها الإغريق، وغالبًا ما كانت ابنتها تُعبد معها.

ديونيسوس Dionysus

رب الخِصْب العظيم وخصوصًا في الكروم، ولذا كان إله الخمر. وموطنه الأصلي، تبعًا للأساطير العادية، طيبة؛ حيث أنجبته سيميلي من زوس الذي أهلكها ببرقه، ووُلد الطفل بعد أن حملت به مدة ستة شهور فحسب، ولذلك وضعه زوس في فخذه، وخاط الفخذ

حتى اكتمل نمو الطفل، فأعطاه لإينو بنة سيميلي، وبعد موتها حمل هيرميس الطفل إلى حوريات جبل نوسا، أو كما تقول رواية أخرى؛ إلى هياديس دودونا اللواتي ربَّيْنه وأخفينه في كهف؛ خوفًا من غضب هيرا.

وعندما كبِر ديونيسوس أخذ يزرع الكروم ويجول خلال العالم الفسيح؛ لينشر عبادته بين الناس مع موكبه من السُّكارى، ومع كاهناته وحورياته والساتور والسيليني وغير هؤلاء من آلهة الغابات.

انتقلت عبادة ديونيسوس من بلاد الإغريق إلى الجزر التي تزرع الكروم، وازدهرت في ناكسوس؛ حيث يقال إنه تزوج باريادني. ثم انتقلت عبادة ديونيسوس إلى مصر وسورية والهند حتى نهر الجانج، كما انتقل إليها جيشه من السيليني والساتور والنساء الملهمات والمينياديس أو الباكهانت، يحملون عِصيَّهم ويلبَسون أكاليل من أغصان الكروم واللبلاب. وإذ أعلم الدنيا كلها بألوهيته، وإن ساعد الآلهة وهو في صورة أسد، ومعه هرقل، في حربها مع العمالقة، أخذوه إلى أوليمبوس حيث اختفى؛ كما يقول هوميروس.

زوس Zeus

ابن كرونوس وريا، ويُسمى عند الرومان جوبيتر، وهو شقيق بوسايدون وهاديس وهيستيا وهيرا، وقد تزوج أخته هيرا. وهو رب الأرباب والبشر، وعندما اقتسم زوس وإخوته العالم فيما بينهم بالقرعة، كان حكم السماء والمناطق العليا من نصيبه، أما بوسايدون فقد حصل على حكم البحر، وهاديس المناطق السفلى، وبقيت الأرض مُشاعةً للجميع، ويقول هوميروس: إن زوس كان يسكن جبل أوليمبوس في تساليا؛ حيث تتصل قمته المرتفعة بالسماء، وهو مصدر الخير والشر، عنه تنفُذ الأقدار، وكانت له علاقات غرامية بجميلات النساء من البشر، مما كان يثير حقد زوجته وغيرتها.

وقد صوِّر زوس في هيئة ذات رهبة وجلال، له خصلات مناسبة ولحية كثَّة، وكانت هيبي من خدمِه وكذلك جانوميديس، وكانا حاملي الكئوس، وهيرميس رسوله الأمين، ينقل أحكامه وأوامره في لمح البصر إلى أقاصي الأرض، وكان النَّسر من الأشياء الملتصقة به، وهو طائر زوس الذي يصوَّر دائمًا ممسكًا بالصاعقة. أما النصر فشيء يستطيع أن يهبه أو يضِنَّ به، ويصوَّر مستندًا في يده اليمنى، ويحمل الصولجان في يده اليسرى، وهو رمز السلطان. وكان يضع على رأسه تاجًا من الزيتون وأحيانًا من البلُّوط؛ إذ كان الأخير

مقدسًا عنده. وكان الترس درعه التي تزينه رأس الجورجون الذي كان له صلة بأثينا في العادة.

زيتيس Zetes

ابن بورياس وأوريثويا، وشقيق كاليس. وقد اشترك الإخوة المسمَّون البورياداي، وهم أبناء بورياس، في حملة الأرجوناوتاي، وأنقذوا في أثنائها فينيوس من الهاربييس، وتدل إحدى الروايات على أنهم أنقذوا شقيقتهم كليوباترا من زوجها الملك فينيوس، وأعطوا المملكة أولادها.

سالموديسوس Salmydessus

بلدة في تراقيا على ساحل البحر الأسود.

ساموتراقية Samothrace

جزيرة صغيرة في شمالي البحر الإيجي والمركز الرئيسي لعبادة الكابريين Cabiri.

ستوكس Styx

نهر رئيسي في هاديس كربة هي ابنة أوقيانوس وتيثوس. وكان هذا الاسم مقدسًا عند الآلهة أنفسهم؛ حتى إنهم كانوا يستخدمونه عند حلف اليمين، وكان على إريس عندما يقسم الآلهة أن تحضر ماء المجرى، كما كان على الإله الذي يقسم اليمين أن يسكب الماء، فإن حنِث في يمينه سقط وظل دون حركة كالموتى لمدة عام.

ستومفاليديس Stymphalides

طيور ضخمة نَهِمة أغارت على حي بحيرة ستومفالوس في أركاديا، وهاجمت كل ما صادفها وابتلعته؛ حتى الإنسان، وكان على هرقل في أحد أعماله أن يبيد هذه الطيور، فطهَّر المكان منها، ولو أن إحدى الروايات تقول إنه لم ينجح في إبادتها بل نجح في إقصائها فقط؛ لأن ريشها النُّحاسي كان يصدُّ سهامه.

سثينيلوس Sthenelus

ابن أكتور، وزميل هرقل ضد الأمازونيات اللواتي أصبنه بجرح تُوفي على إثره عقب عودته إلى بافلاجونيا، وعندما مر بحارة سفينة الأرجو من ذلك الطريق، سمح له مؤقتًا أن يعود من عالم الأموات ليرى أولئك الأبطال.

سكولا Scylla

ابنة فوركوس وكيتو، وقد كانت في الأصل حورية جميلة هامَ بحبها إله البحر جلاوكوس، فلما أخفق في اكتساب قلبها، استشار كيركي كي تخبره عن طريقة ينال بها عطفها وحبها، ولكن كيركي نفسها هامت بحب جلاوكوس، ولشدة مقتها لمنافستها سكولا لم تقدم إليها شراب الحب، بل خلطت بعض الأعشاب القوية التأثير بالمياه التي كانت تستحم فيها سكولا، فانقلبت إلى وحش ضارٍ.

السيرينيات Sirens

بنات فوركوس أو أخيلوس، وربما كُنَّ بنات ربات الفن (الموساي) تيربسيخوري أو كاليوبي أو ميلبوميني. وكان يُظن أن لهاتيك الأخوات الخرافيات — وكُنَّ اثنتين أو ثلاثًا — مركزًا فوق حاجز خطير وسط البحر؛ حيث كُنَّ يجذبن البشر من المسافرين بأناشيدهن اللطيفة المدهشة الحلوة إذا ما وصلت أنغامها إلى آذانهم، وبذلك يَسُقْنهم إلى الموت، وكان أوديسيوس قد سمع عن قوتهن، فلما عاد من طروادة وهو في طريقه إلى وطنه، أراد أن يستمع إليهن دون أن يصيبه أذًى، فسدَّ آذان رجاله بالشمع؛ على حين أمرهم أن يربطوه إلى الصاري في السفينة، ثم أبحرت السفينة عبر السيرينيات، واستمع أوديسيوس إلى أناشيدهن فاستكان لها كسائر البشر دون أن يتأثر؛ إذ ظل رجاله يجدِّفون دون أن يعيروا التفاتًا إلى أوامره بأن يخلصوه من قيوده. وكان لإخفاق السيرينيات في إغواء أوديسيوس أن انتحرن فتحولن إلى صخور، وهناك قصة تقول إنه في أثناء حملة بحارة الأرجو أنقذ أورفيوس زملاءه منهن بموسيقاه الرائعة؛ ولذلك قتلت السيرينيات أنفسهن حسدًا، وكُنَّ يصوَّرْن في هيئة طيور لها رءوس وأذرع وصدور النساء، كذلك كُنَّ يصوَّرْن في هيئة نساء ذوات أجنحة وسيقان طيور. وكان يُظن أن هذا الهيكل ليس إلا عقابًا أنزلته ديميتير لفشلهن في حراسة بيرسيفوني، أو ألحقته بهن أفروديتي لاحتقارهن ملذات الحب.

سيريوس Sirius

نجم الكلب.

سيليني Selene

ربة أولية للقمر عند الإغريق. وقد شُبهت بأرتيميس؛ وهي ديانا عند الرومان.

طروادة Troy

مدينة في آسيا الصغرى، وقد شهدت حربًا ضَروسًا بين سكانها وبين الإغريق، دامت عشر سنوات لاسترداد هيلينا اليونانية التي اختطفها باريس الطروادي.

طيبة Thebes

عاصمة بيوشيا في وسط بلاد الإغريق. كانت مسرحًا لكثير من الأساطير؛ كأسطورة كادموس وديركي وأمفيوني وبنثيوس وأوديبوس والسبعة ضد طيبة والأبيجوني. اشتهر أهلها بعدائهم للأثينيين حتى جاء ديموستينيس وطلب منهم الانضمام إلى أثينا في كفاحها ضد فيليب، ولكنهم باءوا بالفشل، وعاقبهم الإسكندر الأكبر وهدم المدينة عام ٣٣٦ق.م. ما عدا معابدها القديمة ومنزل الشاعر بندار.

العالم السفلي Hades

ابن كرونوس وريا، وشقيق زوس وبوسايدون وهيرا. عندما تُرك لزوس مقاليد حكم السماء والأرض، ولبوسايدون حكم المياه بأسرها، كان العالم السفلي من نصيب هاديس؛ لذلك كان يُنظر إليه كإله يحكم عالم الأموات، مجردًا من الشفقة نحو سائر المخلوقات، هو عنوان الخوف والبغضاء عند البشر، وإذ كان حاكم العالم السفلي، كان يجلس على العرش بجوار زوجته بيرسيفوني في قصره المنيف المخيف؛ حيث يراقب الحالفين، ويعاقب الحانثين بوعودهم، ويحكم مملكة الأموات الهائلة. ولما كان يقيم تحت الأرض، كانت تُعتبر هاديس مانحة جميع الخيرات التي تُستخرج من الأرض كالمعادن والفحم وغيرها.

فاسيس Phasis

نهر في كولخيس يصب في الجانب الشرقي من البحر الأسود. اشتهر اسمه إبَّان حملة بحارة سفينة الأرجو.

فاليريوس فلاكوس Valerius Flaccus

أحد مواطني بادوا في عصر فيسباسيان.Vespasian كتب ملحمة الأرجوناوتيكا في ثمانية كتب، وكلها عن أبطال سفينة الأرجو.

فايثون Phaethon

ابن هيليوس والحورية كلوميني، وقد شبَّ فايثون على أنه ابن كلوميني من زوجها ميروبس ملك إثيوبيا، ولكنه لما علم من أمه أن هيليوس هو أبوه الحقيقي، هزَأ منه القومُ لادعائه مثلَ هذا الأصل الإلهي، فذهب إلى قصر الشمس عاملًا بنصيحة كلوميني، وطلب السماح بقيادة عربة الشمس ليوم واحد كبرهان على ميلاده، فأجاب هيليوس طلبه على مضض، وبعد كثير من التحذيرات والتعليمات أرسله في رحلته الخطرة، وتؤيد بعض الأساطير القديمة القول بأنه اعتلى العربة وشق طريقه دون علم هيليوس، ولكن بمساعدة أخواته الهيلياديس، وقد سارت الأمور على أحسن ما يُرام في مبدأ الأمر، ثم سَرعان ما فقد ذلك القائد القليلُ المرانِ توازنه وسيطرتَه على خيول الشمس النارية، وحاد عن الطريق المرسوم، وقاد العربة بالقرب من الأرض فاشتعلت الأرض، وفي الحال أصابه زوس بصاعقة من صواعقه وألقى بجثته في نهر إريدانوس، Eridanus فحزنت عليه أخواته حزنًا شديدًا، وأخذن يبكين بشدة حتى تحولن إلى أشجار زان، كما تحولت دموعهن إلى كهرمان.

فروجيا Phrygia

إحدى بلاد آسيا الصغرى.

فريكسوس Phrixus

ابن أثاماس ونيفيلي. بعد أن طلق أثاماس نيفيلي وتزوج إينو، دبرت إينو خطة لقتل أطفال نيفيلي، فاستطاعت بالخداع أن تحُثَّ أثاماس فوافق على أن يقدم ابنه فريكسوس ذبيحة، وبينما كان فريكسوس في طريقه إلى المذبح، خطفته نيفيلي ووضعته مع شقيقته

هيللي فوق كبش له جِزَّة ذهبية، كان هيرميس قد أعطاه إياها، فطار الكبش بهما فوق الأرض والبحر، فسقطت هيللي وغرِقت وسط البحر الذي يحمل اسمها، أما فريكسوس فحُمل إلى كولخيس؛ حيث قدم الكبش ذبيحةً إلى زوس، وقدم جِزَّته إلى الملك أييتيس الذي علَّقها فوق شجرة بلُّوط في مغارة آريس، وأقام أفعوانًا لحراستها. وقد تزوج فريكسوس خالكيوبي بنة أييتيس، وأنجب منها عدة بنين، يُدعى أحدهم أرجوس مُشَيِّد سفينة الأرجو، التي أبحر عليها جاسون ليحصل على الجِزَّة الذهبية.

فيبوس أبولو Phoebus Apollo

انظر أبولو.

فيريس Pheres

ابن كريثيوس وتورو، وشقيق أيسون وأموثاوون. تزوج بيريكلوميني فأنجبت له أدميتوس ولوكورجوس، ولقد كان مؤسس فيراي.

فينيوس Phineus

ابن أجينور وملك سالموديسوس في تراقيا. تزوج أولًا كليوباترا بنة بورياس وأنجب منها ولدين، ثم تزوج إيدايا بنة دردانوس؛ إما بعد موتها وإما بتكليفها، فاتهمت زورًا ابنتَي كليوباترا، وبذلك حضَّت فينيوس على أن يجردهما من بصرهما، وعلى ذلك خيَّر زوس فينيوس بين الموت أو العمى، فاختار ألا ينظر إلى الشمس أبدًا، فجلب على نفسه حقد وغضب هيليوس؛ فعذبه بأن أرسل الهاربييس يُلوِّثْن طعامه، ولما وصل بحارة سفينة الأرجو إلى تراقيا تلقَّوا تعليمات من فينيوس، وكانت لديه قوى تنجيمية ليسترشدوا بها خلال السومبليجاديس، وفي مقابل ذلك طرد كاليس وزيتيس، إخوة كليوباترا، الهاربييس بعيدًا.

كادموس Cadmus

ابن أجينور ملك فينيقيا وتيليفاسا Telephassa. ولما خطف زوس شقيقته يوروبا، أرسل كادموس وشقيقاه فوينكس وكيليكس للبحث عنها، وأُمروا بألا يعودوا بدونها،

فذهب في تجوالاته إلى تراقيا حيث لِفظت أمه، التي صحبته في أسفاره، آخرَ أنفاسها. فتقدم كادموس لاستشارة وحي دلفي، فنصحه بألا يبحث عن أخته بعد ذلك، وأن يتبع بقرة سيلتقي بها، ويؤسس مدينة فوق الموضع الذي ترقد فيه البقرة، فالتقى بالبقرة في فوكيس، فقادته إلى بيوشيا، وكان ينوي أن يقدم بقرةً كذبيحة، فأرسل رفقاءه إلى ينبوع قريب ليحضروا الماء اللازم، فقتلتهم جميعًا الأفعى تيلفوسا التي من نسل آريس والأيرينيات، والتي كانت تحرس ذلك الينبوع. وبعد قتال عنيف قضى كادموس على ذلك التنين، وبذَر أسنانه، بأمر أثينا، في الأرض المجاورة، فخرج من الأرض في الحال جيش من الرجال المسلحين وأخذوا يتقاتلون حتى أباد بعضهم بعضًا ما عدا خمسة رجال، أُطلق عليهم اسم المزروعون، Spartoi، ساعدوا كادموس في بناء مدينة كادميا أو حصن ما صارت بعد ذلك مدينة طيبة، الذي سُمي باسمه.

كان أهل ساموتراقيا يعبدون هيرميس بصفته الرب جد السكان هناك، باسم كادموس أو كادميلوس؛ ولذلك كان من الطبيعي أن نقول إن كادموس الطيبي كان في الأصل الإله جد الطيبيين، المُناظر للإله الساموتراقي، وكان يُعتبر مبتكر الزراعة، وصناعة البرونز، والمدنية بوجه عام.

كاستور Castor

أحد الديوسكوري، وهو اسم يُطلق على الأخوين كاستور وبولوديوكيس، وتوجد اعتبارات مختلفة عن منشئهما؛ تقول إحداها إنهما كانا ابنين توءمين لزوس وليدا زوجة تونداريوس وأخوي هيلينا.

كانا يُعبدان كآلهة وأبطال، ويحتلان مبدأ التغير الدائم الحدوث من الضوء إلى الظلمة، ومن الظلمات إلى النور؛ ومن ثَم نشأت الفكرة التي تقول إن الأخوين ظلا بالتبادل أيامًا في موطن الآلهة وفي العالم السفلي، وكان كاستور هو الخبير الفني لترويض الخيول؛ على حين كان بولوديوكيس فنيًّا في الملاكمة، وكانا مثال الشجاعة والمهارة في القتال يقتدي بهما الجنود.

كالايس Calaïs

وزيتيس: هما البوريداي Boredae أو ابنا بورياس وأوريثويا. كانا، كلاهما، بطلين مجنحين، وقد اشتركا في رحلة أرجو. وعندما وصلا، خلال الرحلة، إلى ساموديسوس،

أطلقا سراح فينيوس زوج شقيقتهما كليوباترا، وخلَّصاه من الهاربيات بأن طارداهن في الهواء بأجنحتهما، وتقول إحدى القصص إنهما هلكا في هذه المطاردة.

كالوبسو Calypso

الحورية، ابنة أطلس، التي تسكن في جزيرة أوجوجيا، ورحَّبت بأوديسيوس وأبقته معها سبع سنوات.

كاليماخوس Callimachus

عالم وشاعر إغريقي. هو أهم ممثل للمدرسة السكندرية، وابن باتوس، وبذا انحدر من أسرة الباتياداي النبيلة، أخذ، في بادئ الأمر، يلقي محاضراته في إحدى ضواحي الإسكندرية، ثم دعاه بطليموس فيلادلفوس إلى متحفها، ثم عُين في حوالي سنة ٢٦٠ق.م. رئيسًا للمكتبة، وظل في خدمات جليلة؛ بأن فحص الكتب التي جُمعت في الإسكندرية وعمل بها قوائم، ونُشرت نتائج مؤلفاته في كتابه العظيم المسمى «الألواح»، ويقع في ١٢٠ جزءًا، وكان فهرسًا مرتبًا في نظام تاريخي للمؤلفات التي تحتويها المكتبة، مع ملاحظات عن صحتها، وذكر أول وآخر كلمة في كل منها ومضمون ما يحتويه. كان هذا المؤلف أساسًا لدراسة نقد الأدب الإغريقي، ويُنسب إلى كاليماخوس هذا ٨٠٠ مؤلف بعضُها منثور وبعضها الآخر منظوم، وجدير بالملاحظة أنه كان يتحاشى الأشعار الطويلة؛ كي يستطيع إبراز الأفكار بدلًا من التأنق في التفاصيل الفنية؛ أي: لم يرغب في نظم موضوعاته شعرًا على حساب الأفكار .. وروح أشعار كاليماخوس هي الفن والعلم وليس النبوغ الشعري بمعناه الحرفي، والحقيقة أن بعض موضوعاته ذات هدف علمي مباشر؛ مثال ذلك «الأسباب»، وهذه مجموعة من الأشعار الرثائية الوزن في أربعة أجزاء تتناول تأسيس المدن ونشأة الحفلات الدينية، وما إلى ذلك، في لوذعية وسَعة اطلاع.

كريثيوس Cretheus

هو، في الميثولوجيا الإغريقية، ابن أيولوس وإيناريتي، ومؤسس إيولكوس، ووالد كلٍّ من أيسون وفيريس وأموثاءون، من زوجته تورو.

كريوسا Creusa

وتُسمى أيضًا جلاوكي بنة كريون ملك كورنثة. لما هجر جاسون ميديا كاد يتزوج كريوسا، فأرسلت إليها ميديا هدية العرس؛ وهي عبارة عن ثوب مسمم ما إن لبسته كريوسا حتى حرَّق جسمها وماتت.

كريون Creon

ملك كورنثة ووالد جلاوكي. عندما هجر جاسون ميديا ليتزوج كريوسا، أرسلت ميديا ثوبًا «مسمومًا» إلى كريوسا حرَّق جسمها بمجرد أن لبسته وماتت، مات كريون عندما حاول مساعدة ابنته.

كلوتيوس Clytius

ابن يوروتوس وأنتيوبي. أدى دورًا في حملة الأرجوناوتيس وفي الصيد الكالودوني.

كليوباترا Cleopatra

ابنة بورياس وأوريثويا، وشقيقة كاليس وزيتيس. تزوجت فينيوس فأنجبت منه أبناء سلبتهم أبصارَهم إلى الأبد إيدايا زوجةُ فينيوس الثانية.

كوزيكوس Cyzicus

ملك كوزيكوس. رحب بجماعة الأرجوناوتيس أحسن ترحيب، وبعد رحيلهم قذفت بهم الرياح المعادية إلى الشاطئ ثانية، ولما كان الوقت ليلًا ظنَّ أنهم أعداء، وحدث قتال قتل فيه جاسون كوزيكوس.

كيركي Circe

شخصية في الميثولوجيا الإغريقية. هي ساحرة ذائعة الصيت، ابنة الشمس (هيليوس)، وحورية المحيط بيرسايس، وشقيقة أييتيس وباسيفاي، كانت تقيم في جزيرة أيايا، وتُعرف بعلاقتها بأوديسيوس والابن الذي ولدته له والمسمى تيليجونوس.

لادون Ladon

ابن فوركوس وكيتو. هو الأفعوان الذي كان يحرس تفاحات الهيسبيريديس، وقد قتله هرقل، ووضعته هيرا بين النجوم.

لوكوس Lycus

خال أنتيوبي، وزوج ديركي. حكم طيبة بدلًا من لابداكوس؛ ابن نوكتيوس الأصغر، كما حكمها فيما بعدُ بدلًا من لايوس بن لابداكوس.

لونكيوس Lyncaeus

ابن أفاريوس، وشقيق إيداس. وقد امتاز بحدة بصره التي كانت تتخلل كل شيء حتى الأجسام الصلبة، ويُذكر دائمًا في القصص مع أخيه إيداس الذي حارب معه ضد الديوسكوري، وقتله بولوديوكيس.

ليدا Leda

ابنة ثيستيوس، وزوجة توندايوس ملك إسبرطة. كانت والدة كاستور وبولوديوكيس وكلوتايمنيسترا وهيلينا.

موبسوس Mopsus

ابن أمبوكس التسالي والحورية خلوريس. كان منجِّم بحارة سفينة الأرجو، ومات في ليبيا بلدغة ثعبان.

موسيا Musia

مقاطعة في الزاوية الشمالية الغربية من آسيا الصغرى.

ميديا Medea

ابنة أييتيس ملك كولخيس. عندما وصل جاسون إلى هذا المكان يطلب الجِزَّة الذهبية، وقعت ميديا في غرامه، وساعدته على إنجاز المهمة التي طلبها منه أبوها، ثم هربت معه بعد أن حصل على الجِزَّة. أرادت أن تعرقل سعي أبيها في اللحاق بها، فأخذت تلقي أشلاء أخيها أبسورتوس في البحر بعد أن قتله حبيبها جاسون.

ميرميروس Mermerus

قنطور وُجد في حفل زواج بيريثوس.

ميلياجر Meleager

ابن أوينيوس الكالودوني وألثيا، وشقيق ديانيرا. عندما كان عمره سبعة أيام تنبأت ربات الحظ لأمه أن ولدها لن يعيش أكثر مما تعيش قطعة الحطب في النار، فالتقطت ألثيا قطعة الحطب من الموقد، وأطفأتها وخبأتها، فلما كبِر ميلياجر أثبت أنه أشجع أبطال الإغريق، واشترك في حملة سفينة الأرجو، وقام بدور القائد في الصيد الكالودوني الذي اشترك فيه كثير من الأبطال؛ ليخلصوا كالودونيا من الخنزير الوحشي الذي أرسلته أرتيميس ليَفتِك بالبلدة.

ميماس Mimas

أحد العمالقة.

مينويتيوس Menoetius

ابن إيابيتوس وكلوميني، وشقيق أطلس وبروميثيوس وأبيميثيوس.

نستور Nestor

ملك بولوس Pylos، وأصغر أبناء نيليوس وخلوريس، وكان الوحيد الذي نجا من بين اثني عشر من الموت على يد هرقل. تزوج يوروديكي فأنجبت له سبعة من البنين وبنتين. كسَب في شبابه شهرةً في الحرب، وقد أدى دورًا في حملة الأرجوناوتيس وكذا في الصيد الكالودوني.

نيفيلي Nephele

ربة، زوجة أثاماس، ووالدة فريكسوس وهيللي. عندما هجر أثاماس نيفيلي ليتزوج إينو بنة كادموس، أرسلت نيفيلي قحطًا على الأرض، فتظاهرت إينو بأنها تؤدي عملًا بناءً على مشورة الكاهن، وطلبت أبناءَ نيفيلي ليُقدَّموا ذبيحةً حتى تخلص البلاد من القحط.

نيليوس Neleus

ابن بوسايدون، وشقيق بيلياس. هرب نيليوس إلى ميسينا، وصار ملكًا على بولوس، وتزوج خلوريس بنة أمفيون المينوي، وأنجب منها اثني عشر ابنًا أشهرهم نستور.

الهاربييس Harpies

بنات ثاوماس وحورية البحر إليكترا، ومن بينهن أيلو Aello، كانت تُوصف كمخلوقات مخيفة جائعة، لها أجسام وأجنحة ومخالب طيور ورءوس عذارى، كان موطنها في ستروفاديس؛ أي: في جزر البحر الأيوني.

هرقل Hercules

ابن زوس وألكمينا، وزوج أمفيتريون الطيبي. تلقى أجود التعليم في صنوف الفنون المختلفة، كان مدرِّسوه هم القنطور خيرون للألعاب الرياضية، وأمفيتريون لدفع العربة، ورادا مانثوس للحكمة والعدالة، وأوتولوكوس للمصارعة، ويوروتوس للرماية، وكاستور لاستخدام عُدة القتال، ولينوس للموسيقى.

هوبسيبولي Hypsipyle

ابنة الملك ثواس من ليمنوس. عندما قتلت نساء الجزيرة جميع الرجال، أنقذت هوبسيبولي أباها بأن وضعته داخل صندوق وألقت به في اليم، وبعدئذٍ صارت ملكة، ولما ألقت الأرجو مرساتها عند ليمنوس استقبلت جاسون بترحاب وأنجبت منه توءمين.

هولاس Hylas

شاب جميل أحبه هرقل وصحِبه معه في حملة الأرجوناوتيس. عندما ألقت الأرجو مرساها عند موسيا، تجول هرقل في الغابة ليقطع مجدافًا، فأحس بعطش وأرسل هولاس ليأتيه ببعض الماء، ولكن حوريات النبع أحببنه وجذبنه معهن تحت الماء، فلما قلِق هرقل على الصبي ذهب يبحث عنه بنفسه، ولما لم يجد له أثرًا ألمَّ به حزن شديد اضطره أن يتخلى عن الحملة ويعود إلى وطنه سيرًا على الأقدام.

هوميروس Homerus

شاعر اليونان الأول، وصاحب الإلياذة والأوديسة، وأساس الأدب اليوناني، ومنه استمد الشعراء والكتَّاب قصصهم. اختلف الرواة في شأنه؛ فأنكره البعض، وأنكر عليه آخرون ملحمتيه، ويرجع تاريخه إلى عام ٨٥٠ق.م. تقريبًا، ويقولون إن اسمه كان «ميليسجنيس» ثم لُقب بهوميروس؛ أي: الرجل الأعمى، وقد ادعته كثير من المدن، غير أن المرجح أن تكون سميرنا (أزمير) هي بلدته.

هيرا Hera

هي جونو عند الرومان، شقيقة وزوجة زوس. كانت ملكة الآلهة تجلس مع زوس على العرش ويبجِّلها جميع آلهة أوليمبوس، كانت في الأصل ربة القمر، وكانت تُعتبر ربةً للنساء تصونهن؛ خصوصًا وقت الأخطار والشدائد، وتشرف على زواجهن.

هيرميس Hermes

هو ميركوريوس عند الرومان، ابن زوس وميا وأحد آلهة أوليمبوس العظام. تختلف وظائفه كثيرًا عن وظائف باقي الآلهة؛ فهو إله الريح وله سرعتها، ومنادي زوس والآلهة الآخرين، ورب الألعاب الرياضية، ورب الخداع واللصوص، وإله الحظ؛ ومن ثَم كان إله المقامرين، ورب التجارة والسوق، ورب المسافرين في البر والبحر.

هيفايستوس Hephaestus

يسميه الرومان فولكانوس، أحد آلهة أوليمبوس العظام، هو رب النار وابن زوس وهيرا. تزوج أفروديتي، كان تشخيصًا للنار نفسها، ولكنه كان أيضًا حاكم النار القوي، يستعملها سلاحًا وقت القتال، ووسيلة من وسائل التطهير وصهر المعادن؛ لذلك كان يُعتبر حداد الآلهة والفنان الأول في صناعة المعادن، كما كانت لديه موهبة التنبؤ.

هيكاتي Hecate

ربة غامضة يُخلط بينها وبين ربات أخريات كثيرات؛ وخاصة سيليني وأرتيميس وبيرسيفوني، فأدى ذلك إلى فكرة تقول إنها كانت تملك ثلاثة أجسام أو ثلاثة رءوس.

كانت تقطن المقابر وعند مفترق الطرق؛ حيث توضع الذبائح الخاصة بها أحيانًا، ويُعلَن قدومها بنباح الكلاب وعوائها.

هيللي Helle

ابنة أثاماس ونيفيلي، وشقيقة فريكسوس. عندما أوشك أبوه أن يقدمه ذبيحة، وضعته نيفيلي وهيللي فوق كبش عجيب ذي جِزَّة ذهبية كان هدية من هيرميس؛ ليتمكنا من الهرب، فلما سار الكبش فوق المياه، سقطت هيللي من فوق ظهره وغرقت في البحر الذي يُسمى هيلليسبونت؛ نسبة إليها، وعاش هو.

هيلياديس Heliades

بنات هيليوس والحورية كلوميني. حزنت حزنًا شديدًا على وفاة أخيهن فايثون الذي أسقطته صاعقة من فوق عربة الشمس إلى نهر أريدانوس، تحولْن إلى أشجار زان، كما تحولت دموعهن إلى كهرمان.

هيليوس Helius

يطلق عليه الرومان اسم سول؛ أي: رب الشمس، يخلَط بينه وبين أبولو، كان هيليوس بتعبير أدق إلهًا للشمس عند شروقها أكثر من أبولو، ثم تتحرك في فلكها وتغرب عندما يكون أبولو إلهًا للشمس عند غروبها، فكأن أبولو يختص بالشمس عندما يغيب ضوءها، ولا شأن له بها أثناء رحلتها اليومية عبر السموات.

هو إله النمو والإخصاب؛ لما له من ضوء وحرارة، وبرغم كراهيته للأكاذيب والخداع، فإنه ليس كأبولو رب العقاب، كان يصوَّر أيضًا في شكل فتًى نشيط مملوءٍ حياةً وقوة، كانت رودس المكان الرئيسي لعبادته حيث بُني الكولوسوس، وكانت الألعاب الأوليمبية تُقام تبجيلًا له، أما الذبائح التي تُقدم له فتتكون من خمر وعسل وخيل وكباش وغيرها، وكانت أشجار الزان البيضاء مقدسة له.

يوفيموس Euphemus

ابن بوسايدون ويوروبا، وزوج لانومي شقيقة هرقل، وهو الذي تسلَّم من بوسايدون القدرة على السير فوق البحر، واشترك في الصيد الكالودوني وفي حملة سفينة الأرجو،

وعند بحيرة تريتون أعطاه تريتون كتلةً من الطين، فتنبأت ميديا بأن هذه الكتلة ستحقق لسلالته حكم ليبيا إذا هو ألقاها عند مدخل العالم السفلي في تايناروم، غير أن الكتلة الطينية فُقدت في ثيرا التي نشأ منها فيما بعدُ باتوس Battus مؤسس كيريني (برقة) في ليبيا.

يوكسيني Euxine

هو البحر الأسود.

هنـــداوي